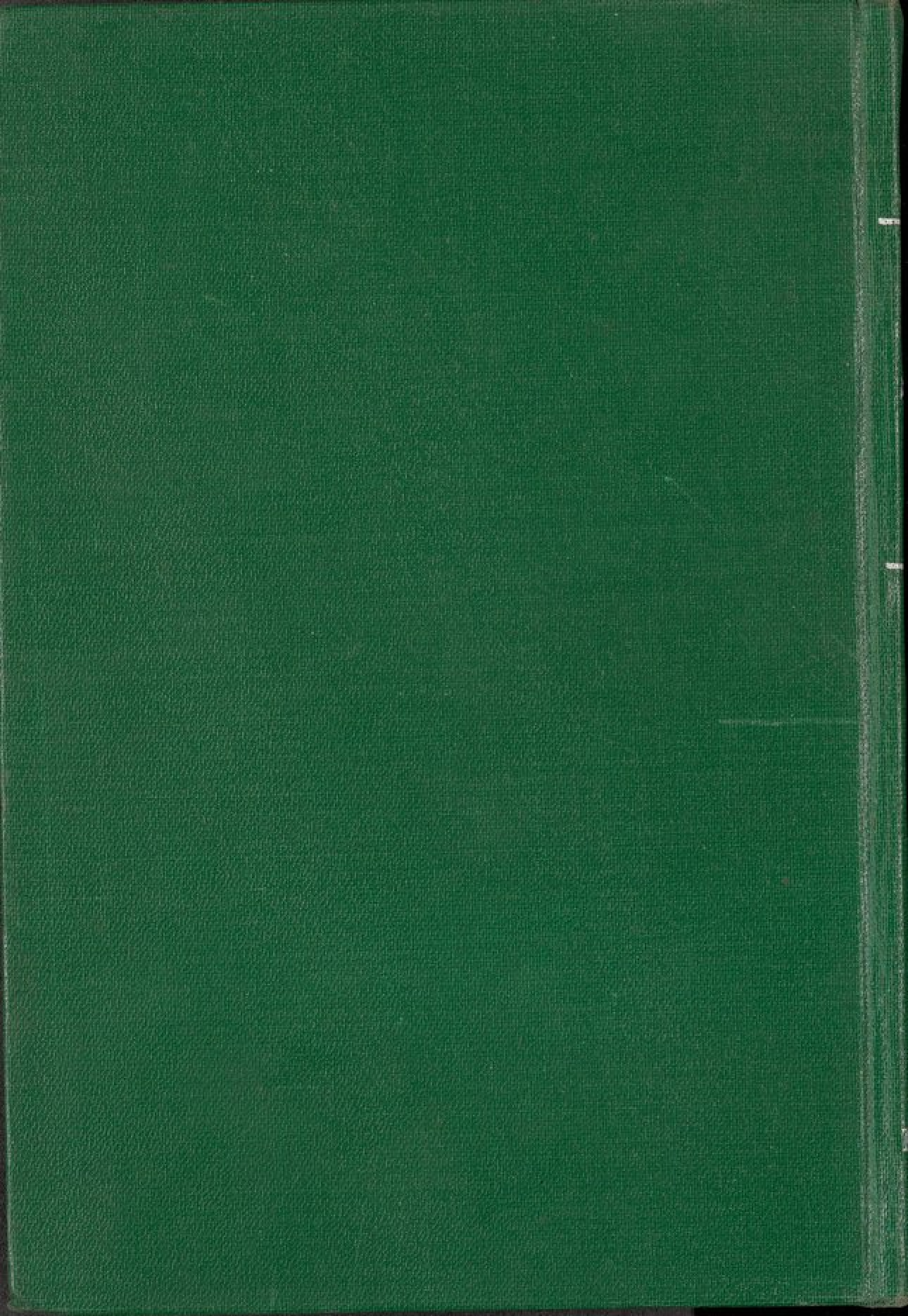










تأليف

دكتور

علي مظهر

١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

مطبعة السنة المحمدية
٥ شارع غيط النوبي
تليفون ٧٩٠١٧

أفغانســـــتان

تقويم بلادها ووصف سكانها وتاريخها

قبل الاسلام وبعده حتى اليوم

وشاء ربك أن يطبع هذا الكتاب بعد أن ظل طى الأوراق السنين الطوال.

المؤلف

دكتور

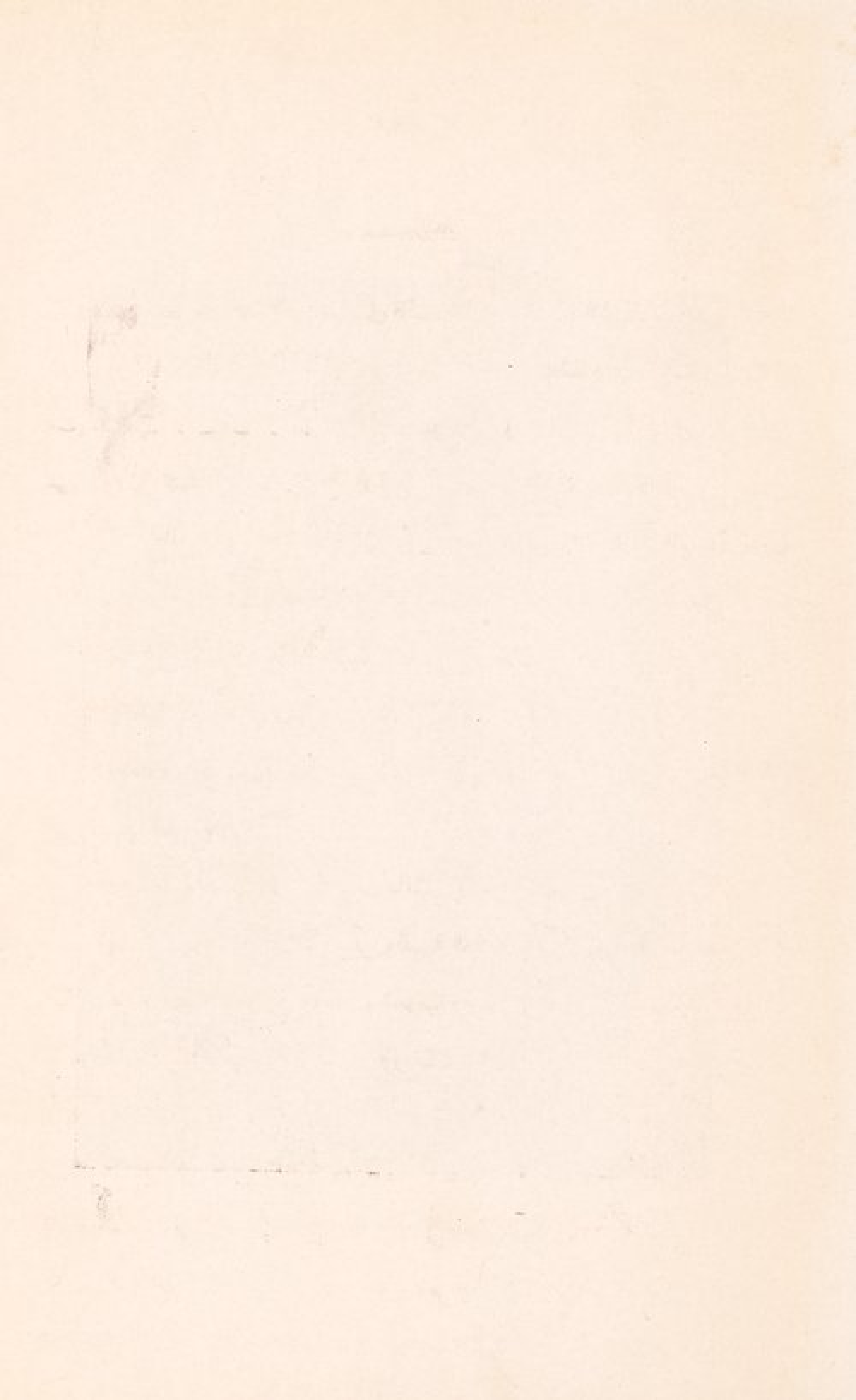
علي مظهر

القاهرة فى يوم الأحد ٩ جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ هـ

الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٠ م



محمد ظاهر شاه ملك أفغانستان الآن



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ألقى شطر من هذا الكتيب فى قالب محاضرة بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ثم زدنا وأضفنا ما رأينا الفائدة منه ورأينا أن نقدمه للطبع والنشر ليكون بذلك ثانى كتاب بالعربية فى موضوعه على مانعلم ، أما أول كتاب رأيناه فى هذا الباب فهو كتاب (تتمة البيان فى تاريخ الأفغان) للسيد جمال الدين الأفغانى .

وقد اطلعنا على عدة مقالات نشرت بالصحف والمجلات العربية خاصة بأفغانستان أيام زار أمان الله خان ملك أفغانستان السابق مصر فى السنين الأخيرة كما اطلعنا على نبذ عدة وإشارات مشبعة من قلم الأمير شكيب أرسلان ، العلامة الكبير تعليقا على تعريب (حاضر العالم الإسلامى) المستر ستودارد الأمريكى .

وجاءت فى التواريخ العربية إشارات إلى حوادث أفغانية وقعت فى البلاد التى نعرفها اليوم باسم أفغانستان .

ولو قسنا مانشر بالعربية إلى مانشر باللغات الأخرى عن هذه البلاد ، لوجدناه نزرا يسيرا يكاد لايذكر بالنسبة للعناية الكبرى بكل مايتعلق بتلك البلاد من وصف وتاريخ ووصف شعوب وسياسة وعادات ومصورات جغرافية لأجزائها وصور تقرب لذهن من لم يزر تلك البلاد ما يمكن للانسان فهمه وعلمه.

وأفغانستان بلاد إسلامية اختلف فى تقدير عدد سكانها ، فمنهم من يقدره بثمانية ملايين من النفوس ، ومنهم من يقدره بعشرة ، ومنهم من يرفع عددهم إلى عشرين مليونا . وليس هذا بغريب فى بلاد لاتزال فى حالة بداوة وينقصها الاحصاء الدقيق فلذا وجب على المسلم معرفة أشياء عن تلك البلاد سيما وأن لتاريخها اتصالا بتاريخ الإسلام فى أواسط آسيا . كما نرى بين طيات هذا

الكتاب على أن لأفغانستان أهمية أخرى يعنى بها المسلم وغير المسلم . تلك الأهمية تنحصر فى موقعها الجغرافى الممتاز . فهى فى وسط آسيا بمقام الجمهورية السويسرية فى أوروبا تقوم مقام الحاجز الطبعى بين دول أخرى وكلتاهما بلاد جبلية لاساحل لها ، كما هو الحال فى بلاد الحبشة بأفريقية تماما ، وكما تقوم جمهوريتا بوليفيا وباراجواى فى أمريكا الجنوبية ، وهما لا ساحل لهما ، ويكون كل منهما حاجزا بين الجمهوريتين الكبيرتين . هناك : البرازيل التى يغلب عليها الصبغة البرتقالية والأرجنتين التى اصطبغت بالصبغة الأسبانية . فمركز أفغانستان فى آسيا ممتاز يسترعى الأنظار لوقوعها كحاجز بين دولتين كبيرتين فى الوقت الحاضر وهما الروسيا شمالا ومصالح انجلترا فى الهند جنوبا .

وسوف يرى المطلع أن أفغانستان كانت مرزحا لحوادث جسام فى التاريخ ولا زالت بلاد المفاجآت والانقلابات السريعة والثورات ثم الخضوع ليد المنتصر هو أو هو ومن يخلفه حتى يحدث ما يثير أهلها وتتكرر الحوادث من جديد والتاريخ فيها يعيد نفسه كما ستلمح ذلك فى ثنايا سطور هذه الرسالة .

وفى رأينا أن كثيراً من هذه الحوادث والثورات من إيعاز أجنبى ، ومن يد لاتريد الخير لتلك البلاد ، بل ترغب فى القضاء عليها أو إشغالها عن مصالح البلاد باثارة الاضطرابات فيها والثورات بها .

ونحن نعتقد أنه لو وفق أهل تلك البلاد وحكومتها إلى القضاء على الجهل المطبق الذى يسود طبقات الشعب ونشر بينهم التعليم ، وسلحوا بأسلحة العصر الحديث من المعارف والعرفان ، وعرفوا أن الخير كل الخير لو اتحد كل الأفغان على الخير ، ووقفوا فى وجه كل مغتصب لاستقلال بلادهم موقف المستعد المسلح المزود بكل ماعرف حتى اليوم من طراز حديث للدفاع عن الكيان و بكل ما يجد ويخترعه العقل البشرى من وسائل الدفاع الشرعى عن النفس وعن حرمة البلاد لو أنهم عرفوا ذلك كله ، ولا نخالهم يجهلون ذلك لخدموا بلادهم خدمة جلى ، ولما

لعبت بهم الأهواء كما يلحظ ذلك كل ذى لب فى بعض الحركات الطائشة التى يقوم بها ثائرون ومناهضون وفتن عمياء لاتجنى منها البلاد خيرا ما ، سوى التأخير عن مجاراة الأمم الأخرى فى حلبة العلم والعرفان .

ولو أن شوكة أفغانستان أقوى مما هى عليه الآن لكان من ذلك أكبر معين لمجاوريهم من الأمم المغلوبة على أمرها ، ولأصبحت نورا ينبثق فى تلك الأرجاء المظلمة فيضيء لمن عداهم ولأفادوا واستفادوا .

ولذا فانا نرجو أن يوفق كل أفغانى محب لبلاده ، ولدينه ، وللانسانية ، أن يسعى جهده فى بث التعليم الصحيح بين قومه ، وتهذيبهم ، ليأتى اليوم الذى يمكن لتلك الأمم المستعبدة التى أشرنا إليها أن تنهض وتنادى باستقلالها التام الذى لا تشوبه شائبة كما فعلت أفغانستان .

الفيوم فى يوم الجمعة { ٦ ربيع الأول سنة ١٣٤٩ / ١ أغسطس سنة ١٩٣٠ }

على مظهر

موقعها

تقع أفغانستان بين الدرجة .

٣٠َ ٢٩° ، ٣٠َ ٣٨°

من العرض الشمالى .

، ٢٨° ، ٤٣°

شرقى خط زوال أهرام الجيزة بمصر وعلى هذا تكون محصورة بين بلاد الصين وكشمير شرقا و باكستان جنوبا و بلاد إيران غربا والجمهوريات الروسية السوفيتيه (خيوى و بخارى وسبيريا) شمالا .

أقسامها

١ ـ كابول (أفغانستان الشمالية) .

٢ ـ قندهار (أفغانستان الجنوبية) .

٣ ـ سبستان .

٤ ـ هراث .

٥ ـ هزارستان .

٦ ـ تركستان .

٧ ـ بذخشان .

٨ ـ واخان .

٩ ـ نورستان (المسماة قديما بكافرستان) .

المساحة ـ تقدر بما يساوى ٢٤٥٠٠٠ ميلا مربعاً .

أهميتها ـ حاجز بين بلاد روسيا بين جمهوريتى باكستان والهند .

فى أسيا .

لجان الحدود ـ فى أثناء الربع الأخير من القرن التاسع عشر أمكن وضع

حدود ثابتة فى جهات الشمال الشرقى والجنوبى . وتم تحديد الشمال بلجنة شكلت للحدود عقب الحرب بينها و بين الروسيا سنة ١٨٨٤ ـ ١٨٨٦ .

وحدث تعديل فى جهات الحدود الجنوبية والشرقية بعد اتفاق دوراند سنة ١٨٩٣ .

وأتمت لجنة البامير أعمالها فى الحدود الشمالية الشرقية سنة ١٨٩٥ .

منطقة الحدود بين الهند وأفغانستان

إن الحدود الشمالية الغربية للهند تبدأ من نقطة إلى الشمال قليلا من شِتْرال حتى بلاد البلخ (بلوخستان) وهذه هى الحدود التى تفصل الهند[1] من أفغانستان ولقد سعت عدة شعوب وقبائل وأمم فى امتلاك تلك الجبال الشامخة منذ أقدم العصور حتى اليوم لأنها تعتبر بحق الباب الموصل إلى الهند حتى أننا نرى أن الهند قد هوجمت أكثر من ثلاثين مرة وكان غزوها من تلك الناحية قبل امتلاك انجلترا لتلك القارة التعيسة المسكينة . فقد زحف عليها الأشوريون والفرس والأغارقة والعرب والأفغان والتتار وغيرهم بجموعهم المجندة للحرب وللقتال من تلك الجبال الشاهقة فى أفغانستان إلى سهول نهر السند فى عصور متعاقبة وهى حقيقة يجب أن تسترعى الأنظار .

وعندما تترك هضبة الهملايا الأصلية بلاد الهند إلى شمال جِلْجِتْ . يمتد فرع من تلك الهضبة يدعى هندوكوش فيخترق أفغانستان فى اتجاه جنوبى غربى حتى مدينة (هراة) وتلك الهضبة الجبلية ونهر السند بفروعه المنتشرة هناك تمثل لك المنظر الطبعى لما يعرف بالحدود الشمالية الغربية للهند وهى العائق الصحيح لكل زحف للجيوش من الهند وإليها .

---

(١) يقصد بالهند هنا بلاد جمهوريتى هندستان وباكستان الآن .

ويبدأ خط الحدود من مضيق (كيليك) فى الزاوية الشمالية الغربية من سلسلة هندوكوش الأصلية وسط بلاد لا يتيسر لغير سكان تلك الجبال القريبة منها عبورها إلا بمشقة ونصب حتى فى أحسن أيام السنة جوا وأكثرها اعتدالا . وبعدئذ تسير إلى أرض منخفضة نوعا ومن المناطق التى يسكنهـا المُهْمَنْد إلى مضايق جومال وسط جهات ذات تلول تقل بينها الجبال ذات الارتفاع المعتاد وبطبيعة الحال تكون المواصلات فيها أيسر وأسهل . ويخترق نهر كابول وكورّام وتوخى وجومال الحدود فهى تنبع فى أفغانستان وتسير شرقا وسط تلك المناطق ذات التلول إلى أن تتصل بنهر السند . أما الوديان الحقيقية التى تخترقها فإنها تعد مفتوحة نوعا ويمكن طروقها والسير فيها بل إن منها الطرق الرئيسية الأربع التى تصل أفغانستان بالهند .

فترى نهر كابول وهو أبعدها شمالا ينبع فى الهندوكوش ويروى أخصب بقاع أفغانستان وتقع كابول عاصمة أفغانستان عليه وكذا مدينتا (جلال أباد) و (دَكَّا) وهما من أهم مدن أفغانستان . وأهم طريق إلى الهند يسير إزاء ذلك النهر حتى مدينة (دكا) حيث يفترق الطريق عن النهر وعندما يمر سالك ذلك الطريق بمضيق خيبر يصل إلى بلاد الهند .

وقد أقيمت عدة حصون ونقط عسكرية على الجانب الهندى من الحدود للمراقبة بينما تكون جنود إقليم (پشاور) دائما على استعداد لتعزيز أى جهة مهددة بالهجوم عليها .

أما الطريق أو المسلك الثانى العظيم للحدود فعند (پيفار كوتال) حيث تمتد النهاية الحديثة لإحدى فروع سكة حديد المقاطعة الشمالية الغربية وسط وادى نهر كورام

ولقد تيسر للقائد سير سام براون أن يسير إلى أفغانستان سنة ١٨٧٨ من مضيق خيبر المذكور بينما كان يسير فردريك روبرتس يسير من (تال) إلى وادى كورام وبعد معركة فى پيفار كوتال هدد كابول العاصمة الأفغانية من الجنوب

الشرق . أما المسلك الثالث للهند فواقع على طول وادى نهر (توخى) وسط المنطقة التى يسكنهـا قبائل الوزيرى الصعبة المراس ثم تسير إلى غزنة مباشرة ولـكن هذا الطريق قلما يطرق لصعوبته ووعورته كما يطرق المسلـكان الأولان. وتقيم فى (بانّو) جنود نظامية دائما .

ومن أكثر المسالك المطروقة إلى البنجاب من الغرب هو المسلك الذى يسير محاذيا لوادى نهر جومال وهذا هو الطريق الذى سارت منه الجيوش العظيمة المغيرة على الهند أكثر من مرة التى ذكرها التاريخ . ولا تزال القبائل الرحل المعروفة باسم (بُونِيْداب) تسير فيها فى رحلاتها بين الهند وأفغانستان فإنها تقضى الصيف فى الأراضى ذات المراعى الخضراء فى أفغانستان أيام الصيف وتسير إلى سهول الهند بأسرها وجمالها وقطعانها من الماشية والأنعام لتقيم بهـا أيام الشتاء . وتتصل الطريق الرئيسية بنهر السند عند المدينة الحصينة (ديرا اسماعيل خان) التقاء جومال بنهير (زَبوب) يبدأ طريق لسير الجمال ذاهبة إلى مرتفعات مقاطعة قندهار . وعلى الحدود فى الجهات ذات التلول يسكن قوم (الباثان) وهم أقرب إلى الاستقلال فى حياتهم لأنهم قبل أن يعترفوا إلا نادرا بسلطة الحكومة الهندية أو الأفغانية وهم يكثرون من الغارة على بلاد الدولتين يحبون الـكفاح و يكسبون قوتهم وأرزاقهم بهذه الطريقة طريقة حرب العصابات وشن الغارات فجأة.وتنتشر على طول خط الحدود بين الهند وأفغانستان عدة نقط عسكرية صغيرة ولـكنهـا قوية مكونة من قوة الحرس الأهلى للحدود وصف ضباط الحدود وتعززها مراكز عسكرية من جنود نظاميين مدربين تدريبا حربياً فنياً لترد كل غارة من رجال التلول ويكون الحرس الأهلى من أهالى البلاد القريبة للحدود الأفغانية . ولقد كونت فى السنين الأخيرة قوة من الحرس الأهلى الحر الخفيف السلاح فى جهات خيبر تسمى (الخسادار) وهم من رجال المنطقـة ويستخدمون بشروط سهلة ولا يرتدون ملابس خاصة بالجندية ويحملون من السلاح ما شاءوا هم و بذا قاموا بخدمات جلى لصد الغارات .

وتنتهى مقاطعة الحدود الغربية الشمالية عند جومال ، ومن ذلك النهر جنوباً تسمى المقاطعة المتاخمة لبلاد البلخ أو (بلوخستان) . وهنا يمتد خط الحدود غرباً فى بلاد ترى فيها طرقاً للجمال ، ولـكن ليس بها من طريق هام شرق (شامان) الجديدة . وهنا ترى نهاية خط السكة الحديدية التى تعبر السند عند سُكر ، وعندها تتلوى بعد عبورها مضيق (بولان) إلى (كوتا) وفيها القيادة العامة لبلاد البلخ ، وبها إحدى المراكز الهامة الحربية بالهند . ومن هناك يمر الخط فى نفق (كوجاك) إلى مدينـة الحدود لشامان الجديدة ، وهناك توجد طرق لا بأس بها إلى قندهار التى تبعد عنها بنحو سبعين ميلا .

وولاية قندهار هي أكبر مقاطعة فى أفغانستان ، ويمكن تقسيمها إلى قسمين الغربى ، وجله صحراء جرداء ، والشرقي وهو خصب كثير المياه ، وعلى مقربة من عاصمتها كانت فادحة (مَايوَنْد) التى حدثت سـنة ١٨٨٠ عند ما زحف سير فريدريك روبرتس زحفه المشهور من كابل إلى قندهار ، وهزم الجيوش التى ساقها أيوب خان من (هراة) .

وبالقرب من كوتا يسـير خط الحدود غرباً حتى يصل إلى رُبَاط وسط صحراء عظيمة تمتد من بحر العرب حتى قندهار يتخللها شريط ضيق من الأراضى المنزرعة على ضفاف نهر هلموند .

ووسط تلك الصحراء الموحشة تقل المياه بل يندر وجودها ، ولا يوجـد إلا قليل من المرعى الأخضر . ولقـد قاد الاسكندر الأكبر جزءا من جيشه وسط بلاد البلخ بعد غزوة مظفرة فى پنجاب عائداً إلى بلاد الفرس ، والقليل من جنده من أمكنه أن يتحمل مشاق تلك العودة الفظيعة فهلك أكثرهم من الأمرض والعطش ، ولقد استعيض عن طريق القوافل من رباط أثناء الحرب العظمى حيث تلتقى حدود أفغانستان وبلاد إيران وبلوخستان إلى (نوشكى) بالسكة الحديدية . فقللت المصاعب التى كان يلقاها المسافر فى تلك الأنحاء ، ولو

أن صحراء بلاد البلخ لا تزال مانعاً حصيناً يحول دون الوصول إلى بلاد الهند من جيرانها غرباً مثلما تفعل جبال الهملايا .

ومن رباط يسير خط الحدود الهندية جنوباً ، ولا يتصل بالحدود الأفغانية .

ويستخدم كثير من الأفغانيين فى الجيوش البريطانية ، ويلحقون ببعض الفرق الهندية[1] .

ويجمل بى أن لا أنسى حديثاً دار بينى وبين لندنى خدم فى الجيش الانجليزى ، وسافرت فرقته إلى الحدود الشمالية الغربية للهند المذكورة . فكان يذكر ما كانوا يلاقونه من المتاعب والنصب من رجال الجبال الأفغانيين الذين لم يتركوا لهم فرصة للراحة مطلقاً . حتى إنه كان يتعجب من أمر حدث أكثر من مرة وهم فى الخيام المنصوبة للعسكر هناك . فإن رجلا أفغانياً واحداً كان يمكنه أن ينقل كل ما كان يجده بالخيمة ، ويدع الجنود مجردين عن ثيابهم ، محرومين من مآكلهم ، خائفين على حياتهم من الاعتداء عليهم وقتلهم ، وبذا يوجد الرعب فى نفوس الجنود الانجليزية المعسكرة على الحدود ، وقال لى ما كان يجسر أحدنا أن ينفرد بنفسه فى تلك المناطق وإلا كان فريسة لأفغاني من رجال الحدود ، يغتاله بخنجره أو برصاصته ، ويفر إلى جباله ، ولا يبقى له من أثر بعد فعلته ، وإذا اضطر أحدنا ليلا للقيام لقضاء ضرورة أيقظ زميلا له مسلحاً كما يحمل هو سلاحه فيدخل أحدنا دررة المياه ويقف الثانى لحراسته لشدة مراس أولئك الرجال ، وحتى مع هذا الاحتياط فمن الممكن أن يصيب أفغانى واحد الاثنين . وكان يذكرنى ذلك وكأنما كان يذكر حلماً مرعباً قد أفزعه فأقض مضجعه ، وكذلك يفعل رجال الحدود الأفغان فإنهم يزعجون الجنود الانجليزية المعسكرة على حدود الهند ، ولا يتركونهم يهنأون بنوم أو أكل أو حياة طيلة وجودهم فى تلك المناطق على حدود الهند وأفغانستان. ولذا كانت تدفع الحكومة الانجليزية إتاوات للقبائل الأفغانية لتسترضيها ولا تزعج جنودها .

---

(١) عن الامبراطورية الهندية The Indian Empire ملخصاً .

الجبال وصفة الأراضى :

بشمال أفغانستان جبال عالية وأودية عميقة وسهول مخصبة تكثر بها مجارى المياه ، وغلالها كثيرة .

أما فى جهاتها الجنوبية فقليل نباتها وماؤها ، تكاد تخلو من الشجر .

وتجد فى جهاتها الشمالية سلسلة جبال هندوكوش أحد أجزاء جبال الهند الوسطى تمتد إلى الغرب يدوم على قممها الثلج لشدة ارتفاعها .

ثم تلى ذلك جبال قوهى بابا تمتد إلى الغرب أيضاً ، وتجد فى جهاتها قمماً قفرة كثيرة الوعورة شامخة تناطح السحاب وتعلو عليه ويحل بها الثلج دائماً ويخرج من سفحها نهر هلموند أعظم نهر ببلاد الأفغان ، ويوجد بين هندوكوش وقوهى بابا مضيق باميان ، وله شهرة لما جرى به من الحوادث التاريخية .

ويتصل بقوهى بابا من جهة الغرب جبل غور الممتد إلى هراة وهو الحد بين كرجستان ووادى هرى رود ، وقد أطلق قدماء الجغرافيين على هاتين السلسلتين الأخيرتين اسم پارو بانيسوس Paropanisus .

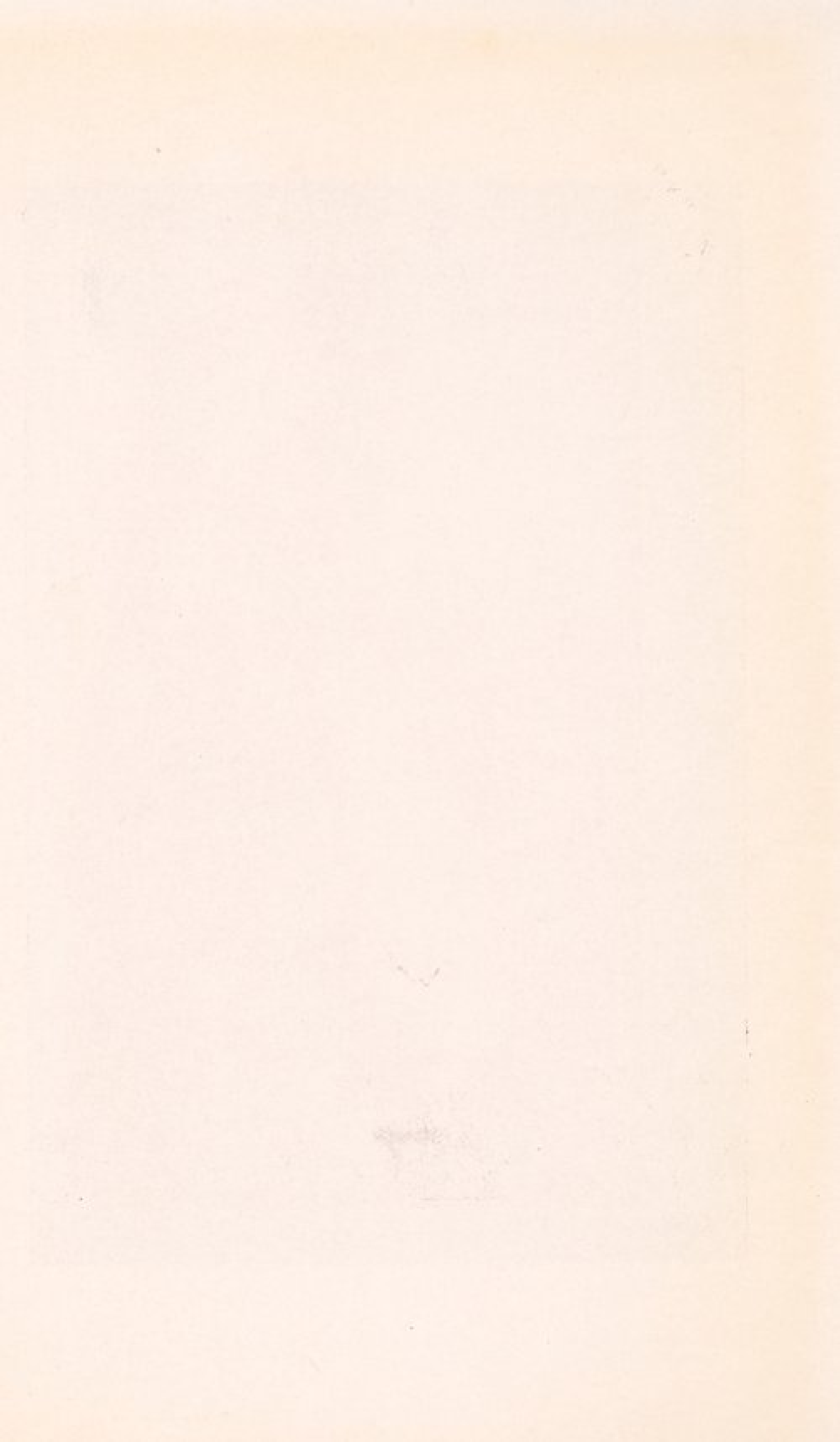
أما فى الشرق فإن جبل سليمان يسير من الشرق إلى الجنوب فى خط يشبه الخط المستقيم ، وفى جنوب كابل تنفصل سلسلة جبال سفيد قوه (سبين غار) بالأفغانية ، وتصل إلى درجة من الارتفاع تبلغ ٤٢٦٦ متراً جهة تخت سليمان (واقع بين الحدود بين فارس والهند تقريباً) . ثم تمتد هذه السلسلة الجبلية إلى بلاد البلوخ جنوباً فتجعل الحد الطبيعى بين تلك البلاد وفارس .

وطبيعة سفوحها الشرقية غير سفوحها جهة الغرب ، وخصب وادى نهر السند معروف .

ويوجد طريقان كثير خطرهما على السائر لما اعتراهما من ضيق طبيعى .

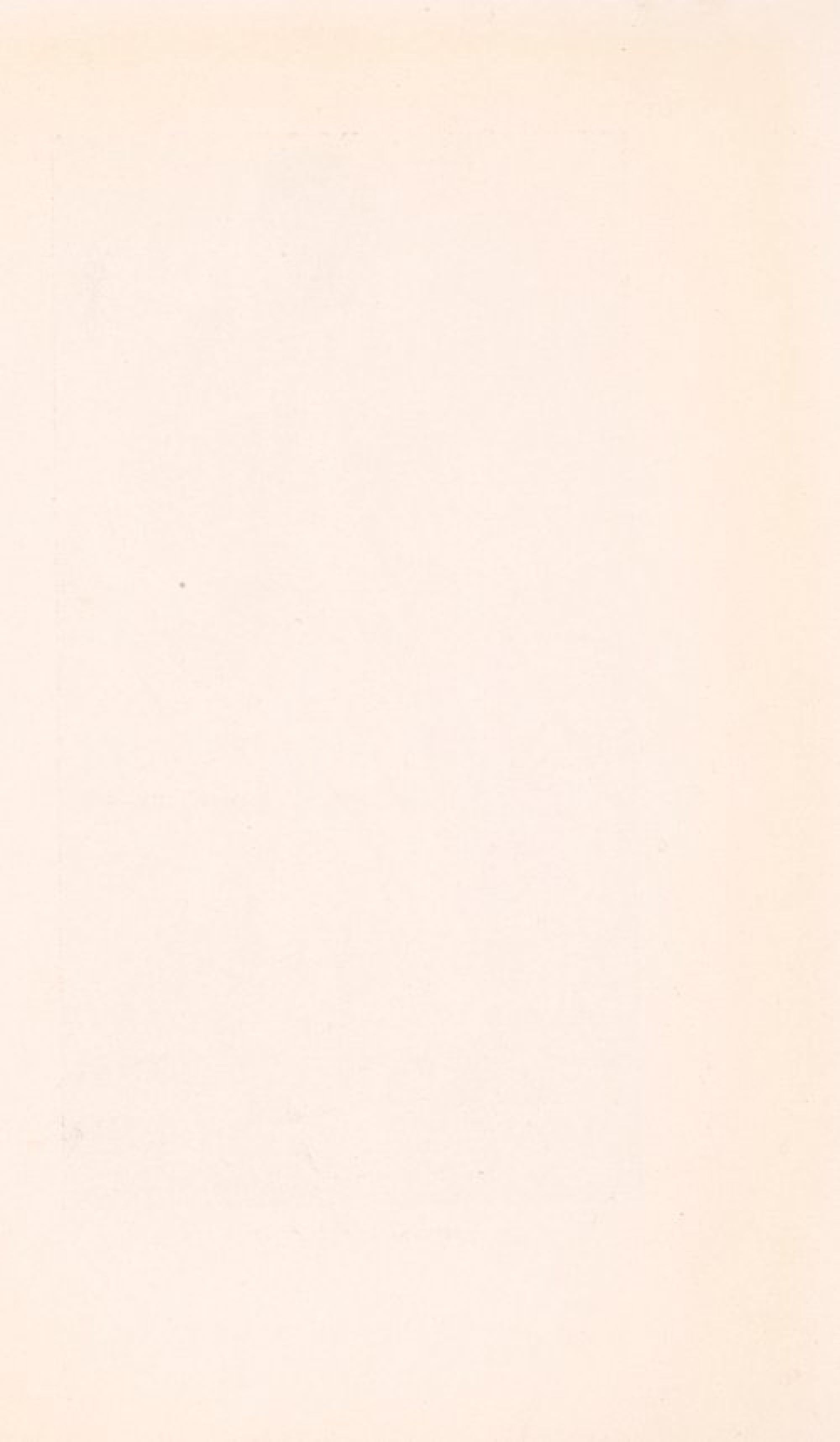


قلعة علي مشهد في مضيق خيبر





من خفراء الافريدى بالسهول



فرسان من الأفغان



جماعة من البلوخ من ممر بولان يساومون على صيد



وهذان الطريقان هما : مضيق خيبر بين كابل والپنجاب ، ثم مضيق جومال شمال تخت سليمان الذى يؤدى إلى السند .

وعدا ذلك تجد فى شرق قندهار جبل عمران كما توجد جبال أخرى تتفاوت فى الطول والقصر ، وتمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربى .

وبينما يلاحظ انخفاض الأرض فى الجنوب الغربى يلاحظ جهات مرتفعة فى الشمال والشرق .

وها كم أمثلة من ارتفاع جبال أفغانستان :

قمة شاه فولادى (شمالا) ٣١٥٨ متر فى جبال قوهى بابا وما إليها جنوباً عدة قمم ارتفاعها **٣٣٥٣** متراً .

فى جبال سليمان الواقعة شرقى حدود أفغانستان قمم ارتفاعها **٣٤١٥** متراً .

البحيرات :

منها بحيرة هامون عرضها نحو من ٣٥ كيلو متراً وطولها ١٢٤ ، وتتصل بها بحيرة ذره ذات الآجام وهى تعلو عن سطح البحر بما يقرب من ٤٠٠ متر .

الأنهار :

أهمها نهر هلمند ، ونهر كابل ، وهما ينبعان من جبال هند وكوش ، ويجرى نهر كابل إلى جهة الشرق ويصب فى نهر السند قرب أتوك ويمكن أن تعده فرعاً من فروع ذلك النهر الكبير .

ويجرى نهر هلمند إلى الجهات الجنوبية الغربية وسط بلاد الأفغان ثم يصب فى بحيرة هامون . ولهذا النهر فيضان كالنيل ، ويجلب لما جاوره من الأراضى الخصب .

ويحسن بنا أن لا ننسى نهرى غنداب وخوشنجور .

والجهات التى لا تصل إليها مياه صحراء نهر كابول يسقى شمال أفغانستان ونهر هارى رود يسقى مقاطعة هرات ، ونهر جيجون يسقى مقاطعة التركستان الأفغانية .

شكلها الطبيعى : البلاد أغلبها جبلية أو صحارى و يوجد جهات يحسن سقياها وتؤتى أكلها وتكثر فاكهتها حتى إنهم يصدرونها بكثرة للخارج .

والأفغان مهرة فى الزراعة ويحسنون الاستفادة من كل الموارد الطبيعية للسق والرى . وهم والصينيون يتنافسون فى مسائل الرى لنبوغهم فى هندسة الرى العملية .

الحيوان :

فى جبالها العالية المغطاة بالغابات الجميلة من أشجار باسقة ، يأوى الدب والضبع والثعلب ، كما أن ببعض جهاتها يوجد الأسد والنمر .

و ببلاد الأفغان أنواع من الغنم من فصيلة الغنم الفارسى ذى الإلية ، ونوع من الهررة طويل الشعر يعرفون له منزلته وقدره .

وهم يستخدمون الجمال والحمير لحمل الأثقال وفى نقل المتاجر .

ومن حيوانهم الأرنب وابن آوى والأيل والوعل والغزال والماعز البرى والكلاب البرية والقنفذ و يوجد القرد فى خوشنجور .

ومن زواحفها الحيات وهى ليست بذات ضرر بينما يكثر أذى عقاربها .

الطيور :

من طيورها البازى والنسر والعقاب والحجل والكركى والأوز والبط والبجع .

المعادن :

من معادنها الرصاص والبلمباجين ، وملح البارود والكبريت والشب والملح و يوجد بها حديد جيد كأحسن حديد يوجد ، و يمكن استخراج ثمانين فى المائة من النحاس الخالص مما يوجد بها من معادن النحاس .

والمرجح أن ببلاد الأفغان الكنوز العديدة من المعادن الخام ومواطن التعدين بها بكر لم تمسها يد أو قل إن مستها . فمن المعادن الكثيرة التى بها الذهب في جهات (قندهار) والحديد فى بلاد (خست وكرم) .
والياقوت فى كابل والحديد والكبريت والياقوت واللازوردفى (بذخشان) وغيرها كثيرها .

ولكن فائدة البلاد لا تزال قليلة منها لأن الأهالى لا يقدرون على استخراجها والانتفاع بهما كما ينتفع الناس بخيرات بلادهم ، والذى نرجوه أن أن يوفق الأفغان أو أبناء الأمم الإسلامية إلى استخراجها ونحن نعتقد أن حكومة تلك البلاد الرشيدة لن تسمح ليدأجنبية أن تمتد إلى جزء منها بحجة التعدين والشركات التجارية والصناعية و ينتقل الأمر بها بعد إلى مثل ما انتقل إليه حال الهند ومصر وغيرهما .

الأشجار والنباتات :

منها الخوخ والتفاح والكمثرى والسفرجل والرمان واللوز والعناب والقراصية واللوز والبرتقال والأترج والجميز والخورد الفستق البرى . وشجر المصطكى . وفيها الورد والعنب الغزنوى والخروع والتبغ .

وللحبوب موسمان يزرع أحدهما فى الربيع ويحصد في الخريف والآخر فى الخريف ويحصد فى الصيف .

الزراعة :

الأراضى هناك قابلة للزراعة وللانبات بطبيعتها وبها أنهر ونهيرات عديدة للرى ، لو أحكم تصريف المياه بها على ما يجاورها من الأراضى لساعدت كثيراً على أن يعطى الشىء الكثير من خير ماتنبت كما أن الأمطار كثيرة من جهات عديدة وكذلك الثلوج . ومن الممكن الاستفادة من ذلك كما يفعل أهالى البلاد الجبلية فى بلاد سويسرا والنمسا وكما ستفعل بلاد الحبشة فى بعض جهاتها وكما يفعل غيرها من البلاد .

وإنا لنأمل الخير الكثير إذا ماتعلم الأهلون وانتشرت بينهم المعارف والعرفان . حتى يعرفوا كيف يستفيدون من كل ماباًرضهم من رزق وخير ويكون ذلك بالإكثار من شتى المدارس والمعاهد الراقية فى داخل البلاد وإرسال البعوث العديدة إلى خارجهالتحصيل مختلف العلوم والفنون تحصيلاً كافياً ليعودوا إلى بلادهم حاملين خير مايجب أن يحمل إليها من بلاد الغير .

فإن بعثات من أبناء هذه الأمة الناهضة لدرس الهندسة والزراعة إلى جانب البعثات العسكرية والصناعية والتجارية لما يكون فيه الخير العميم لبلاد نرجو لها كل رقى وفلاح .

والأفغان يزرعون البر والشعير والأرز والذرة والدخن والباقلة والحمص والبقول والخضروات وما يحتاجون إليه فى معاشهم . وعلمنا أن القليل من القطن يزرع هناك كما أنهم يزرعون التنباك والأفيون والحشيشة ليتاجروا فيها . وهم يكثرون من غرس الأشجار وتربيتها سيما المثمر منها كالكرم والخوخ والمشمش والكمثرى والتفاح والسفرجل والرمان والجوز واللوز والعناب والفستق والتوت وغير ذلك .

ويربى أهالى هرات دودة القز ، ويزرع أهالى جلال أباد قصب السكر

كما نرى غابات من الصنوبر والمصطكى والفستق والجيز على الجبال الأفغانية مما يجعلها تشبه بلاد سويسرا والنمسا وإيطاليا وبعض جهات ألمانيا الجبلية . والفواكه فى أفغانستان غاية فى الجودة .

الصنائع :

الصنائع قليلة جداً عندهم وقد ورثوها عن آبائهم واسلافهم ولا يهتمون باجادتها واتقانها فمن تلك نسج الاقمشة الحريرية ونوع من الكشمير غير ملون يدعونه (پتو) وكذلك أنواع الفرو من جلود الجمل فى مدينة كابول ويصنعون الابسطة الملونة الجيدة فى هراة وكذلك نوع من الجوخ وتوجد معامل للاسلحة لعمل المدافع والبنادق والسيوف .

ويوجد فى كابول بعض المصانع وإن كانت كلها ملكا للحكومة . فمن ذلك مغازل ومصانع للاقمشة الصوفية جيدة النوع واقمشتها تباع فى الاسواق باثمان محددة لا يجوز للتاجر أن يتعداها ويتراوح الثمن بين ١١ ، ١٥ روبية المتر الواحد . أما من لا يقدر أن يدفع مثل هذا الثمن من الفقراء فانهم يلبسون ثيابا نسجت على الأيدى أو من ملابس رخيصة تستورد من الهند .

وإلى جانب هذا توجد مدبغة للجلود ومصانع للاحذية يتراوح ثمن الحذاء الذى تخرجه بين العشرين والاثنين وثلاثين روبية ويظهر أن صناعة ذلك لم تزل تحتاج إلى كثير من العناية والاتقان .

وفى معامل الاسلحة تصنع السيوف والحراب وبعض البنادق والمدافع . كما أن ألمانيا وغيرها من البلاد تصدر إليهم شيئاً من ذلك .

ويوجد مصنع للصابون وآخر للكبريت هناك كما يوجد مصنع كهربائى فى جبل السراج ينير بعض البيوت فى العاصمة بالكهرباء .

الصناع :

ولأغلب الصناع دكاكينهم التى يعملون فيها فى الأسواق وترى كل طائفة تحتل شارعاً أو جزءاً منه كما كان الحال عندنا بالقاهرة قديماً فى أحياء الخيامية والسكرية والصناديقية والسروجية وغيرها من الطرق المعروفة .

التجارة :

أكثر المعاملات التجارية بينها وبين الهند وبخارى وتركستان وإيران . وهى تصدر إلى الهند الصوف والقطن والفواكه والنقل بأنواعه يحمل ذلك على الإبل .

وتصدر إلى بلاد فارس ذلك الجوخ المعروف بالمبرك والفرو وصنف من النعال وشيلان الكشمير مارة بأرضها إليها وغير ذلك .

وتستورد بلاد الأفغان من بخارى والهند الجوخ وأقمشة الكتان والقطن والشاى والسكر والزجاج والخزف الصينى والورق والفولاذ والحديد والنحاس والزئبق ودود القرمز والعقاقير وتستورد من إيران الأقمشة والأسلحة .

الجو والمناخ :

إن البلاد الافغانية كلها معرضة لتقلبات الجو الشديدة ولكل أنواع الحرارة والبرودة فتجد قيظ الصيف اللافح للوجوه فى سيستان وجهات جَرْمسير ووادى جيحون وتجد الشتاء القاسى بالجهات العليا المعرضة للرياح الشمالية الشديدة البرودة . كما تهطل الثلوج وتتراكم فوق جبالها وجهاتها المعرضة لبرودة الشتاء في الجهات المرتفعة . وقد حفظ لنا التاريخ أخبار ما لاقته الجيوش التى قاست العذاب الأليم من الزمهرير فى تلك الارجاء . مثال ذلك ما لاقاه الامبراطور بابر وجيشه لما سار الفرسان من هراة إلى كابول مخترقاً جبال هزارة ويقال ان جبال

(هندوكوش) ربما كان أصل تسميتها مما لاقته الجيوش الهندية بقيادة (شاه جهان) من شدة البرد فى تلك الارجاء فعرفت تلك الجبال بجبال (ذابحة الهنود) ترجمتها (هندوكوش) وأقرب مثال لذلك ما لاقته جنود المرحوم الأمير عبد الرحمن عام ١٨٦٨ ولجنة الحدود البريطانية فى سنة ١٨٨٥ .

كما أن الفرق بين درجات الحرارة أو البرودة اليومية كبير . ويتراوح ذلك الفرق بين ١٧ ؟ ٣٠ درجة فهرنهريت . أما فى الوديان المرتفعة فيتمتع أربابها بربيع وخريف جميلين بديعين .

أفغانستان

الاسم :

عرفت تلك البلاد باسم أفغانستان كما نعرفها اليوم من نصف القرن الثامن عشر الميلادى (أوائل القرن الثانى عشر الهجرى) وذلك عندما توطدت سلطة الشعب الأفغانى هناك ، أما قبل ذلك فقد أطلقت على بعض الجهات أسماء خاصة بها وإن لم تكن للبلاد وحدة سياسية على ماهى عليه اليوم ولم تكن أجزاؤها التى تتكون اليوم منها لتجمعها جامعة وطنية أو قومية أو لغوية كما هو الحال الآن

اشتقاق اسم (أفغانستان) :

جاء فى المعلمة الكبرى الفرنسية (ج ١ ص ٧٠٧) ما يأتى :ـ

إن أصل اسم هذه المملكة غير محقق ، ومن الناس من يقول باشتقاقه من كلمة (أسسافا Asçva) السنسكريتية ومعناها الفرسان Cavaliers وعليه يكون معنى أفغانستان هو بلاد الفرسان ، ولكن الكلمة فارسية ، ويظهر أنها مأخوذة من لفظة (أفغان) الفارسية التى يقصد منها (حلق الجبل) .

وقال السيد جمال الدين الأفغانى فى اسم هذه الأمة فى كتابه (تتمة البيان فى تاريخ الأفغان) ص ١ مايأتى : ـ

إن الفارسيين يسمونهم بأفغان ، و يعللون ذلك بأنهم حينما أسرهم (بخت نصر) كان لهم أنين وحنين والأنين يسمى بالفارسية (أفغان) فأطلق عليهم هذا الإسم من ذلك الوقت ، وقيل : إن أفغان اسم لحفيد (شاؤول) وهو جد الأفغانيين فسموا باسم جدهم . وعوام الفرس يطلقون عليهم اسم (أوغان) وهو قريب من الأول . والهنود يسمونهم (پَتّان) . و بعض قبائل الأفغانيين كالمقيمين بقندهار وقزن يسمون أنفسهم (پشتو) و (پشتان) بالپاء الفارسية فيهما . و بعضهم كسا كنى (خوست) و (كورم) و (پاچاور) يسمون أنفسهم (پغتو) و (پغتان) بالباء الفارسية فيهما . ومن دقق النظر فى تقارب هذه الألفاظ يعلم أنها من أصل واحد وأن لفظ (أفغان) و (أوغان) و (بتان) محرف عن (بغتان) و (بغتان) و (بشتان) يصح أن يكونا مأخوذين من (پاشتان) وهي قرية من قرى (نيسابور) أو يكونا مأخوذين من (پشت) اسم مدينة من مدن خراسان ثم ركب مع الألف والنون الدالتين على الجمع فى لغة فارس على احتمال أن كان لهم بهما إقامة ثم استمر الإطلاق بعد مبارحتهما ، والواو فى (بشتو) و (بغتو) المحرف عنه للدلالة على النسبة كالياء فى لغة العرب وحذفت مع الجمع تخفيفا و يحتمل و يحتمل أن يكونا مأخوذين من (بشيت) إسم قرية من قرى فلسطين على احتمال كونهم من بنى إسرائيل . اه

وصف سكان أفغانستان :

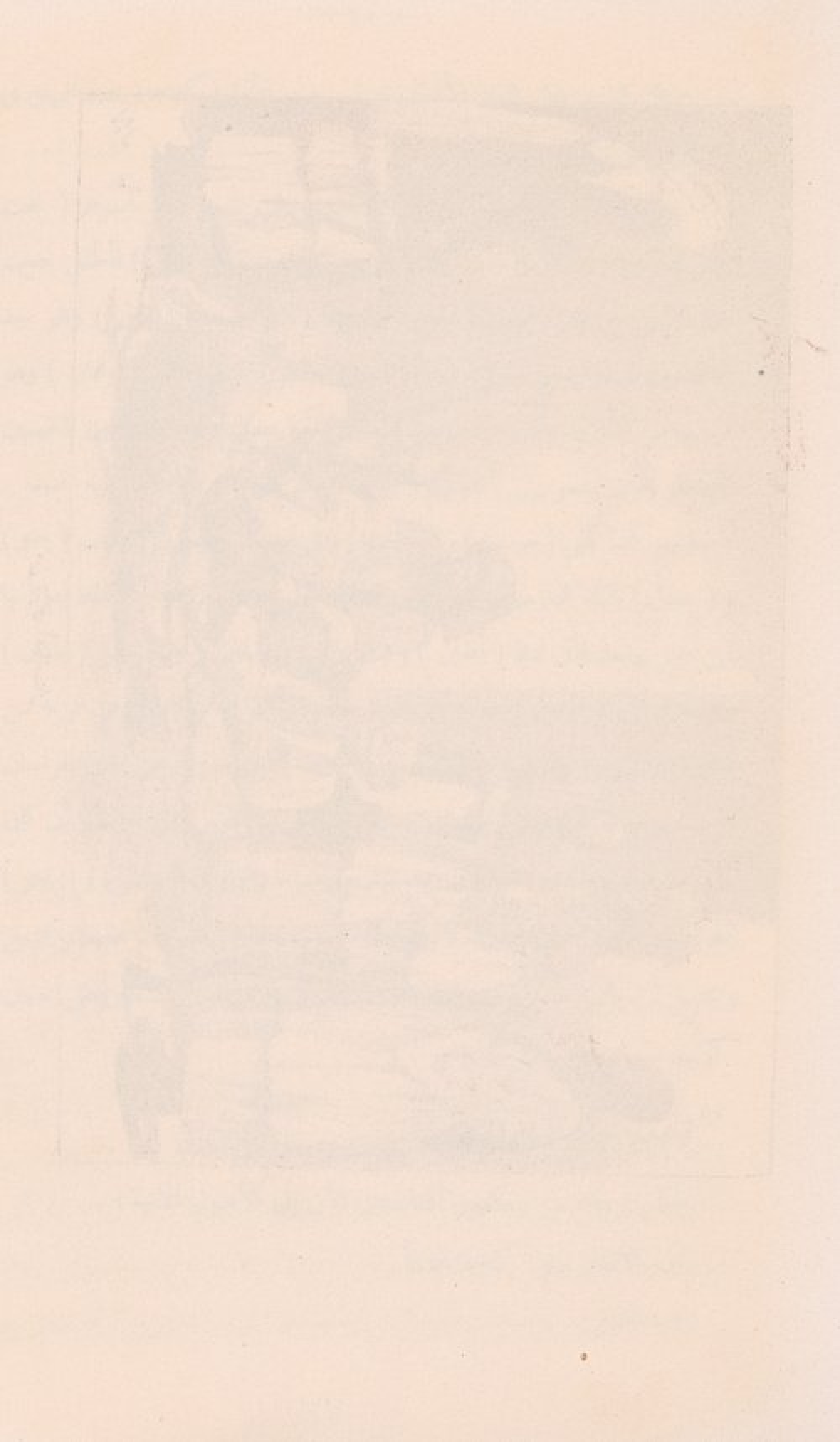
يمكن إرجاع من يسكنون أفغانستان الآن إلى الأصول الآتية :

١ ـ الأفغان وهم أكبرها عدداً .

٢ ـ الفرس .



من شرق أفغانستان



٣ ـ الترك والمغول .

٤ ـ آريى الهندكوش .

وإن يكن من الصعب أن نعرف أصول القبائل لامتزاج الدماء .

ولنبدأ بالكلام على تلك المجاميع الكبيرة الأربعة التى ذكرناها .

١ — الأفغان :

وهم من أصل إيرانى تركى امتزجوا بدماء هندية على الحدود الشرقية رءوسهم صغيرة ولو أن نسبتها أكبر من آريى الهنود فى البنجاب ، كما أنه ربما كانت النسبة أكبر من خلص الفرس .

ونجد أفغان الجنوب يشبهون البلوخ برؤوسهم العريضة بينا نرى قبائل وادى السند ذات جماجم أضيق ، وأنوف الأفغان كبيرة عادة وكثيراً ما تكون مقوسة ولعل هذا هو السبب الذى دعا البعض أن يظنهم من نسل أسباط بنى إسرائيل . والأفغانى طويل القامة نشط قوى أبيض اللون بالنسبة لمجاوريه ، له لحية سمراء ، وفى بعض الأحايين يعثر على العيون الزرقاء هناك .

ويظهر أن أول ذكر للأفغان فى التواريخ المدونة كان فى كتاب (تاريخ اليمنى) للعتبي وكان من كُتَّاب محمود الغزنوي وكذلكم ذكرهم البيروني ، والغريب أن الإدريسى لم يشر إليهم بشىء فى كتابه .

أصل الأمة الأفغانية :

قال السيد جمال الدين فى تاريخه عن نسب هذه الأمة (ص١ـ٢ـ٣) مايأتى: تتألف هذه الأمة من قبائل متعددة (كغلجانى) و (عبدل) و (كاكز) و (وزيرى) و (يوسف زائى) و (مهمند) و (أفريدى) و (نبكش) وغيرها من القبائل التى تسمت بأسماء أماكنها (كخوستى) و (كرمى) و (باجاورى) وكل قبيلة تحتوى على عمائر مختلفة مثلا (الغلجائي) تشتمل على (هتك)

و (توخى) و (سليمان خيل) و (ادر ياخيل) وغيرها .. و (عبدل) تتركب من (بار كرائى) و (على كوزائى) و (باميزائى) وكل عمارة من هذه العمائر تتضمن بطونا ، و بطونها تتضمن أفخاذا . ولسنا الآن بصدد بيان أسماء البطون والأفخاذ وما يختص بكل منها لضيق المقام .

وتجتمع هذه الفروع فى أصـل واحد يسمى (پشتو) أو (پشتان) . وقد اختلف أرباب التواريخ فى منبت هذا الأصل ، فقال بعضهم (١) إنهم من طائفة الخزر كانوا يسكنون بسواحل بحر (كاسبتان) وفى (باب الأبواب) و (الشروانات) وكانوا يغيرون على بلاد إيران و ينهبون ممالـكهم ، ثم نقلهم بعض الملوك إلى شرق بلاد خراسان فى زمن غير معلوم (٢) ونسبهم بعض من لاخبرة له بالتواريخ إلى الأمير (تيمور الـكوركان) وضعفه ظاهر إذ الأفغانيون فى أماكنهم هذه قبـل زمان تيمور بقرون . وقال بعضهم (٣) إنهم من أولاد الضحاك الذى اشتهر عنه فى خرافات فارس بأنه كان له سلعتان بكتفيه يوهم أنهما ثعبـانان . وقال بعضهم (٤) إنهم من (الآشوريين الكلدانيين) حتى إن بعض سياح الإفرنج ادعي أنه يوجد فى اللغة الأفغانية بعض من الألفاظ الـكلدانية .

وقال بعض (٥) إن هذه الطائفة التى ملأت الجبال الواقعة بين نهر (أتك) و (خراسان) أعنى طائفـة الأفغان من نسل الأقباط المصريين الذين كانوا مع (سوزستريس) حين افتتاحه للبلاد الهندية .

وقال بعض (٦) إنهم من أسباط بنى إسرائيل وأن (بخت نصر) أسكنهم بعد قتل كثير منهم فى الجبال المسماة (قوهستان غور) أو (غور) فقطوقال إنهم سموا مسكنهم الجديد بهذا الإسم تذكاراً للوادي الـكائن بأرض الشام المسمى الغور وسموا (بغتو) الذى هو محرف عن (بختو) نسبة إلى (بخت نصر) فان الواو فى الفارسيـة كياء النسبة فى العربية ، ثم تـكاثر عددهم فتسلطوا على تلك الجهـات وكان بينهم و بين يهود البلاد العربية مراسلات ولمـا دخل يهود العرب

فى دين الإسلام بعثوا برجل منهم يسمى خالداً إلى بلاد الأفغان يدعونهم إلى الدخول فى دين الإسلام فأرسل الأفغانيون جماعة من أمرائهم وكان فيما بينهم رجل يسمى قيساً يتصل نسبه إلى أسباط إسرائيل بسبع وأربعين واسطة وإلى إبراهيم بخمس وخمسين واسطة فقدمهم خالد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وصاروا مشمولين بعنايته وعطف على قيس عطفا كبيراً وسماه عبد الله الرشيد ولقبه بالأمير وقال صلى الله عليه وسلم إنه حقيق بهذا اللقب لأنه من نسل سلاطين بنى إسرائيل وهؤلاء المرسلون قد وافقوا النبى صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة وظهرت عليهم آثار الجلادة فى تلك الواقعة . ثم رجع قيس إلى بلاده مصحوباً برفقائه بعد أن دعا النبى صلى الله عليه وسلم بالخير والبركة وأصحبه أيضاً بجماعة من أهل المدينة لتأييده فى ترويج أمر الاسلام ، وإقامة مراسم الدين الحقيقى فى جبال (غور) الواقعة فى خراسان . وبعد وصول قيس إلى تلك الجهات أفرغ جهده فى جلب قلوب أتباعه إلى دين الإسلام ، وقد نال مقصده بدخولهم جميعاً فى هذا الدين ، وتوفى قيس فى سنة ٤٠ من الهجرة عن سبع وثمانين سنة وخلف ثلاثة أولاد ذكور ، وذهب بعضهم إلى أن نسبه يتصل إلى (شاؤول) وله جميل ذكر إلى هذا الوقت فى بلاد الافغان حتى إن أمراءهم يجتهدون فى إيصال نسبهم إليه ، وللافغانيين شجرة أنساب يعتمدونها إلى هذا الوقت تؤيد هذا الأصل ، أعنى أنهم من نسل أسباط بنى إسرائيل إلا أنه لايوجد أدنى مشابهة بين لسان (بشتو) وهو لسان الافغانيين وبين اللسان العبرى أصلا . نعم إن اعتقادهم بكونهم من هذا الأصل مع بعد المسافة بين أراضيهم ومقر الاسرائيليين ووجود محل يسمى بخيبر فى بلادهم ربما يوجب ظن بعض الصحة فى هذه الرواية .

وقال بعضهم (٧) إنهم من طائفة الأرامنة كانوا ساكنين فى (شروان) التى كانت تسمى (البان) بالباء الفارسية ويؤيد ذلك أن الكنائس الواقعة فى (قراباغ) المتاخمة (لشيروان) تسمى إلى هذا العهد بـ (قندسار) ويقال لكبير

تلك الجهات (اغوانج) ومعناه فى لغتهم كبير الاغوان ، وإن الأرامنة (يريد الأرمن) الساكنين فى (كنجة) و (روان) و (نخجوان) و (كيلان) يفتخرون بهذا الاسم أعنى (أغوان) ويدعون الاغوانية فيحتمل أن يكون لفظ أفغان محرفا عن : (اغوان) أو (اليان) . وأن يكون رئيس (القندسار) بعد انتقاله إلى مقامهم الآنى (لعله يريد فيما بعد) وإقامتهم بخطة (قندهار) سماها بهذا الاسم أعنى (قندسار) ثم حرف إلى (قندهار) ويظهر من أطوارهم أنهم حين مهاجرتهم من أوطانهم الأصلية إلى مستوطناتهم الحالية كانوا متدينين بالديانة النصرانية ثم أسلموا فيما بعد . وقد يوجد فيهم إلى الآن آثار بعض عادات جدودهم كوضعهم مايشبه شكل الصليب على أقراص خبزهم .

وقول هذا البعض وإن لم يكن خالياً عن الصحة بالمرة إلا أن تجويزه كون (قندهار) محرفاً عن (قندسار) يدل على قلة بضاعته فى فن التاريخ لأن (قندهار) من المدن القديمة الشهيرة المذكورة فى مهاران كتاب خرافات الهنود .

وقال بعضهم (٨) إن هذه الطائفة كانت موجودة بتلك الجبال من عهد قديم على امتيازها على غيرها من الطوائف حتى قال إنها هى التى حاربت مع اسكندر الرومى (المقدوني) بل كانت فى زمن كنتاسب . وكانت تابعة لولاية سجستان تحت حكم (رستم) المشهور ، وكانت تدفع له فى كل عام عشرة جلود من جلود البقر باسم الخراج ثم جاهرته بالعصيان وامتنعت عن دفع هـذا الخراج الجسيم !؟ إلا أنه استظهر عليها وأرجعها إلى طاعته .

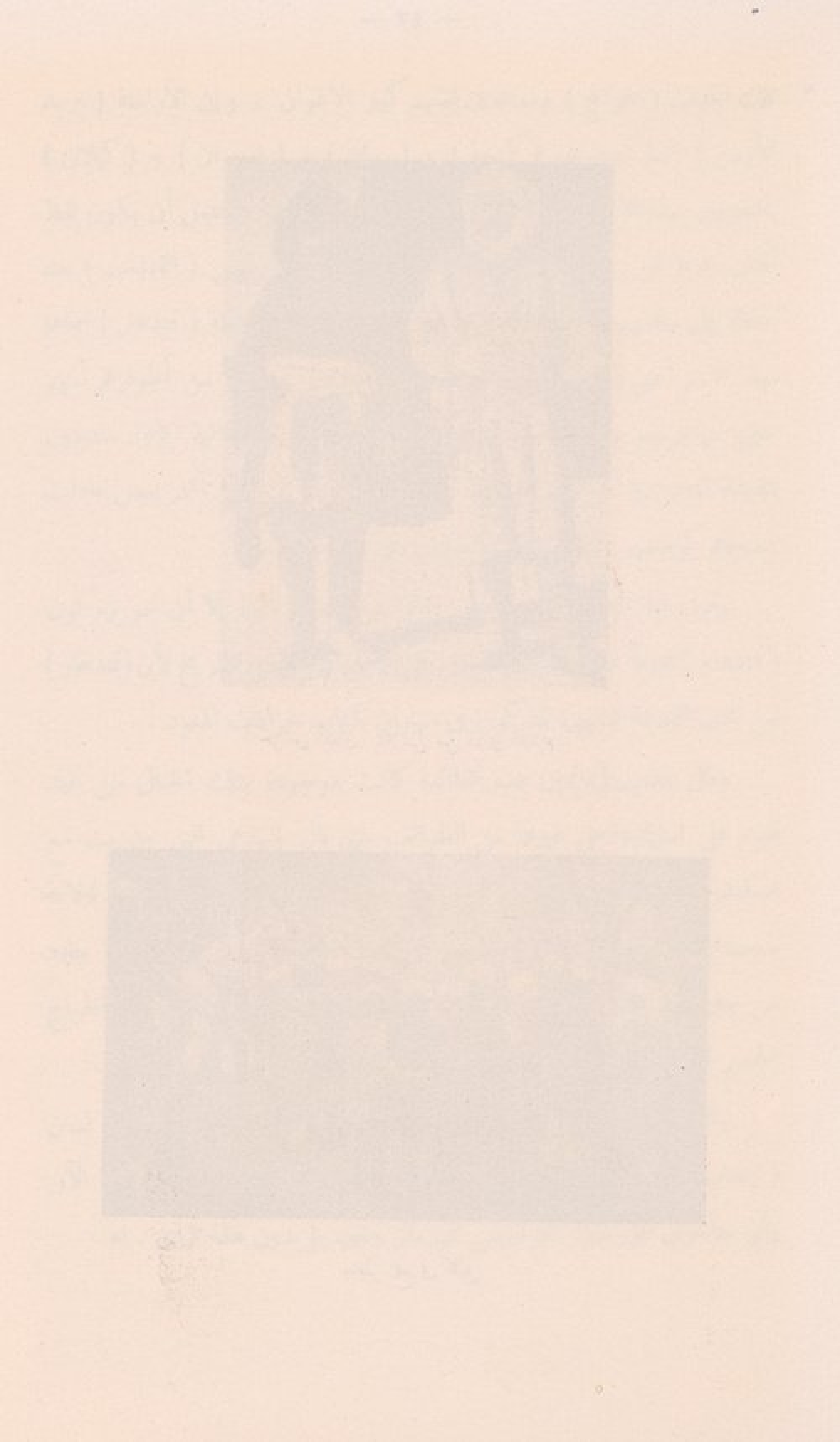
والحق أن هـذه الأمة من أصل إيرانى وأن لسانها مأخوذ من لسان (زنداوستا) وهو لسان فارس القديم وله مشابهة تامة بالفارسية المستعملة الآن وأن متأخرى المؤرخين كفرنسيس لنورمان وغيره يؤيدون هذا الرأى . اه



حراس أفغان بملابس من الزى القديم

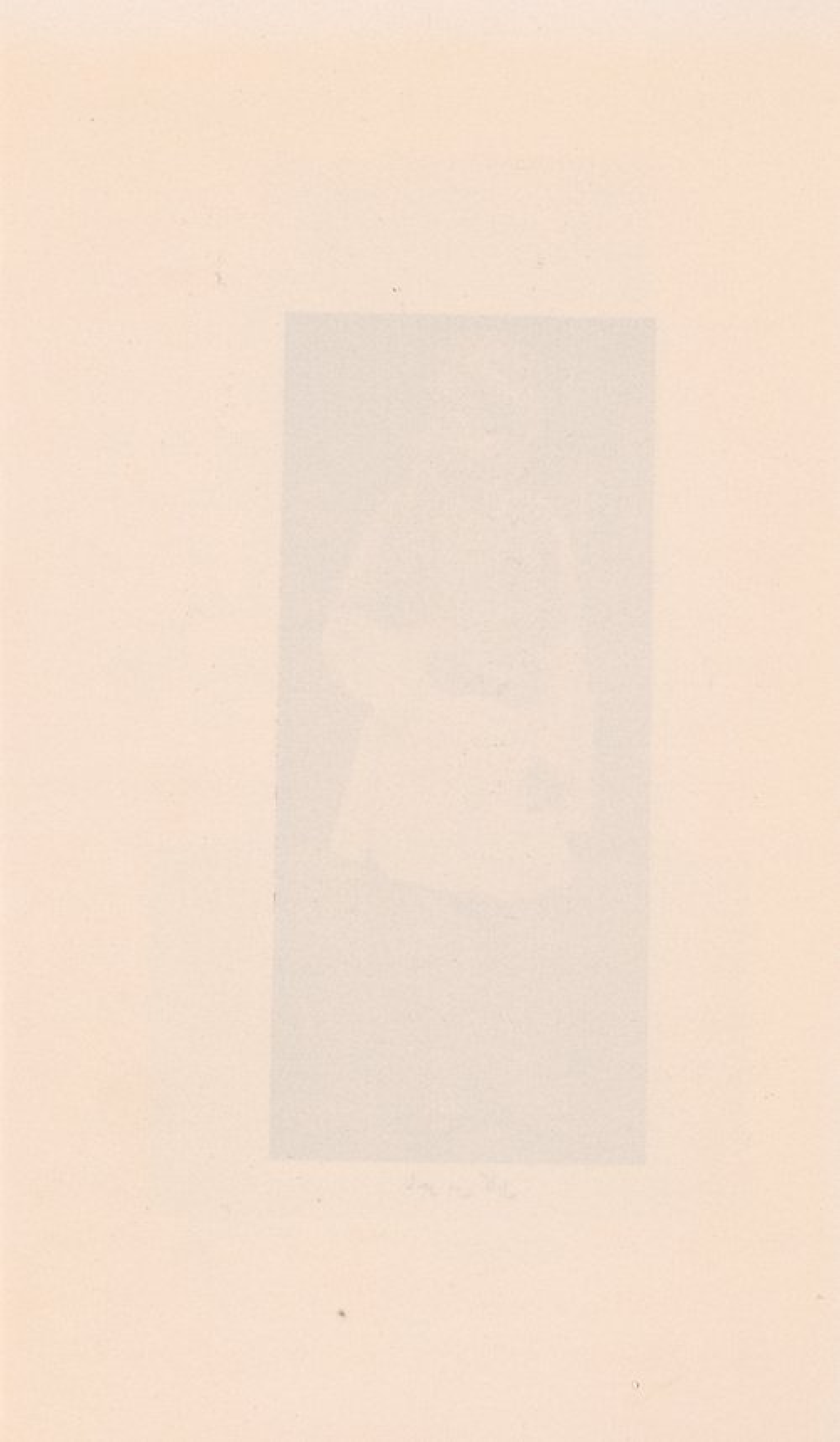


منظر جمع فى كابل





تاجر من كابل



اللغة الأفغانية أو البشتو :

اللغة الافغانية من اللغات الايرانية وهى تتكلم فى البلاد الافغانية و فى غيرها من الجهات المجاورة فى الهند وغيرها .

وقد جاء فى كتاب (انتشار الخط العربى فى العالم الشرقى والعالم الغربى) للمرحوم عبد الفتاح عبادة ملحق ٤٩ ص ٦٧ ، ٦٨ مطبعة هندية سنة ١٩١٥ بمصر ما يأتى خاصاً ب :

اللغة الأفغانية أو البشتوية

تدعى أيضا بالبختويه وهى شائعة فى مملكة أفغانستان وتكتب بالحرف النسخى وحروفها أكثر من حروف اللغة الفارسية وغيرها من اللغات التى تكتب بالخط العربى . وقد دخلها كثير من الكلمات الفارسية والعربية ، وهى فى غاية الخشونة وأحسن من يتكلم بها أهل مدينة قندهار . وتوجد مؤلفات كثيرة بهذه اللغة نظماً ونثراً . وقبل القرن الخامس عشر للميلاد لم يكن فى اللغة الافغانية شىء من الآداب ، ولكن بعد ذلك الوقت نبغ من أهلها شعراء اتبعوا فى شعرهم شعراء الفرس . فتاريخ اللغة الأفغانية قبل ذلك الوقت مظلم ، ولذلك يصعب معرفة الوقت الذى ابتدأت فيه كتابتها بالخط العربى ، وهى على كل حال تكتب به بعد فتوح العرب لبلادها وانتشار الإسلام بين أهلها ، وذلك من قرون عديدة ويزيد الأفغان على حروف الهجاء العربى ١٢ حرفاً ، وهى (ټ) الثاء الموصولة بدائرة من أسفلها وتنطق عندهم مثل الثاء المضعفة (tt) و (ځ) الحاء بنقطتين فوقها وتنطق مثل تز (tz) أو تس (ts) و (څ) حاء بثلاث نقط وتنطق مثل دز (dz) أو دس (ds) و (ډ) الدال الموصولة بدائرة من أسفلها وتنطق مثل الدال المضعفة (dd) و (ړ) الراء الموصولة بدائرة من أسفلها وتنطق مثل الراء المضعفة (rr) و (ږ) بنقطتين واحدة من فوقها والأخرى من تحتها وتنطق

مثل شز (jz) . والحرف ښ يلفظ كالشين فى القسم الجنوبى الغربى من أفغانستان ومركزه مدينة قندهار ويلفظ كالخاء فى القسم الشمالى الغربى ومركزه بيشاور فلذلك تسمى اللغة الأفغانية فى قندهار (بشتويه) وفى بيشاور (پختوية).
و (ڼ) النون الموصولة بدائرة من أسفلها وتنطق مثل الراء المضعفة والنون (rrn) ثم الأربعة الأحرف الفارسية فتكون حروف الهجاء الأفغانية أربعين حرفا ويقدر عدد المتكلمين باللغة الأفغانية بخمسة ملايين نسمة من المسلمين ويستعمل أهل (اللهجات الحميرية) اللغة الأفغانية فى الكتابة بها مطلقا ، واللغة الأفغانية تستعمل فى الهند أيضا ويقدر المتكلمون بها بنحو ١٠٨١٠٠٠ بخلاف اللغة الفارسية فانها لا تستعمل هناك إلا بشكل لغة أدبية أو علمية عند المسلمين اه .

الأربعة أحرف الفارسية تعرف بذوات النقط الثلاث وهى (پ) الباء الفارسية التى تشبه حرف (P) عند الافرنج . وحرف (چ) وينطق (تش) وهى الجيم الفارسية . وحرف (ژ) وينطق مثل الجيم المستعملة فى لسان السوريين والمغاربة أو كحرف (g) عند الافرنج . أو كجيم أهل البحرين المستعملة فى القاهرة

(انتشار الخط العربى ص ٦٢)

ملاحظات على لغة البشتو :

قد أخذت لغة البشتو عن اللغتين العربية والفارسية ألفاظا عدة ومن تلك الألفاظ التى تتشابه بين اللغة العربية ولغة البشتو (سيان كان التشابه ناتجا عن النقل المباشر أو المحرف أو نقلا عن لغة أخرى كالفارسية)

إليك أمثلة من ألفاظ أخذت عن العربية :

أبَا ـ ابتدا ـ ابد ـ ابله ـ أترنك .

(فارسية الأصل يقابلها بالعربية اترنج وهو شجر فاكهة معروفة)

اتفاق ـ اتفاقى ـ اثبات ـ اثر ـ اجاره ـ أجَازَت ـ اَجر ـ اُجرَت ـ اَجَل ـ اَخبَار ـ أختِيار ـ آخر ـ آخرت ـ اخلاص ـ أدَا (بالعربية إداء) ـ

ادب ـ ادنا ـ آذان ـ اَذن ـ ارادة ـ ار باب ـ رب ـ اسـباب ـ استـاذ ـ اسراف ـ اسلام ـ آسى ـ اسـير ـ اشارت ـ أشَر ـ أشهَا ـ اصل ـ اصلى ـ اصيل ـ اطلاع ـ اعتبار ـ اَعجو به ـ اغلب ـ آفت ـ اقبال ـ اقرار ـ اقليم ـ اكثر ـ آل ـ أُلفت ـ الله ـ امام ـ امان ـ اماتت ـ امانى ـ امر ـ امكان ـ امن ـ امير ـ اَمِيل (حمائل) ـ امين ـ انسان ـ انصاف ـ انعام ـ انكار ـ او بال ـ اوتر (ابتر بالعر بية) ـ اوسط ـ اول ـ ايمان ـ باطل ـ باطن ـ باعث باقى ـ بالغ ـ باوسير (بواسير بالعر بية) ـ بحر ـ سخبيل ـ بدل ـ بدن ـ بُرْج ـ بَرْطَرَف (بالطرف) ـ بساط ـ بِسْمِل (بسملة) ـ بسم الله ـ بشر ـ بَشَرِىَ ـ بطْ ـ بَعْد ـ بُغْض ـ بقا ـ بقال ـ بَلْ ـ بلا (عربى بلاء) ـ بلوا بِلَّور ـ بِنَا (بناه بالعر بية) ـ بوق ـ بَوْلَ ـ شهاب ـ شها ـ قاتل ـ قابل ـ قابض وغيرها مئات وألوف من الألفاظ راجع قاموس اللغة البشتيه تأليف هنرى والتر بيلو مساعد جراح بجيش البنغال طبع فى لاهور ـ سنة MDCCCCI

Dictionary of the Pukkhto or Pukshto Language.
Henry Wallke Bellew Lahore. MDCCCCI

آداب اللغة والكتب المؤلفة بها :

توجد بعض الـكتب المـكتوبة بتلك اللغة وأغلبها أشعار كتبت أثناء القرن الحادى عشر الهجرى (المقابل للقرن السادس عشر الميلادى) كما توجد بعض المؤلفات النثرية القليلة سيما ما كان منها خاصا بالتاريخ . ويقول بعض العارفين بأداب تلك اللغة إنهم يتخذون الشعر الفارسى نموذجا لهم فى آدابهم .

كما أن دار مشتتر أحد المستشرقين قد وفق للعثور على أشعار من الشعب والعامة نفسها كلها حماسية حر بية ممزوجة بالأمور السياسية والحب كما جمع بعض الناس أشعارا وقصائد ومقطعات حماسية بلهجات مختلفة فى تلك البلاد .

أما الـكتب الدينية فهى أكثر مما ذكرنا باللغة البَشْتُوِيه

وعدا اللغة الأفغانية توجد لغات ولهجات عدة .

الأجناس البشرية بأفغانستان (١)

يجد الباحث فى وصف الشعوب أن بمملكة أفغانستان صنوفاً من الخلق يجمعها الوطن الأفغانى وإن كانت من أصل غير أفغانى ، وإنا ذاكرون بياناً بأوصاف هذه الأجناس التى تقطن تلك المملكة :

١ — الجنس الأفغانى :

هو أعظم الأجناس بأفغانستان وأكثرها عدداً ، وهو يسكن فى الجنوب ، والجنوب الشرقى من المملكة . وفى وصفه يقول السيد جمال الدين (تاريخ الأفغان ص ٣٣ ، ٣٤ — مطبعة جريدة مصر) :

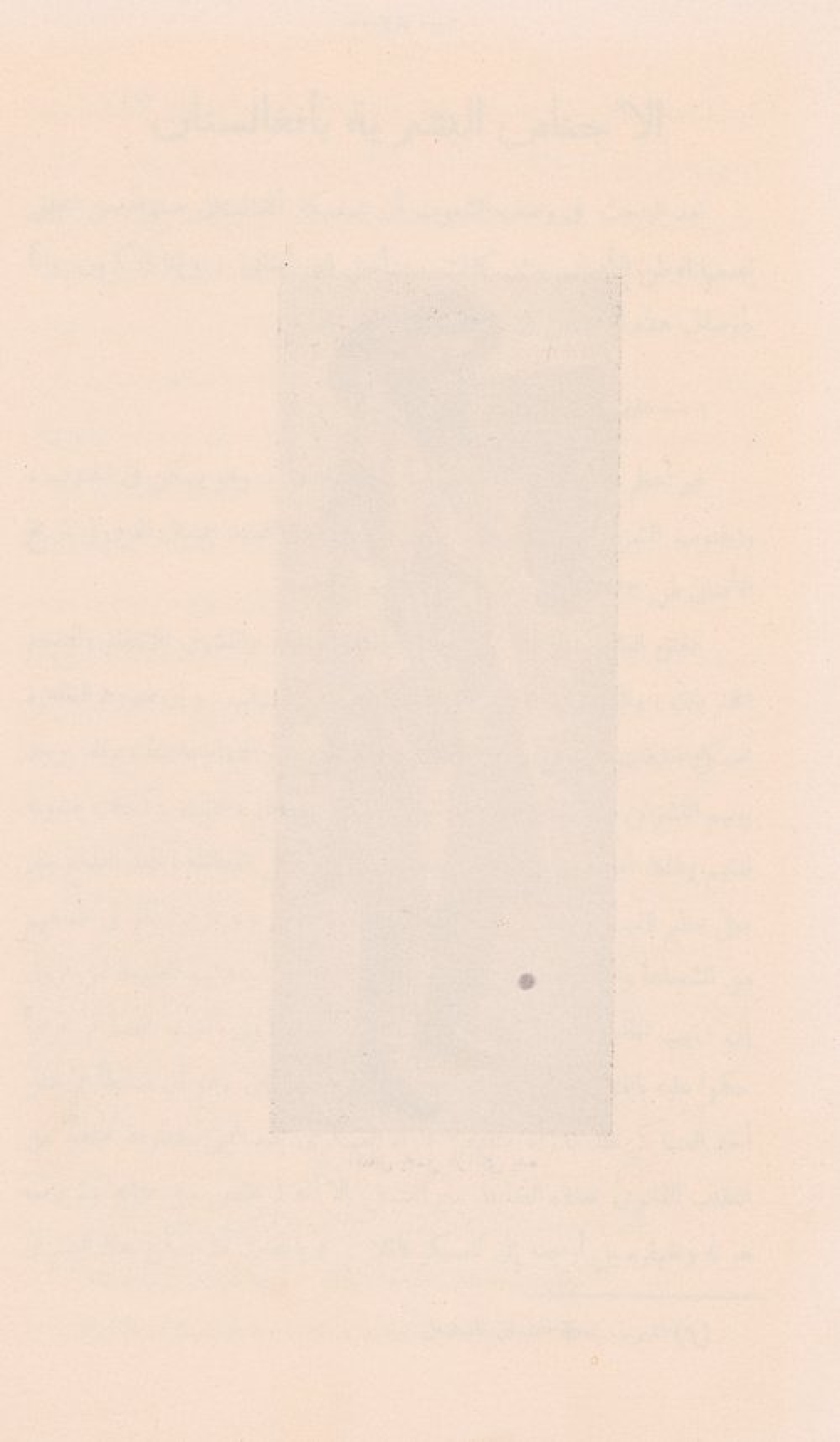
الخلق الغالب فى هذا الجنس هو الحقد والضغينة والتشوق للانتقام واقتحام المحاربات ، والتهور فى المخاصمات والمنازعات لأدنى الأسباب . وإن صورهم الظاهرة تحكى خليقتهم هذه وتنبىء عنها . فإن وجوههم على الدوام عابسة ، وقلما يوجد بينهم البشوش وإن كان يظهر فى بعض معاملاتهم الحلم والتؤدة وكذلك خشونة لغتهم وغلظ أصواتهم يدلان على هذه الخليقة ، وعلى الفظاظة وغلظ الطباع ولهم ميل عظيم للنهب والسلب وشن الغارات وإثارة الفتن ، وبما ارتكز فى طباعهم من الشجاعة والإقدام والميل الطبيعى إلى المحاربة . أرشدتهم الطبيعة من قرون إلى ترتيب نظامهم العسكرى ، ومن عادتهم أنه إذا ولى أحد العساكر فراراً حكموا عليه بالقتل ، ومن ذلك ما وقع فى واقعة أصفهان وهو أن ضابطاً هم بقتل أحد العساكر عند ما رآه متقهقراً فأراه العسكرى يده اليمنى مقطوعة تخلصاً من العقاب القانونى فعافاه الضابط من القتل إلا أنه لم يخلص من عتابه ولم يرضه هربه وتقهقره بل أرجعه إلى المعسكر قائلا : « يا مخنث ألم تكن يدك اليسرى

---

(١) نشرت بمجلة الشبان المسلمين .



أفغاني يحمل بازا على يده



موجودة ؟ فان قطعت أيضاً فعندك أسنان تنهش بها أعداءك فاذهب وقاتل الأعداء إلى آخر رمق من حياتك . . . » انتهى .

وقد وصف السيد جمال الدين طاعة الجند للضباط طاعة عمياء ينفذون أوامرهم بسرعة كبيرة مهما كلفهم ذلك من عناء وشدة .

وكل رجل فيهم مدرب على الطعن والضرب لهم خفة ونشاط فى امتطاء الجياد . ومع سكنى كثير منهم فى المدن والقرى مثل من مالوا للاقامة فى (قندهار) و (غزنة) و (جلال أباد) وغيرها ، ولكن الترف لا يزال بعيداً عنهم لتقشفهم وميلهم للتخشن ، وعدم انكبابهم على ملاذ الحياة الباطلة .

ولذا فلا عجب إذا علمنا أن منهم من يأكل الضأن بجلده . وذلك بأن يذبحوه ويحرقوا صوفه ويجففوه ويدخروه للأكل . وقد وصفهم السيد جمال الدين بما يفهم منه أنهم فى حالة تقشف وبداوة ، وقال : إنهم يلبسون من الألبسة خشنها . فأرباب البادية يصنعون ثيابهم من نوع اللباد على هيئة غريبة بكمين طويلين يشبهان خرطوم الفيل يصلان إلى الأرض ويسمى عندهم (كوس) ، ولهم أيضاً ثوب آخر من هذا النوع إلى الفخذين بكمين قصيرين يسمى (صدرية) وهؤلاء قلما يبدلون ثيابهم قبل البلى .

وسكان المدن يصنعون ثيابهم من الجوخ الغليظ المعروف عندهم (ببركو) فيتخذون منه جبة ضيقة الأكمام قصيرتها ويتقبون بأقبية من القماش الملون المعروف (بالشيت) وثيابهم فى زمن الشتاء من جلود الجمال يبالغون فى دبغها حتى تصير فى اللين والنعومة كالحرير ويصبغونها بلون أصفر بهى ويرقشونها بطراز الحرير ثم يفصلون منها جبباً يتخذها العملة قصيرة تنتهى إلى الركبتين بكمين من المرفق . أما أرباب الصنائع وأوساط الناس فيطيلونها حتى تبلغ الكعبين كسائر ألبستهم بكمين طويلين . وقد يتخذ الأمراء من شيلان الكشمير جبباً

ومن السمور والسنجاب فراء ، وغالب الأفغانيين يعتمون بعمامة زرقاء . وأما السرداريون والعظماء فغالباً يعتمون بشيلان الكشمير ألواناً .

وسكان البلاد الحارة يحتذون النعال و يتخذون صدريات و يلبسون قمصانا تنتهى إلى نصف الساق واسعة الأكمام وغالبهم يتحزم بأحزمة عريضة تشغل ما تحت الصدر إلى الفخذين . وغالب القبائل لا يحلقون رؤسهم و بعضهم يتخذ ضفيرة طويلة من شعورهم .

وأما نساؤهم فإنهن يلبسن ألبسة طويلة و يتمنطقن بمناطق تقرب من الثدى حتى يرى بارزاً . وغالب نساء القبائل الساكنين فى الجبال يقطعن شعور أذناب الخيول و يصلنها بشعورهن .

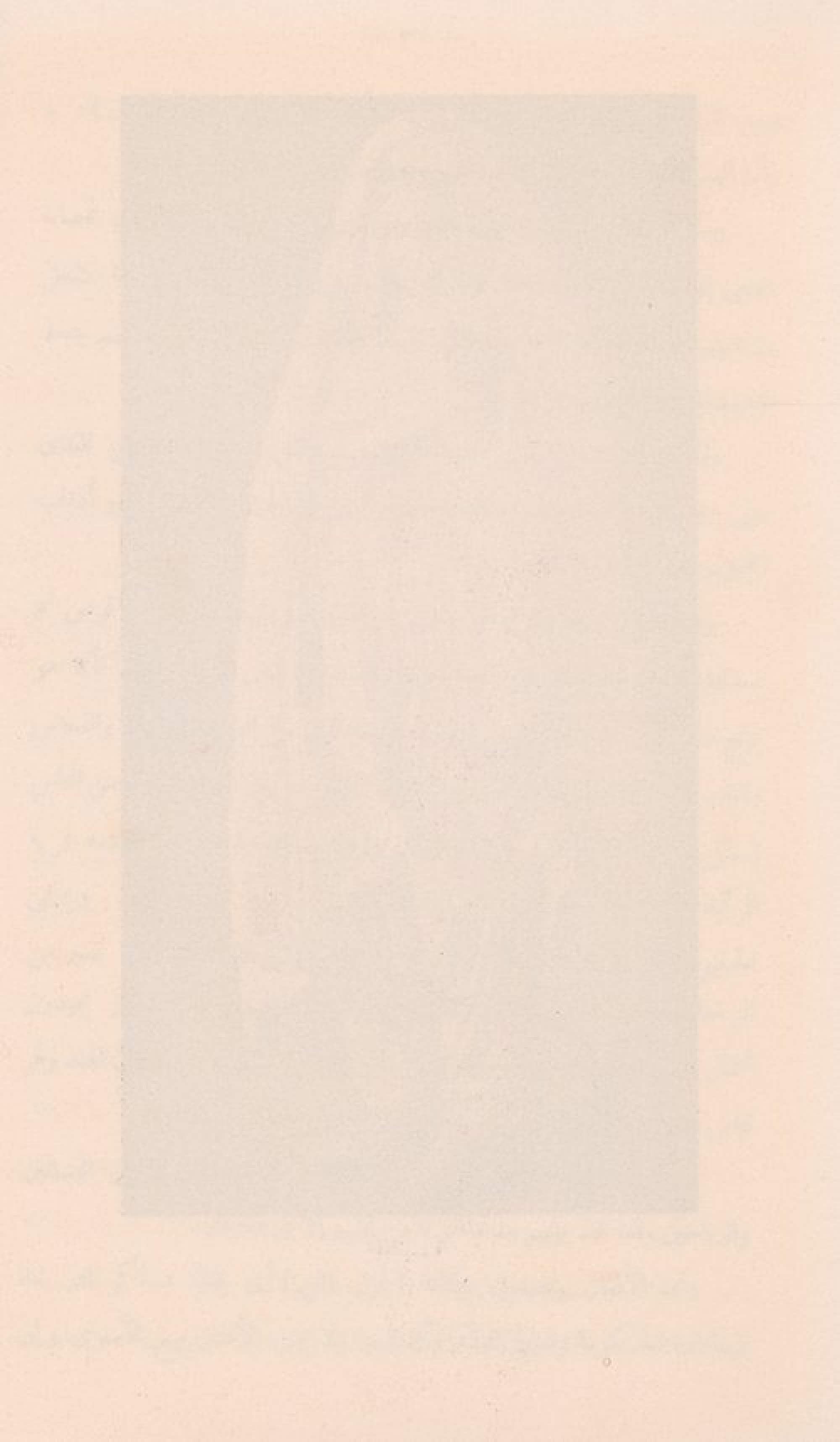
ونساء قبيلة الغلجائى يحبكن شعور نواصيهن و يشكلنها بشكل قرص ثم يسدلنه على الجبهة فيمتد على الصدغين فى العرض و يستر الأنف طولا كأنما هو برقع مستدير و يعلق فى آذانهن حلقات غليظة ثقيلة من الفضة والحديد والنحاس والبلور . والأمراء لا يستنكفون من تناول الطعام مع خدمتهم والأدانى من الناس (مثل هذا يذكرنا بأمراء نجد فقد ركب ولى عهد نجد والحجاز مع خادمه عربة المركبة الثانية لما وجده منفردا بها أثناء زيارته لمصر منذ سنوات) . ويرعى الجبليون منهم و بدوهم الماشية والأنعام و يتعيشون من ذلك مع شىء يسير من الزراعة أما التجارة عندهم فقليلة إلا من قبيلة لوهانى الجبلية فأغلبها تجار يجيدون أعمال التجارة ونقلها حتى الصين وسيبيريا و بلاد الأناضول و يطوفون الهند ولهم لباس يميزهم عن غيرهم .

ويشتغل سكان المدن والقرى بالزراعة وغرس الأشجار وأعمال البساتين والرياحين وقلما تجد بينهم صانعاً أو تاجراً اللهم إلا فى قندهار .

وتجد الأفغان يستعينون بطائفة (قزل باش) أى بقايا عساكر نادر شاه فى إدارة الحكومة وضبط الدفاتر وأعمالها ولا يجيز الأفغان بيع الأسرى وإن



أفغانيـــة



كانوا غير مسلمين وهم يكرمون الضيف والغرباء وقد رأيت ذلك الاعتراف فى كتب السياح الأجانب الذين زاروا بلادهم و يستقبحون السرقة غالباً ولـكنهم يتباهون بالغارة والنهب بأعمال القوة وفقراؤهم يساور نفوسهم الطمع لفقرهم .

ونساء المدن عندهم ساترات الوجوه بينما يكشف نساء البوادى والقرى عن وجوهن و يختلطن بالرجال كما يفعل أهل القرى بمصر . و إذا ما كانت حفلة أو عيد رقصن مع الرجال على هيئة دائرة و يظهر أن الرقص شىء محبوب عند أهالى تلك الجهات .

والأفغان سنيون على مذهب أبى حنيفة لا يتساهلون رجالا ونساء الحضر والبدو منهم فى أمور الدين وفى الصلاة والصوم عدا طائفة (تورى) فهم من غلاة الشيعة . و يقال إن عند بعض قبائل (طاكر) بقايا من الطريقة (المزدكية) و إن كانوا مسلمين وهى طريقة فارسية قديمة إباحية تبيح الاشتراك فى الأموال والنساء .

وفى أهالى (خست) و (كرم) بعض من عادات الخوارج والنواصب . منها أنهم يصورون فى غرة محرم ويدفنونه و يخرجونه فى اليوم العاشر منه و يكسرون عنقه مهللين مستبشرين وهؤلاء يستقبحون الختان أيضاً (تاريخ الافغان ص ٣٧) .

ومع تمسك الافغان بالدين الحنيف فانهم يبيحون الحرية الدينية لغيرهم من المذاهب والديانات الأخرى . بل نرى كثيراً من الشيعة فى أعلى مناصب الدولة .

والأفغان فخور بنسبه لأمته ولبلاده التى هو منها . ومن أفضل ما فيهم اجتماع أمراء قبائلهم للمداولة والمشورة فيما بينهم إذا أريد إبرام شىء .

ومسألة الأخذ بالثأر عندهم شائعة و يلزم كل فرد من قبيلة قتل أحد أفرادها أن يقتل أحداً من رجال قبيلة القاتل مهما تطاولت الأعوام ، ولا يقتنعون بقصاص الحاكم الا إذا استجار بهم القاتل ، والحال كذلك فى الأسير .

ويعترف الأجانب الذين زاروا تلك البلاد بحماية الأفغان لضيفهم ، و بذل المعونة إليهم بدمائهم وأموالهم . والبدو والحضر منهم مسلحون غالباً بالسيوف الصغيرة أو الخناجر والآلات الأخرى كالبنادق والمسدسات والطبنجات .

وسكان البلاد الباردة (كخست) و (كرم) بيض الألوان غالباً . أما فى الجهات الحارة كما فى (قندهار) و (جلال أباد) فانهم سمر .

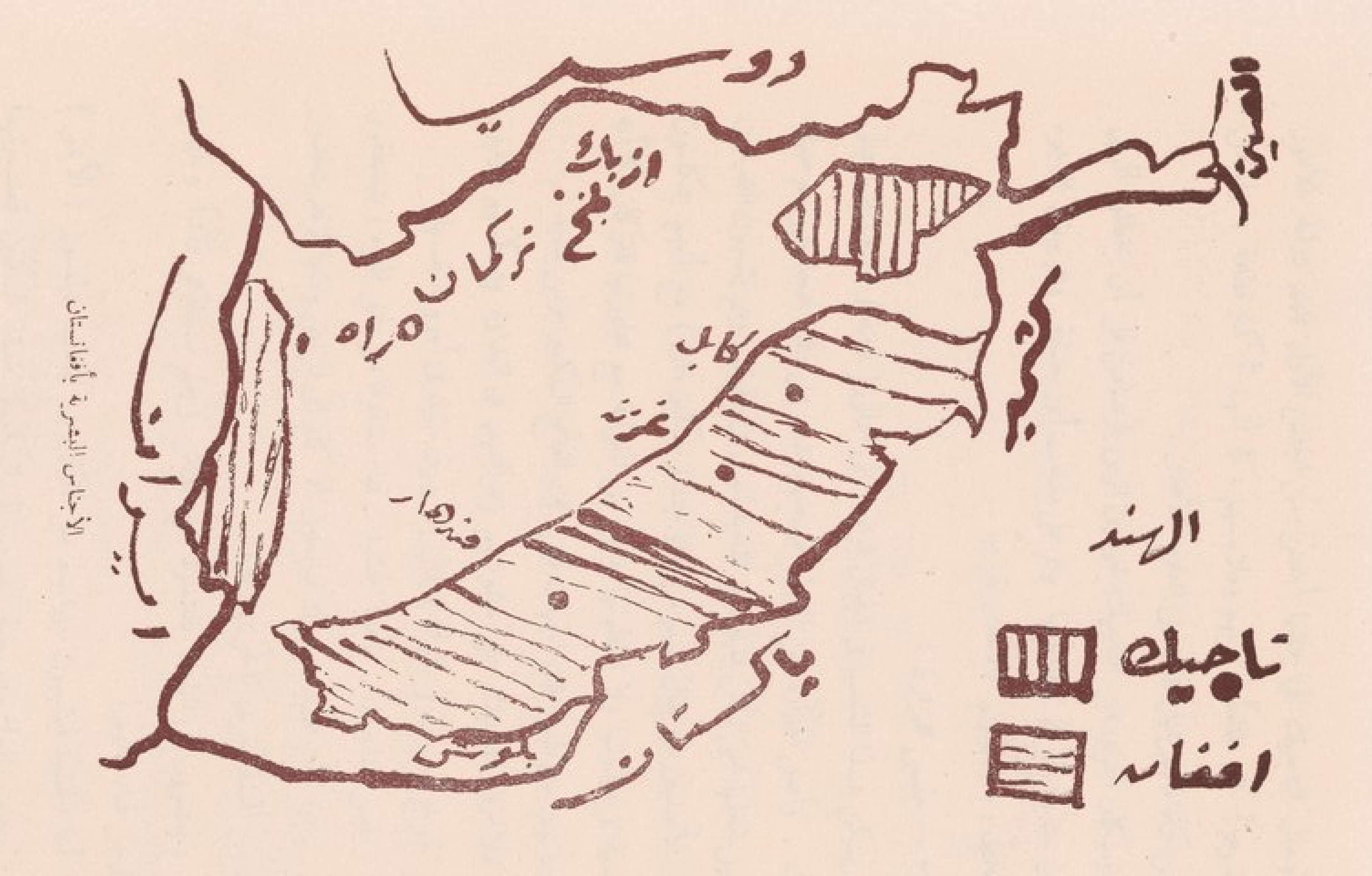
أما العلوم التى يميلون إلى مدارستها ومطالعتها فهى : الصرف والنحو والمعانى والبيان والفقه والأصول والتفسير والحديث والمنطق والفلسفة والهيئة والهندسة والحساب ، ومنهم من يتعلم الطب ، وكثيراً ما تتكفل العامة بارزاق الطلبة ، بتخصيص جزء مما يملكون لهذا العمل المجيد ، وذلك مما يدلنا على حبهم للعلم ونشره ، كما يعرف عنهم حبهم للعلماء وتبجيلهم ولذا تجد للعلماء مركزاً مهيباً فى نفوسهم وتأثيرا عظيما عليهم ، وإن كان بعضهم أو بعض من تسمى بسمة العلم قد أساء التصرف أحياناً حتى سالت الدماء وقامت الحزازات بسببه .

أما عن اللغة الأفغانية فيقال إنها خشنة وحروفها الهجائية أكثر عددا من حروف الفارسية . وأحسن من يتكلم بالأفغانية سكان (قندهار) . ولهم مؤلفات قليلة بالأفغانية نظما ونثراً .

٢ — جنس تاجيك :

منه أغلب سكان هرات وضواحيها ومدينة كابل والقرى الواقعة بينها و بين بلخ وسكان غزنة و بعض قرى تجاورها ولقمان وقصبة لقمان و بعض قرى قندهار وأغلب سكان مدن بلخ .

وهو شعب جد واجتهاد ، وحريص على تعاطى الحرف والصنائع كالحياكة والنجارة والحدادة والبناء وغيرها ، وله معرفة بالزراعة وتربية الأشجار والكروم ويعنى بالتجارة . . . . ويميل من يسكن منهم فى (قوهستان كابل) إلى الشر والفساد وحب القتال وسفك الدماء .



الأجناس البشرية بأفغانستان



وحال التاجيك فى جملتها أحسن من الجنس الأول فلهم دراية بالأمور المنزلية وهم أكثر نظاماً فى زيهم وملابسهم ، كما أنهم أكثر نظافة ، ولكن قلّ من تراه منهم يميل لتحصيل العلوم كالأفغان .

وسكان القرى من التاجيك يجيدون الرمى بالرصاص قل أن يخطئوا المرمى يحملون خناجر طويلة يتقلدونها . وهم على مذهب أبى حنيفة . وهم بيض الوجوه فى الغالب ، ويعتمرون كالأفغان تقريباً .

٣ — جنس هزارة :

يسكن هـذا الشعب فى الجبال الواقعة إلى شمالى (غزنة) الممتدة إلى شمالى هرات . وأصل الهزارة من المغول فسحنهم تدل على ذلك فتجد عيونهم ضيقة مع ميل لحاظها نحو الرأس قليلو شعر اللحية تنبت فى ذقونهم وهم يشبهون الصينيين والتتر الأصليين ، ويقال إنهم من بقايا جند (جنكيزخان) مع أنهم يتكلمون الفارسية ويجيدونها ولا يخلطونها بشىء من المغولية مع مجاورتها للتركمان كما أنه يقال بأنهم استوطنوا تلك الجهات قبل ذلك الفاتح الكبير بزمن مديد .

ولا يزال التاجيك على خشونتهم وعراقتهم فى البداوة ولكنهم يجيدون صنع الجوخ المعروف (بالبرك) يقال إنه يفوق مثيله فى أوروبا نفسها .

ويلبس التاجيك ـ ماعدا الجمشيد ـ قباء مشقوقا من متنى ظهره ويتمنطقون عليه . وإذا كان القباء من برك فيجعلون الاكمام إلى المرافق ومنها الزند يتخذون ذلك من أقمشة أخرى كالحرير وغيره .

ويعتمرون فى الشتاء بقلنسوة من القماش ويعتم نساؤهم دائماً ويلبسن كالرجل قباء مثلهم .

أما الجمشيد فيشبهون جيرانهم من التركمان فى لباسهم فيلبسون (الأيمق) وهو نوع من البرك وهو جبة تضرب إلى الكعبين ضيقة الكمين قصيرتهما ويعتمرون بقلنسوة من الفراء تسمى (پاپاق) والجمشيد فرسان مطبوعون على

النهب والسلب وشن الغارات كجيرانهم ولهم شجاعة و إقدام معروف و يجيدون الرمى ككل قبائل هزارة .

والهزارة شيعة إلا (الجشيد) و (شيخ على) وهم يغالون أحياناً فى تشيعهم بما ليس فى الدين من شىء والدين براء منه ، وأغلب معاملتهم على سبيل المقايضة.

٤ — جنس الأزبك والتركمان :

وهم من أصل تترى يتكلمون الآن التركية ويسكن الأزبك فى جهات بلخ ويسكن التركمان فى الجهة الواقعة بين مدينتى ميمنة وهراة . وهم على مذهب أبى حنيفة ويشتغل الأزبك (ويقال إنهم ينسبون إلى أحد حفدة جنكيزخان) بالحرث ويعنون بالكروم والأشجار ويقتنون المواشى .

ولهم عمائم صغيرة يسدلون عذبتها على آذانهم ويرتدون جبباً حريرية ، أومن غير الحرير مبطنة بقماش سميك وشيء من القطن ، وبعضهم يلبس ثلاثاً أو أربعاً من هذه الجبب بعضها فوق بعض .

وهم فرسان حاذقون يجيدون الطعن والضرب ، وهم يرغبون في شرب الشاى ويأكلون لحم الفرس ويوجد منهم بعض من العلماء .

ويلبس التركمان جبباً من (جوخ البرك) ويعممون بقلنسوة من الفراء تسمى (پاپان) .

وهم يعنون بتربية الخيل وهى من أصول عربية جلبها (نادر شاه) من نجد ويتعيش كثير منهم من السلب والنهب وهم فى حالة أقرب للوحشية ويغيرون على بلاد إيران وأطراف هراة يبيعون من أسروا بيع الرقيق ويتصفون بالظلم والشر ، والتركمان قليل عديدهم فى أفغانستان .

٥ — جنس أو طائفة الشرفاء :

وينتسبون إلى أولاد على رحمة الله عليهم ويلقبون بالسادة .ويسكن بعضهم

فى بشنك من نواحى (قندهار) ويسكن آخرون فى ولاية (كنز) قرب (جلال آباد) وقد ظهر فى هؤلاء الكبراء والعظاء منذ أيام (بابرشاه) حتى اليوم ويجل الأفغان هذه الطائفة على وجه عام وهم يماثلون الأفغان عادات وأخلاقاً وملابس .

٦ — جنس قزل باسه (أحمر الرأس بالتركية) :

وهم بقايا جند الصوفيين الشيعة وكانوا يعتمرون بعمائم حمراء فعرفوا بها . وجلهم يسكن فى كابل والباقى فى غزنة وقندهار وهم من البلاد الايرانية جاء بهم نادر شاه إلى أفغانستان .

ويعرف القزل باش بالحذق فى الآداب والصناعة وإدارة الدواوين وجل موظفى الدواوين منهم هناك . ويعهد إليهم الأمراء فى أمر تهذيب أنجالهم وتعليمهم وتأديبهم .

وللقزل باش فطنة وذكاء ويعرفون بالنظافة عن غيرهم من مواطنيهم ولهم إقدام وشجاعة .

٧ — جنس البلوج :

ويسكنون جنوب قندهار قرب (بشنك) وهم من أصل فارسى وهم يرسلون شعورهم ويدهنونها وينتعلون ويضعون نجاد سيوفهم على عواتقهم يحملونها عليها ويعرفون بالقسوة والغارة والسرقة كما يعرف فيهم الكرم . ولا يعرفون من الإسلام إلا القليل كالشهادة واسم على رضى الله عنه كما أنهم لم يتهذبوا بآداب الإسلام لجهلهم بها وميلهم للشر وغلظة القلب ويقال إن منهم طائفة تسمي (بمرى) تغير على القوافل وتأبى إلا قتل رجالها زعماً منها أن الأموال لاتحل مادام أربابها على قيد الحياة (تاريخ الأفغان للسيد جمال الدين ص ٤٢)

٨ — عباد الأوثان من الهند :

ولهم معابدهم ومحارقهم للموتى و يرسلون رمادهم إلى نهر (السكنج) وأغلب ما يتعاطونه التجارة والصيرفة ، وهم يحتفظون بمــا لهم من معتقدات فلا يتناولون طعام من ليس منهم ولا شرابه و يتجنبونه جد التجنب .

بطولة الأفغان

جاء فى ص ٩٧ ، ٩٨ من كتاب تايلور مامعناه : (١)

انه أثناء زحف الحملة البريطانية على أفغانستان فى سنة ١٨٤١ و بعد أن وصل الجيش إلى قندهار أرسلت بعض الجمال مع جاويش وستة رعاة للمرعى فانقض عليهم الأفغان فقتلوا الستة ولم ينج إلا الجاويش فرجع وأخبر القوم ماحدث لزملائه وغنيمة الأفغان للجمال .

وحدث أن قبض على اثنين من الأفغان الذين قاموا بمثل تلك الأعمــال وأريد أن يضع الانجليز حداً لتلك الخسائر المتوالية المتعددة وأن يجعلوا من المقبوض عليهما عبرة لمن اعتبر . وقدم الاثنان للمحكمة العسكرية مكونة من ضابطين وطنيين وحكم على الاثنين بأن يوضعا على فوهة مدفع يطلق منه قنبلة على كل منهما و يكون ذلك فى سوق قندهار .

وجىء بالأفغانيين وأمرا أن يقترعا على من ينفذ فيه ذلك الحكم الوحشى . فتقدم أصغرهما سنا وكان فى التاسعة عشرة من عمره وكان منظره يدل على الحزم والإقدام جعل الناس يعجبون من أمره و يعطفون عليه وتقدم الفتى غير هياب ولا وجل وعانق فم المدفع فأطلقت منه قنبلة عليه مزقته شر ممزق وتطايرت بقاياه فى الهواء . وكان الثانى رجلا أشيب قد جاوز الستين جلس ينظر إلى ذلك المنظر

(1) Seenes and Adventures in Afghanistan By William Taylor Late Troop Sergeant-Major of the Fourth Light Dragoons. London 1842

الوحشى الرهيب وهو يدخن غير هياب ولا وجل . ولما أمر أن يقف موقف صاحبه لم تبد منه أى بادية خوف ولا رهبة وقبل أن ينفذ فيه الحكم جاءه العفو من شاه شجاع الملك ونجا من مخالب الموت التى كانت اليه دانية جد دانية .

بطلة أفغانية

وذكر وليم تايلور أيضا فى كتابه (مناظر ومخاطر فى أفغانستان ص ١٣٢ ، ١٣٣) ما معناه :

بينما نحن نناجز الأفغان ويصدوننا عن دخول القلعة (قرب غزنة) حدث أمر عجيب استرعى أنظار المحاربين . وذلك لأن أحد شيوخ الأفغان المقدمين كان يتقدم الصفوف مجاهدا وقد بهر الأنظار ما عليه من فاخر الثياب وقد كانت عمامته وأسلحته محلاة بالجواهر الكريمة ، وكان ذلك سببا كافيا لهجوم أعدائه عليه طمعا فى الغنيمة وسلبه إذا ما قتلوه فكثر الهاجمون عليه وهو يدافع عن نفسه دفاع الرجل المستيئس الذى لايرغب فى الحياة بعد ولكنه كان يود أن يكلف أعداءه إذا مات ثمنا باهظا وأرواحا عديدة . فأخذ يمعن فى قتل العديدين وجرح غيرهم وعاجله أحد الأعداء بطعنة من سنجته سقط منها قتيلا مضرجا فى دمائه على الأرض وأراد القاتل أن يقضى عليه القضاء الأخير وإذا بفتاة جميلة فى السابعة عشرة من عمرها قد اندفعت وسط المعمعة وتقدمت الصفوف وطعنته بخنجر فى صدره وارتمت على جثة الشيخ القتيل تستره بجسمها وتحميه من الأعداء وأحاط جماعة من الأفغان بها وجعلوهما فى حصن حصين من أبطال شجعان وثبتوا فى موقفهم ذلك حتى تمكنت الفتاة من نقل الجثة إلى داخل الحصن . ولما خلا المكان رؤيت وهى تبكى على جدث الهرم الباسل وكانت تبكى أبا أحبها وأحبته ووالداً نجيباً أنجبها .

تاريخ أفغانستان قبل الإسلام :

جاءت قبائل إيرانية وامتلكت الجهات التى نعرفها نحن اليوم باسم أفغانستان منذ أن بدىء بتدوين التاريخ قديما وإنا لنجد من بين مؤلفى (الافستا) من يذكرلنا أسماء بعض الجهات بأفغانستان الحالية الباقية الآن وإن تبدلت الأسماء بغيرها فيما بعد وربما كانت بعض الأعمال العظيمة الموجودة فى وادى هلمند وغيره من آثار ذلك العصر ويظهر أن وادى هلمند وسجستان وهراث كانت من بين الجهات التى كان يعرفها قدماء الايرانيين معرفة جيدة كما أنهـا كانت ضمن الامبراطورية الاخامينية التى ذكرها هيرودوتس وذكر قوائم بأسماء ملوكها . وكان يدخل في حدودها بلاد سجستان وهرات وبلخ وجندهارا الهندية الواقعة فى وادى كابل كما كانت قندهار جزءا من تلك المملكة السالفة الذكر .

ثم اجتاح اسكندر الأكبر تلك البلاد وقضى على مملكة الأخامينيين . ولما مات الاسكندر . كانت تلك البلاد والأقاليم الشرقية الأخرى من نصيب سلويكوس Seleucus ولكن المملكة الهندية المنافسة للدولة الجديدة كانت تزحف على تلك البلاد الهندية وقد تم لأحد ملوكهـا أن يستعيد ما افتتحه الاسكندر من البلاد الهندية وأن يمتلك الأقاليم الواقعة جنوبى الهندوكوش . ويظهر أن الحال استمر على هذا المنوال حتى كانت سنة ٢٣١ قبل الميلاد وبدأت تلك الدولة الهندية فى التضاؤل . وقد ظلت دولة سلويكوس تحاول عبثا أن تفتح طريقا إلى السند كما فعل الاسكندر من قبل .

ثم زحف انتيوخوس الكبير حوالى سنة ٢٠٦ قبل الميلاد وغلب أحد ملوك الهند ولكنها كانت غزوة قصيرة المدى . وليس للتاريخ علم أكيد بما كانت عليه البلاد أثناء ذلك ، ولكن يظن أن ملوك الهند لم يجدوا أى عون من إيرانى تلك الجهات .

ثم نرى فى صفحات التاريخ دولة (بَـكْتْريا) التى قامت بجهات بلخ وظلت الدولة الإغريقية بتلك البلاد وقد امتد ظلها حتى بلاد الهند .

ولما كانت سنة ١٤٠ قبل الميلاد أغار عليهـا جماعات من البرابرة هدوا أركانها وقضوا عليها ، وإن ظل بعض الملوك الاغريق يحكمون جنوبى الجبال . واشتهر من بينهم الملك ميناندر ملك كابل وقد غزا الهند وتوغل فى أرجائهـا ويمكن أن يقال إن ذلك الغزو قد تم سنة ١٥٥ قبل الميلاد ولا تزال آثار النقود التى سكت باسمه وأيام حكمه توجد بكثرة حتى الآن .

ثم أخذت تلك الدولة فى الانقسام وكان آخر ملوكها الاغريق سنة ٤٥ ق . م وقد ظل جزء كبير من بلاد أفغانستان يحكم أولئك الملوك الاغريق وإلى جانبهم بعض الزعماء البرابرة منذ سنة ١٤٠ ق . م واستمر الحال كذلك إلى قرنين اثنين منذ ذلك التاريخ .

أما أولئك البرابرة فقد كان بعضهم من الجنس الإيرانى والبعض من قبائل البامير ومغول وغيرهم .

وإنا لنضرب صفحا عن تلك الدويلات والحكومات العديدة التى قامت فى تلك الجهات أو قريباً منها أو تلك الغزوات وتلك الفتوح الكثيرة أثناء ذلك العصر المظلم وما تبعه من العصور كنا نرى فيها تلك البلاد وبعضها يستقل فتغير عليه دول هندية ثم دول إيرانية ونرى تلك البلاد الأفغانية أو بعضها فى حكم بنى ساسان وغيرهم . بل إنا نرى الهون البيض يغيرون على تلك البلاد فى الجزء الأخير من القرن الخامس الميلادى ويقوضون حكومة الكوشان فى أفغانستان ثم حدثت غارة جديدة قضت على تلك الحكومة البربرية وكانت تلك الغارة آتية من الجهات الشمالية وقد عمل كسرى أنوشروان على مساعدتها وحالفها فى أعمالهـا وغاراتها .

وظل بعض الرؤساء الكوشان يحكمون فى كابل باسم (شاهى) حتى سنة ٨٨٠

ميلادية حينما ظهر المسلمون وكان ملوك البراهمان قد بدأوا حكومتهم جنوبى وادى كابل . وقد ذكر البيرونى اسم أحد هؤلاء الملوك المسمى (فانيق) وكان من عظماء المجوس (البوذيين) . وقد ذكر البيروني بعض أسماء ملوكهم وإن كان قد حرفها أو مسخها عن أصلها الموجود على نقودهم أو بعض مخلفات آثارهم وإن يكن البيروني قد خص أولئك الملوك المجوس بالمدح والثناء .

ذلك مختصر صغير عن تاريخ أفغانستان قبل الإسلام فلننتقل إلى تاريخها منذ غزتها جيوش الموحدين .

بلاد الأفغان

الفتح الإسلامى

الفتح العربى الاول :

يرجع عهد أفغانستان بالإسلام والمسلمين إلى أيام عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ، لما أرسل والى البصرة عبد الرحمن بن سَمُرة لفتح سجستان فحاصر (زارنج) وافتتحها . (واسمها الحالى زاهيدان ، ولا تزال آثارها باقية إلى الآن) . ثم إنه أخضع البلاد الواقعة بين (زارنج) و (كِشْ) ومن الرُّخَج إلى (دَاوَر) (زاميناداور) كما أنه أخضع جبال زور (ولعلها الغور) . وهناك كسر صنما من ذهب له عيون من ياقوت : وقد احتل مدينة (بُسْت) حاضرة (زاميناداور) . ثم تقدم وسط (زابول) قرية من وادى (تارناك) و (غزنة) إلى مدينة كابول . وهناك أسر الشاة ويظهر أنه أحد أقيال (كوشان شاهى) من ملوك تلك الجهات حينئذ . وقد تمت تلك الفتوح الأخيرة أيام الخليفة معاوية ابن أبى سفيان الأموى . ويظهر أن هذا الفتح لم يستمر ، مع أنه قيل إن الشاه

اعتنق الإسلام ، وإن ظلت سيستان نفسها وهى القريبة من كرْمَان خاضعة لذلك الفتح العربى الأول .

الفتح العربى الثانى :

وقد ظلت قاعدة للغارات التى شنت على مملكة كابل . وقد حاول عبيد الله ابن أبى بكر (سنة ٧٩ هـ الموافقة سنة ٦٩٨ م) أن يفتح تلك الجهات ولكنه لم يفلح . واضطر أن يفدى نفسه وجيشه بمبلغ من المال مقداره سبعمائة ألف درهم . ثم أرسل الحجاج حملة أخرى سنة ٨١ هـ (٧٠٠ م) يقودها عبد الرحمن بن الأشعث . وكان نصيب تلك الحملة الفشل . وقيل : إن القائد المذكور اتحد مع الشاه لما لحقه من العار . وانتهى أمره بالانتحار .

وقد ذكر اليعقوبى أنه فى أيام هارون الرشيد قد أرسلت حملة إلى كابل . ولكنها استرجعت مرة أخرى . والتاريخ يحدثنا بثورة الخريدية الزنادقة فى سجستان أيام المأمون الخليفة العباسى وقواده من بنى طاهر .

الصفارية :

ثم قام يعقوب بن الليث الصفار فى سنة ٨٦٠ ميلادية ، وقد وطد دعائم ملكه فى سجستان . وامتد حكمه إلى جارُم (أعنى جارمسر فى الهلمند الأسفل) وكذا فى زابلستان ، حتى إنه امتلك الرخج وغزنة وكابل ، كما أنه أسر الشاه . وقد طالت أيام فتوحه أكثر ممن سبقه . وقد سك النقود باسمه . ووجد بعضها مسكوكا عام ٢٦٠ هـ (٨٧٣ ـ ٨٧٤ م) كما سك الليث بن على نقوداً فى بست سنة ٢٩٨ هـ ٩١١ م .

السامانية :

وما زال الأمر لبنى الصفَّار حتى ظهرت السامانية ، وقويت دولتهم ، فاكتسحت أمامها الصفارية و بقايا بنى طاهر . وقد هزم اسماعيل السامانى عمراً

الصفارى فى بلخ سنة ٢٨٧ هـ (٩٠٠ م) وأسره . وظل فى أسره حتى مات . وبذلك فقدت الدولة الصفارية ما كان لهم من ملك فى بلاد إيران وخراسان . ولكن ظلت سجستان فى حوزتها ، كما ظل الجزء الواقع بينها وبين قندهار وربما امتد ظلها حتى كابل نفسها . ولكن بقية الصفارية ظلت تحكم باسم السامانية . وظل بعض أفرادها ولاة حتى أيام ملوك الغزنويين والدولة الغورية فى تلك الجهات .

ولا يمكن تحديد ما كان لبنى سامان من الأمر وما كان لهم من نفوذ فى أفغانستان . ولكن يقال إن اسمعيل السامانى امتد حكمه حتى الهند . وقد تقلص ظل الصفارية حتى اقتصر أمرهم فى سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) على سيستان فحسب . ويظهر أن جل أفغانستان ظل مستقلا يحكمه أمراء ورؤساء من أهل البلاد . وربما ظل بعضهم على معتقداتهم . وبقى بعضهم على مذهب زرادشت ، كما كان بعضهم بوذيا أو وثنياً له دين آخر .

وفى سنة ٣٥٠ هجرية (٩٦١ ميلادية) ثار مملوك تركى يدعى البتكين وكان حاجباً عند عبد الملك من ملوك السامانية ، وعصا خليفته منصور ، واحتل غزنة وخلع أميرها (لاوك) الصاحب ، ويظهر أنه كان من بقايا رءوس الكوشان . ثم انه أخضع زابلستان وأسس مملكة جديدة مستقلة ، وكان جيش من الأتراك تحت إمرته ، ثم خلفه ابنه اسحاق الذى حكم من سنة ٣٥٢ حتى ٣٥٥ هجرية (٩٦٣ — ٩٦٥ ميلادية) . ثم أعقبه أحد مماليك البتكين وكان مملوكا تركيا اسمه بَلْكتكين ، ولما مات هذا خلفه سُبكتكين وكان أحد مماليك البتكين أيضاً .

المملكة الغزنوية :

وأسس بذلك المملكة الغزنوية ، وسك نقوداً ، وامتد نفوذه فى زابلستان وزامنداور وغور ، وانقض على (جايبال) ملك (أوهند) الهندوسى ، وعهد

إليه الأمير نوح السامانى بحكومة خراسان أيضاً . وبدأت الدولة السامانية فى الاضمحلال ، بينما كانت الدولة الغزنوية تقوى وتكبر .

ومات سبكتكين سنة ٣٨٧ (٩٩٨) فخلفه ابنه إسماعيل .

محمود الغزنوى :

ولكن أخاه محمود خلعه سنة ٣٨٩ هـ (٩٩٩م) ، وثار الثوار على سادة الغزنويين من بنى سامان ، ولكن محموداً سعى فى بقاء ملكهم الوهمى ، واتخذ محمود بلخ عاصمة لملكه ، وقد أرسل إليه الخليفة القادر العباسى بالتأييد ، ودعاه (يمين الدولة وأمين الملة) وأسقط اسم الدولة السامانية ، وقد عرف محمود بالسلطان ولكن يقال : إن ذلك اللقب لم يظهر على نقوده ، كما لم يفعل ذلك أسلافه . ويقال : إن أول من اتخذ ذلك طغرل بك سلجوق سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) . وقد أطلق على محمود ألقاباً أخرى مثل (نظام الدين) و (ملك الملوك) و (ملك الممالك) .

فتوح الهند :

ولمحمود هذا فتوح عظيمة فى الهند وإيران . وكانت غزنة وسطاً بين ممتلكاته الشاسعة ، وقد ظل بعض الأمراء والرؤساء يحكمون فى سجستان وغور وفى القبائل الأفغانية فى جبال سليمان باسم ملوك الغزنويين .

وقد ذكر العتبى أنه لما سار إلى بلخ لملاقاة الك خان كانت جيوشه مكونة من هنود وخلج وأفغان وغزنويين ، ويظهر أن الهنود كانوا من مملكة (أوهند) الهندوسية التى كان قد افتتحها ، ولم يقتصر جيشه على من ذكرنا ، بل قيل إنه كان عنده عدد كبير من فرسان العرب والكرد أيضاً . أما الغزنويون فيظهر أنهم كانوا من التاجيك من ولاية زابلستان .

وكانت أولى غزوات محمود الهامـة تلك التي وجهها إلى مملـكة (أوهند) أو (وايهند) الهندوسية ، وكان قد سبق لسبكتـكين أن اشتبك معهم فى حرب . وقد تم له أن افتتح (جايبال) سنة ٣٩٢ هجرية (١٠٠١ ميلادية) ، وجايباك هذه قريبة من بيشاور كما سقطت حاضرة (وايهند) .

وظل محمود يغزو الهند ويتوغل فيهـا المرة بعد المرة ، كما وطد حكمه فى أفغانستان وكان سبق لسبكتـكين أن احتل (زامنداور) و (غور) و (بُسْت) حاضرة (الهلمند) ولـكن البلاد الجبلية ظلت غير خاضعة . فرأى محمود أن يقوم بتلك المهمة وقد ظل محمود فى حروبه هناك من سنة ٤٠١هـ حتى ٤٠٥هـ (١٠١٠ — ١٠١٤ م) وكان رجالها لا يزالون على دينهم كما يذكر البيهقى عنهم ذلك .

وفى سنة ٤١٤ هجم بجيوشه على الجبال الأفغانية فى جهات سليمان ، وسباهم ، وغزا بلادهم ، وكانوا يعثون فى الأرض فساداً من قبل .

وفى (حاضر العالم الإسلامى) تعريب الأستاذ (عجاج نويهض) ج ١ ص ٩٠ — ٩١) الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ يقول الأميرشكيب أرسلان مانصه :

ولعمري لو لم يبق للاسلام فى الدنيـا عرق ينبض لرأيت عرقه بين سكان جبال الحملايا فالهندكوش نابضاً ، وعزمه هناك ناهضاً ، ألا وانه من هناك غزا الفاتح العربى محمد بن القاسم فى صدر الإسلام الهند ، وفتح السند (٧١٢ ميلادية) ووصل إلى حدود المبتان ، ومن تلك الجبال انحدر ذلك المجاهد الـكبير اسكندر الإسلام ، وحامى المعارف والعلوم فى عصره السلطان محمود بن سبكتـكين الغزنوى التركى فى أوائل القرن الحادى عشر للميلاد ، ودوخ الهند من أقصاها إلى أقصاها وتألب عليه رجاوات (ملوك) لاهور وأنانغبال ودهلى واجمير وقنوج وغفاليور وكالنجار وأودجين حزمة واحدة . ووقف العالم البراهمى بازاء العالم الإسلامى . واصطفت الأقران ، وانتصب الميزان فأدال الله للعالم الإسلامى من العالم البراهمى فى واقعة (باتنداه) وتمزق شمل الراجاوات كل ممزق . وفتح محمود كشمير ودهلى

وأقام ولاة من قبله من لاهور ، وجعل راجا قنوج من أتباعه وأ كمل توطيد ملكه فى جميع البنجاب . وغزا كالنجار تلك المدينة الموصوفة بمنعتها . فانقاد له ملوك تلك الديار صاغرين ، وقصد كوجرات وحطم الصنم الأعظم المعروف بسومنات . وفتح بهاضية ذلك الفتح الذى تحدثت به الركبان .

وكتب فيها تلك الرسالة الطنانة شيخ الكتاب أبو الفضل بديع الزمان فقال إنه « الفتح الذى تضاءلت أمامه الفتوح وأثنت عليه الملائكة والروح » الخ .

وذكر عن الهند وعجائبها وعظمة الخلائق التى فيها ، ما عرّف بقدر تلك الفتوحات التى أتاحها الله للاسلام على يد : أمين الدولة ويمين الملة (هو لقب السلطان محمود الغزنوى) .

قال المسيو رينه غروسه René Grousset صاحب تاريخ آسيه الذى ظهر سنة ١٩٢٢ فى ثلاثة مجلدات ممحصاً من روايات أكابر المحققين وذلك فى بحث الهند لعهد الإسلام ما يأتى تعريبه :

إن محموداً قام بصليبية إسلامية (يعنون بذلك حروباً أشبه بالحروب الصليبية) استمرت إلى القرن الثامن عشر . وكانت كسائر الصليبيات جامعة بين روح الدعوة الدينية وروح الطمع فى السحت ، وإن محموداً بقيت صورته العالية مشرقة مدى ثمانية قرون ملأى بالفتوحات ، لأن الجهاد الذى كان هو أول أبطاله لم يبلغ حد النهاية إلا فى فجر العصر الحديث بعد أن عرفت أرض البراهمة من جبال حملايا إلى سواحل كوروماندل اسمَ الله تعالى ودانت لسلاطين الترك المغوليين .

واقتفى أثر محمود بن سبكتكين التركي محمد الغورى الأفغانى الذى استولى على سلطنة آل سبكتكين وغزا مثلهم الهند وشتت فى واقعة (تانسوار) الثلاثمائة ألف فارس ، والثلاثة آلاف فيل التى حشدها لقتاله ملوك الهند ، وافتتح دهلى وقنوج وميرات وآغرا ، وضمها إلى ممالكه (١١٩٤ ميلادية) ، وأتم عمله مملوكه آيبك التركى الذي فتح بنارس وضرب الجزية على ملوك كافالبور ومالقا وافتتح

كوجرات وكالنجار ، وضم إلى المملكة بوندلكاند ، ثم القائد بختيار الأفغانى الذى افتتح مغدلا والبنغاله ، وأزال الدولة البوذية من تلك الأقطار . فكان عمل هؤلاء الفاتحين مقدمة لسلطنة إسلامية عظمى قاعدتها دهلى ، وقد بسطت جناحها على الهند بحذافيرها واستتبت من القرن العاشر للمسيح إلى أوائل القرن التاسع عشر إذ هرمت وعجزت وانقرضت على أيدي الانكليز كما هو معلوم . وليس المراد هنا ذكر تاريخ الدول الإسلامية التى تعاقبت من ذلك الوقت على الهند . ولكن المراد هو ذكر العلاقة الشديدة التى بين إسلام الهند و بلاد الافغان ، التى منها انحدر الفاتحون المسلمون سواء كانوا من العرب أو من العجم أو من الترك أو من الأفغان وإثبات أن تلك الجبال كانت ولم تزل على ما يعلوها من الثلوج مستوقد حماسة ومثار حمية وموطن فتوة ومعدن فروسة . اﻫ كلام علامتنا الكبير الشأن الأمير شكيب أرسلان رحمه الله .

وجاء فى الجزء الثانى من حاضر العالم الإسلامى المذكور ص ٣٢٤ ومابعدها كلام طويل على محمود أيضاً ننقل منها ما جاء فى ص ٣٢٥ ما يأتى :

وبهذه الفتوح كلها التى فتحت للاسلام أبواب الهند أطلق عليه الخليفة العباسى القادر بالله لقب سلطان وسماه يمين الدولة ويمين الملة . قال بعض مؤرخى الافرنجة إن محموداً كان اسكندر الإسلام فإنه فتح الهند كما فتحها اسكندر . إلا أن فتوحات اسكندر ذهبت بذهابه . أما فتوحات ابن سبكتكين فبقيت إلى اليوم ، وكان همه من فتح الهند نشر كلمة التوحيد فيه وقلع عبادة الأصنام منه . إلا أنه مع هذا الفوز المعنوى فاز بغنائم من الذهب والفضة ، والحجارة الكريمة لم تدخل فى حوزة أحد من قبله .

ويعترف مؤرخو الأفرنجة بأن محمود الغزنى لم يكن فاتحاً غازياً عالى المكان من الجهة العسكرية فقط بل إنه كان سلطاناً عاقلا أديباً كيساً ناظماً بين حاشيتى المادة والمعنى جامعاً بين دولتى السيف والقلم .

ويعللون بأنه بفتحه العراق العجمى واستيلائه على أصبهان والرى التى انتزعها من بنى بويه وعلى نيسابور وطوس وهراة فضلا عما كان بيده من ملك خراسان وأفغانستان قد قام بتمثيل دور مدنى يليق بملوك العجم ، وإنه أعطى أبهة الملك حقها وفى زمانه حصلت نهضة فارس العقلية ، وصارت غزنة هذه التى كانت عبارة عن قلعة حربية مركزاً للعلم والعرفان ، ومشرقاً لأشعة الحكمة والأدب . وامتلأت مدارس وجوامع ومكاتب ، وإليها شدت رحالها الحكماء والعلماء والشعراء إن لم يكن منهم إلا الفيلسوف الأعظم أبو نصر الفارابى ، والشاعر الأكبر هوميروس العجم الفردوسى لكفى . وقد كان السلطان محمود هو المقترح على الفردوسى نظم الشاهنامة ووعده بأن يكافئه على كل دو بيت (بيتين) بقطعة من الذهب (وقصته معروفة) . ولزم باب الغزنى من شعراء الفرس أيضاً العنصرى والفروخانى والأسجودى ، وكان هناك العلامة الكبير أبو الريحان البيرونى صاحب الجغرافية ، وفى أيامه نبغ الكاتبان الأعظمان فرقدا سماء البلاغة أبو الفضل بديع الزمان الهمذانى وأبو بكر الخوارزمى ، وكان الهمذانى عامل السلطان على هراة ومن الذين اشتهروا فى ذلك الدور وكان اليد اليمنى لابن سبكتكين فى المآثر والمبار والمفاخر الكبار وزيره المايماندى ، وقد ألف الكاتب العتبى تاريخاً خاصاً بمحمود بن سبكتكين كما أنه مترجم فى تآليف كثيرة من أشهرها : وفيات الأعيان لابن خلكان .

ثم جاء ما يأتى : وسنة وفاة محمود على ما فى صبح الأعشى بالتاريخ الهجرى هى ٤١١ وخلف محموداً الغزنى بعد وفاته ابنه مسعود (١٠٣٠ إلى ١٠٤٠) وفتح من الهند الاوض ودخل بنارس ، وورد فى صبح الأعشى أن إبراهيم بن مسعود فتح أيضاً حصوناً كثيرة فى سنة ٤٥١ هـ .

وإليك قائمة بأسماء من جاءوا بعده :

محمد بن محمود بعهد من أبيه

مسعود بن محمود	(قدمه أهل المملكة على أخيه) قتل سنة ٤٣٢	
محمد	(ثانية) وقتل سنة ٤٣٢	
مودود بن مسعود	توفى سنة ٤٤١	
عبد الرشيد بن محمود	قتل سنة ٤٤٤	
فرخذاد بن مسعود بن محمود	توفى سنة ٤٥١	
الملك المؤيد إبراهيم بن مسعود	توفى سنة ٤٨١	
مسعود بن إبراهيم	توفى سنة ٥٠٨	
أرسلان شاه بن مسعود		
بهرام شاه بن مسعود		
خسرو شاه بن بهرام	توفي سنة ٥٥٥	
ملكشاه بن خسرو	انتهى أمره سنة ٥٥٥	

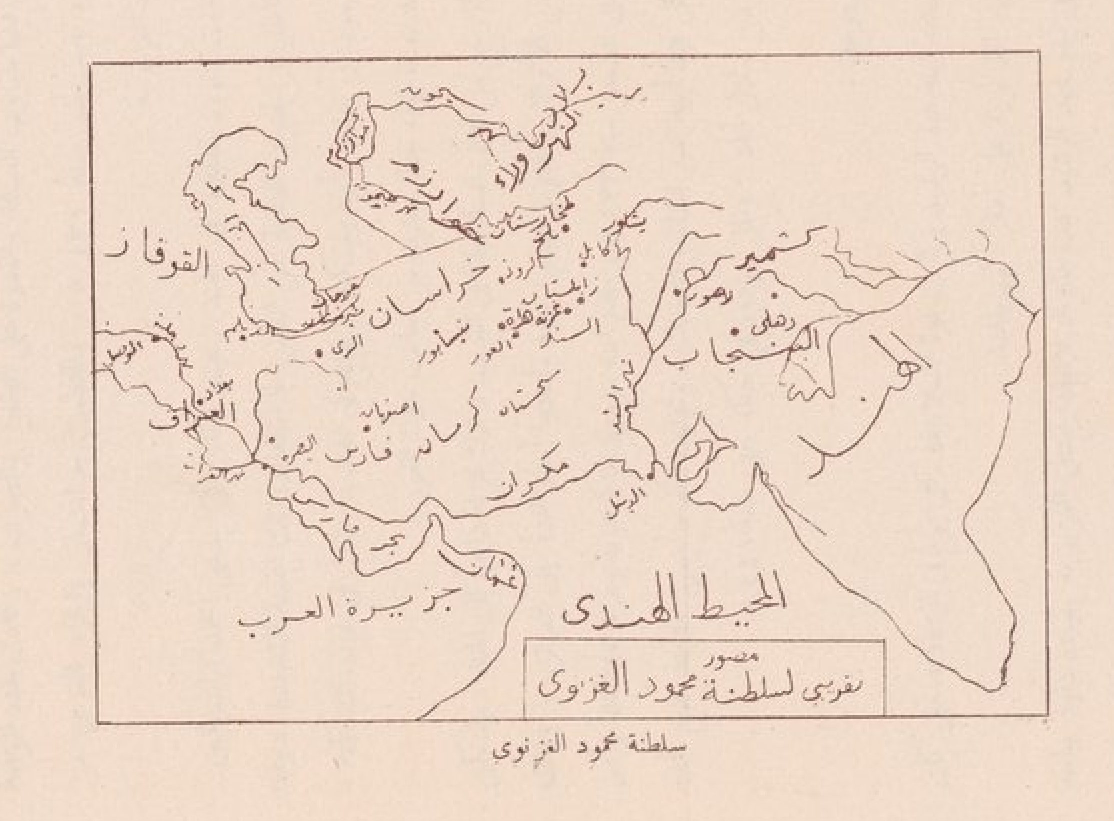
ثم انتقل الملك إلى الغورية

وبعد وفاة محمود بن سبكتكين ظهرت الأتراك السلجوقية على خراسان ، وانتقصوا ملك أبناء سبكتكين فانتقلوا من غزنة إلى لاهور فى الهند ، وما زالت أمورهم فى انحطاط إلى أن غلب على ملكهم الغوريون الأفغان . اه .

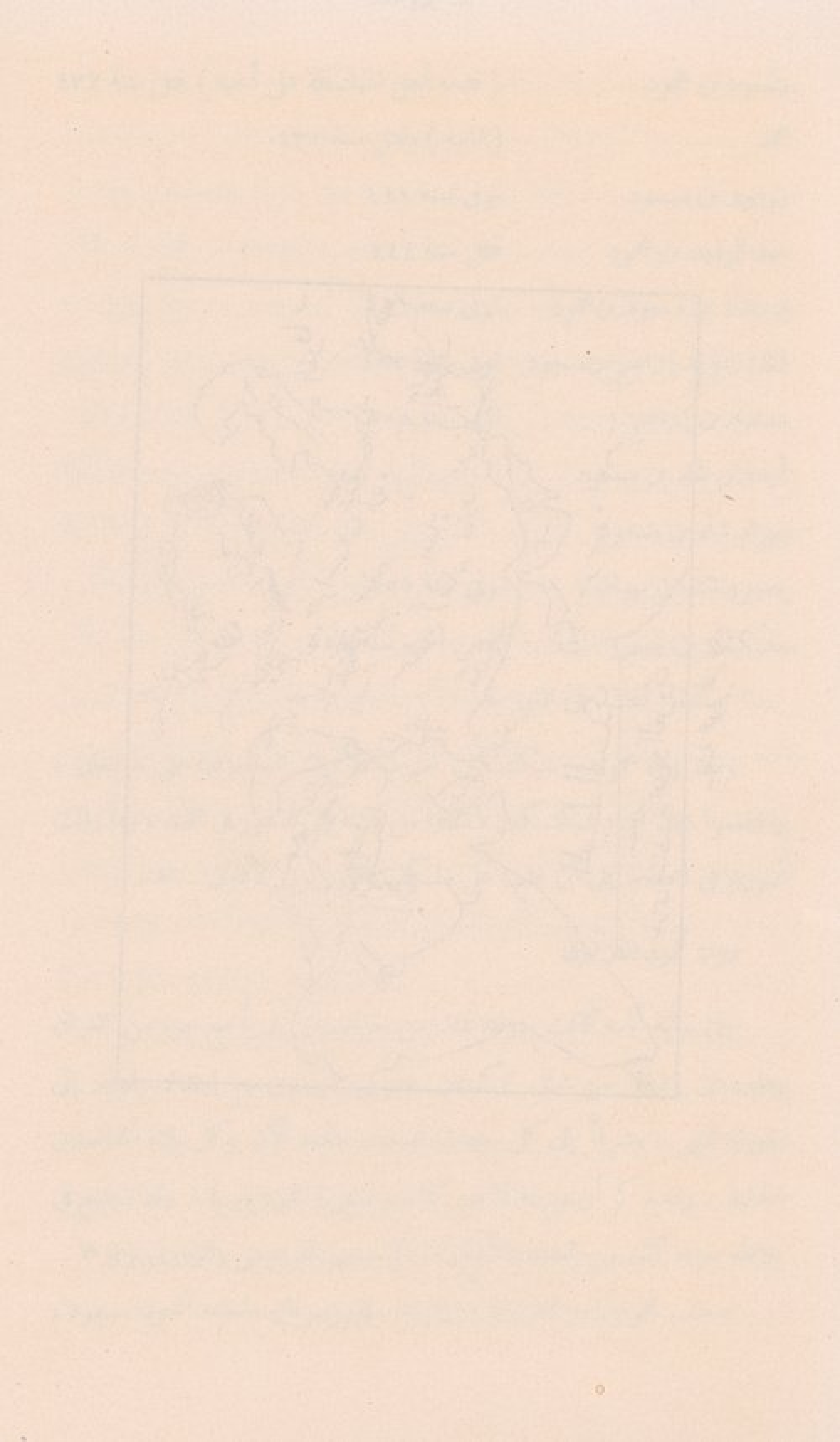
دولة محمود الغزنوى

وفى نهاية أيامه كانت دولته تمتد من خراسان غرباً مع جزء من العراق وطبرستان وشمالا من شمال تركستان جنوبى جيحون مع امتداد نفوذه إلى ماوراء النهر ، وشرقاً إلى كل جهات البنجاب بالهند الآن وكل بلاد أفغانستان الحالية ، ومما يذكر أن مدينة لاهور كانت تدعى (محمود پور) . وقد اجتمع فى بلاطه بغزنه كثير من العلماء والأدباء نذكر منهم الفردوسى والبيرونى وغيرهما .

وخلف محموداً ابنه محمد سنة ٤٢١ هجرية وسرعان ماخلعه أخوه مسعود ،



سلطنة محمود الغزنوي



وكان قد رافق أباه فى حروبه وغزواته وكان بطلا مقداماً ولكنه استسلم للشراب وقام طغرل بك السلجوقى وهزمه هزيمة منكرة فى موقعة كبيرة ، أبدى الطرفان فيها ضروب البسالة والقدرة على الطعن والضرب ، وكانت هذه الموقعة بين مَرْو وسَرَخْسْ سنة ٤٣١ هـ ، واقتطعت خراسان والجزء الغربى من المملكة الغزنوية .

وقامت ثورة خطيرة فى الهند زعيمها قائد تركى يدعى أحمد نيالتكين . ولولا ماأظهرته الجنود الهندية من البأس لما انطفأت تلك الفتنة الشديدة ، وقد أراد مسعود أن يتشبه بأبيه ولكنه لم يفلح فى الهند لما حدث فى غرب مملكته ، فقد وجد نفسه إزاء خطر جديد من جانب ملوك الغور .

ولما رجع من قتال السلاجقة فى الغرب ، ترك غزنة ذاهباً إلى الهند ، ولكن خدمه من الأتراك والهنود قبضوا عليه وأعادوا أخاه محمداً إلى العرش ، ومات مسعود فى السجن سنة ٤٣٣ هـ ، وقام ابنه مودود حاكم عزنة وهزم عمّه محمداً وأمر فقتل كل قتلة أبيه من الترك والتاجيك ، وتخليداً لظفره أسس مدينة فتح أباد القريبة من جلال أباد . وظل مودود في حكمه حتى سنة ٤٤١ هـ .

السلاجقة :

وخلفه ابنه عبد الرشيد وكانت قوة السلاجقة كل يوم فى ازدياد ، حتى كان جل اعتماد الغزنوية على أملاكهم بالهند .

وفى أيام عبد الرشيد هذا عاد السلاجقة لقتال الغزنوية بقيادة داود وابنه ألب أرسلان فأغارا على طخارستان وزامنداور عن طريق سستان ، ولكنهما ردا على أعقابهما ، إذ هزمهما جيش بقيادة مملوك تركى اسمه طغرل أرجعهما عن عزمهما فى غزو المملكة الغزنوية . ولما تم النصر لطغرل عاد إلى ملكه فقتله واغتصب الملك لنفسه ، ولكن مملوكاً تركياً آخر قام وقتل (طغرل) وأعاد الملك

إلى الغزنوية بأن أتى (بفروخ زاد) بن مسعود وجعله ملكاً . وتم ذلك سنة ٤٤٤ هجرية (١٠٥٢ م) وظل فى حكمه حتى سنة ٤٥١هـ .وقد خفف الضرائب عن زابلستان فخلفه أخوه إبراهيم وظل ملكاً أكثر من أربعين سنة ، كانت زمن سلم ورخاء فقد عقد الصلح مع السلاجقة وأزوج ابنه مسعوداً الثالث بابنة (ملك شاه) السلجوقى .

ولإبراهيم فتوح في الهند ، ولكنه عرف بميله للسلام وتشييد المساجد ، والقصور والمدارس ، وقد خلفه مسعود الثالث سنة ٤٩٢ هجرية (١٠٩٩ م) . وظل فى حكمه حتى سنة ٥٠٨ هـ ، وكانت مدته كلها رخاء ، وكان موفقاً فى عمله وقد حالف السلاجقة ، وبذا ضمن السكينة فى الشمال والغرب من مملكته ، وقد غزا الهند وتوغل ذات مرة حتى نهر الجنج ، ولما مات تنازع ولداه (شير زاد) و (أرسلان) وتم الأمر للأخير فحكم عامين اثنين ، ولكنه أساء السلوك مع السلاجقة فأعلنت عليه الحرب فهزم ولجأ إلى لاهور ، ولكنه عاد فاستعاد غزنة لزمن قليل وهزم مرة أخرى ثم مات فى الهند سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) .

نهاية أمر الغزنويين

فتولى الأمر بعده أخوه (بهرام) . وقد ظل تابعاً لسلطان السلاجقة . وبقى فى ملكه حتى سنة ٥٤٧ هجرية ، ويمكن أن يقال إن مملكة الغزنويين قد انتهت بموت (أرسلان) .

وكان (بهرام شاه) يسمى نفسه بالسلطان الأعظم مع تبعيته لسلطان السلاجقة وظلت عصابات الغز التركمان تناوشه على الحدود الشمالية بعد أن أصبحوا أعداء للسلاجقة ، كما كان رؤساء القبائل الجبلية من الغور تقضى على سلطة الغزنويين فى الجنوب . وكان هؤلاء الرؤساء والزعماء من الغور يزيدون قوة وسلطاناً على ممر الأيام . وقد رأى الناس مسعوداً الثالث يولى (عز الدين حسين

ابن سام) إمرة الغور سنة ٤٩٣ هجرية (١٠٩٩ ميلادية) وقد خلف عز الدين ابنه (سيف الدين سورى) . وكان أخو سيف الدين المدعو (قطب الدين محمد المعروف بملك الجبال قد سجنه (بهرام شاه) فى غزنة حسداً منه . فأغار (سورى) على غزنة انتقاماً لموت أخيه ولجأ (بهرام شاه) إلى كرمان . وتم لسورى وأخيه (علاء الدين حسين) قائد جيشه أن يفتتحا غزنة . ولما عاد علاء الدين إلى غور انتهز (بهرام شاه) تلك الفرصة واسترجع غزنة بجيش قوامه الأفغان ، والخلج وأسر سورى . وقتله . وكان (بهاء الدين سام) أكبر إخوته الذين نجوا و بقوا على قيد الحياة يوطد من عزمه وقوته في جهاته الجبلية . وأنشأ قلعة (فيروز كوه) فى التلال .

و بعد سنين سار إلى غزنة مصحوباً بعلاء الدين . ولـكنه مات أثناء الطريق فخلفه علاء الدين ، وسار فى ما كان أخوه عازماً عليه ، وتم له هزيمة (بهرام شاه) فى (زامنداور) وكان يفتتح غزنة بعد أن قاتل فى معركتين . ويقال إنه أكثر من العبث والتخريب بالمدينة عند مادخلها بجيوشه ووضع فى رقاب أهلها السيف والنار . كما أنه خرب مدينة (بُسْت) ولم تستعد غزنة ما كان لها من شهرة وأهمية بعده كما لبثت (بُسْت) أطلالا منذ ذلك الحين حتى اليوم .

ويظهر أن غزنة كان قد استرجعها (بهرام شاه) مرة أخرى بعد أن فارقها علاء الدين المعروف بجهان سُوز (أعنى مُلْهِب الدنيا حريقاً) .

ثم مات (بهرام شـاه) سنة ٥٤٧ هجرية ، فخلفه ابنه خسرو شاه . وسرعان ماطرد من غزنة عند ماتقدمت عصابات الغز لأخذها . ولم يبق لخسرو شاه من الأملاك غير ما كان فى إلينجاب . ولبث فى لاهو سبع سنوات . وأعقبه فى الملك ابنه (خسرو ملك) الذى ظل فى ملـكه نحو ثلاثين سنة ، حتى قضى الغور على الغزنو يين القضاء المبرم سنة ٥٨٣ هجرية (١١٨٧ ـ ١١٨٨) ولولا ماظهر من الأحداث العظيمة فى وسط أسيا وما انتاب دولة الغور من الغز

وشاهات خوارزم وزحف المغول بقيادة جنكيز خان ، لولا كل ذلك لظل للغور قوة وحكم عظيمان فى أفغانستان .

ولكن تلك النوب التى انتابتهم على التعاقب لم تدع لهم راحة ولا طمأنينة فى بلادهم هم رغم احتلالهم لجزء كبير من بلاد الهند . وخلفهم على ذلك الملك من جاء بعدهم من الأعقاب والخلف الذين لم يكونوا من ذريتهم ولكن من مماليكهم الأتراك .

وعند ما كان علاء الدين (جهان سوز) يفتتح غزنة كان السلطان (سَنْجَر) السلجوقى العظيم يدعى ملكية تلك المدينة وجهات الغور ، ولكن الُخطاَ والغُز لم يدعوا لسنجر للراحة سبيلا ، فشجع ذلك (علاء الدين) على طرح نير السلاجقة ، فجيش جيشاً من الأتراك والغز والخلج وسارفى وادى (هارى رود) وهناك قابل السلطان سنجر فتركه خلفاؤه الذين جاء بهم معه . وتم لسنجر الظفر . وأسر علاء الدين ، وقيد فى أغلال من ذهب ، كان قد جهزها ليقيد بها سنجر عند أسره . وعفا عنه سنجر ورجع إلى غور . وفى العام التالى وقع سنجر نفسه أسيراً فى يد الغز . وعرضت خراسان للدمار والخراب ، وكان ذلك كمقدمة لما حل بها و بغيرها على يد (جنكيزخان) فيما بعد .

نهاية أمر السلاجقة :

و بقى سنجر أربع سنين فى السجن ، ومات سنة ٥٥٢ هجرية وانقضى بموته حكم السلاجقة العظام . وكان الغز على الحدود الشمالية للغور بقوات عظيمة كبيرة . وأخذ علاء الدين في توسيع رقعة ملكه فى شرق خراسان ووادى (المُرْغَب) ومات فى هرات سنة ٥٥١ هجرية . وخلفه (سيف الدين محمد) ولكن الغز قبضوا عليه وذبحوه في بلخ سنة ٥٥٨ هجرية [؟]. ولكن خلفه (غياث الدين سام) هزمهم هزيمة منكرة فى السنة عينها . ولما مات (بهرام شاه)

امتلاك الغز غزنة . ولبثوا بهـا اثنى عشرة سـنة ، حتى طردهم منها ملك الغور وأخوه الشهير (معز الدين محمد بن سـام) (وكثيراً ما يعرف باسمه الأول شهاب الدين) . وظل معز الدين أميراً على غزنة تحت سلطنة أخيه الحاكم فى الغور . وجهز حملات يغزو بها الهند ويهاجم بها الهندوس وزنادقة الـكرمان و بقايا الدولة الغزنوية هناك . وقد تم له أن قبض على آخر ملوكهم (خسروشاه) وسجنه وضم مملـكته إليه سـنة ٥٨٣ هجرية (١١٨٧ ميلادية) و بذلك جعل البنجاب قاعدة لحركاته العسكرية لغزو الهند ، بينما كان غياث الدين يعمل و يجد على الحدود الغربية لمملـكته ووطد له أمره فى سيستان ، التى ظلت محكومة بملوكها الأصليين أيام الغزنويين . وفى سـنة ٥٧١ هجرية احتل غياث الدين هرات . وفى سـنة ٥٨٨ هـ . هاجم سلطان شاه أخو (تاكاش) شاه خوارزم الجهات الشمالية . ولـكن معز الدين اشترك مع أخيه وهزما (سلطان شاه) على نهر (المُرْغب) . ولـكن شاهات خوارزم لم يرجعوا عن عزمهم من مهاجمة البلاد . وقد ظلت البلاد بخير ماعاش الإخوان . ولـكن غياث الدين توفى سنة ٥٩٨ هـ . وقتل أخوه الذى خلفه فى الحكم سنة ٦٠٢ هـ . وكان قد عين ابن عمه علاء الدين أميراً على الغور .

وما زال أمر هذه الأسرة فى ضعف حتى ان آخرهم غياث الدين لم يكن له من الأمر شىء يذكر فى غزنة . وانتهى الحال بهم بأن قبض جماعة من القواد الأتراك على ناصية الحـكم وصفا لهم الجو تماما لما قتل هذا السلطان الأخير سنة ٦٠٧ هجرية (١٢١٠ ـ ١٢١١ ميلادية) و بذلك انتهى أمر الأسرة الغزنوية .

وأما هؤلاء الأتراك فقد كانوا مماليك (معز الدين محمد بن سـام) الذى لم يعقب من الأولاد ولا من الذرية أحداً .

وكان رأس هؤلاء المماليك (تاج الدين يَلْدُز) و (قطب الدين أيبك) و (ناصر الدين قُبَادَى) و (شمس الدين أُيلْتمِش) .

وكان أولهم تاج الدين أحب المماليك إلى الملك المقتول الغزنوى . وكان يملك غزنة . واستمر يضع اسمه على السكة مدة تسع سنوات مسمياً نفسه (عبده) و (مولاه) ووجه قطب الدين همه إلى الهند وحصر أعماله فيها . ولكنه تمكن من دخول غزنة ومكث بها أربعين يوماً .

وأنشأ قبادى لنفسه ملكا فى السند و (مولتان) وتنازع هو ويلدز على ملك (البنجاب) ولكن (ايلتمش) استخلصها لنفسه وأنشأ لنفسه ملكا بالهند . أما (يلدز) فقد كان حاكما قديراً . وقد ظل فى موقف الدفاع عن غزوات غيره لملكه زمناً . ثم إنه مد ظله على الغور وهرات وغزا سيستان . وانتهى أمره بأن عقد صلحاً مع تاج الدين حرب الذى أبقاه على أمره وولايته . ولكن التنافس بين يلدز و بين إيلتمش كان كبيراً ومؤدياً لخراب البلاد فقد تقاتلا سنة ٦١٢ هـ . وهزم يلدز وقتل . ومع ما كان عليه (ايلتمش) من القوة والسلطان فى الهند فانه لم يقو على البقاء فى البلاد الغزنوية ولا على امتلاكها . وكان ملوك الغور قد تضاءل أمرهم ولم يكونوا ليقووا على رد عادية (علاء الدين محمد بن تاكاش) الخوارزمى فانه غزا غزنة التى لم تجد أحداً يدافع عنها . وتم له ذلك سنة ٦١٢ هـ . ثم انه تم له امتلاك البلاد الغورية والغزنوية .

المغول وزحف جنكيزخان غرباً :

وترك ابنه جلال الدين (مانجو بارتى) سلطاناً على تلك الجهات . وسار هو بنفسه لملاقاة (جنكيزخان) الزاحف من بلاد الشرق سائراً بجيوشه وجحافله العديدة إلى الغرب . ولم يقو شاه خوارزم على مقاومة (جنكيزخان) فهزم ومات سنة ٦١٧ هـ . أما ابنه جلال الدين فقد استيأس من قتال ملك المغول ، ولكنه غلب على أمره وفقد كل بلاد أبيه فى خوارزم وجعل غزنة مركزاً لدفاعه وساعده ملوك الغور .

وقد هزم جلال الدين المغول عند فروان . ولكنه اضطر للتراجع أمام (جنكيزخان) لما عبر (الهندوكوش) عند (باميان) . واضطر للفرار أمام المغول العاتى الجبار . ولم يتم للمغول الاستيلاء على كل البلاد الأفغانية فقد ملك (تولى ابن جنكيزخان) هرات سنة ٦١٩ هـ . وعندها قامت مذبحة عظيمة فى الأهالى المسلمين . ثم سقطت سيستان أمامه . و بذا قبض على آخر ملوكها المستقلين . وامتلك (أوغوطاى) غزنة بعد هزيمة جلال الدين على نهر السند . وعاد جنكيزخان نفسه إلى تركستان عن طريق (باميان) وأخذ (أوغوطاى) يتقدم فى بلاد الغور . وجعل تلك المنطقة مركزاً له . وتملك بذلك جبال (فيروزكوه) و (غارجستان) كما تملك سهول (جرمسير) و (سيستان) . وما زالت البلاد تقاوم وتدافع عن نفسها ، وتريد رد عادية المغول عن نفسها ، وهم يفتتحونها و يخربون فيها . وتم الأمر أخيراً بأن دخل معظم بلاد الأفغان فى ملك المغول .

ولما مات (أوغوطاى) انقسم ملك المغول وأصبحت أفغانستان من نصيب (ايلكخان) الايرانيين المنحدرين من صلب (تولى) . وقد قامت أسرة من التاجيك أثناء ذلك تعرف باسرة (الكورت) أو (الكَرْت) . وأصبح لها شأن يذكر . وظل لها الحكم على أغلب البلاد الأفغانية مدة قرنين اثنين

أسرة الكورت أو الكَرْت :

بدأ هذه الأسرة ركن الدين محمد مَرَغانى ، وكان قد نال الحظوة لدى جنكيزخان وامتلك هرات ، وسار ابنه شمس الدين فى ركاب منجوخان فى بعض حروبه ، وتم له ملك غرجستان وغور وفراه وسيستان ، ثم خضع لهولاكو سنة ٦٥٤ هجرية (١٢٥٦ ميلادية) وظل فى حروب في سيستان مع التاجيك .

ويغلب على الظن أن سيستان كانت مركزاً لولاية شمس الدين (وكانت

تسمى سيستان أيضاً نِمْرُوز) ويظهر أن حدود تلك الولاية كانت تمتد إلى هراة من جهة ومن الجهة الأخرى إلى غور وزامنداور وزابلستان . وقد جعل شمس الدين عاصمته فى الجبال بخيسر شرق هراة ، وقد مات شمس الدين مسموماً على مايقال سنة ٦٧٦ هجرية (١٢٧٨ ميلادية) فخلفه ابنه المسمى بشمس الدين الثانى ، ويقال إنه حاصر قندهار ولو صح هذا ، ولم يكن يقصد بحصاره جهة أخرى ، فإن هذه هى المرة الأولى التى يذكر فيه اسم هذه المدينة (قندهار) .

ثم إن هذا الأمير لجأ إلى خيسر كاسيه وترك هراة لابنه علاء الدين ، ثم لابنه فخر الدين ، وظل هو بخيسر حتى مات سنة ٧٠٥ هجرية ، وما لبث ابنه فخر الدين أن مات بعده سنة ٧٠٦ فخلفه ابنه غياث الدين ، وسرعان مافتح المغول هراة ، وقد سجن غياث الدين ثم سمح له بأن يعود إلى حكومته مرة أخرى . وقد اشترك فى سنيه الأخيرة مع ياساؤل فى حروبه وغزوه لخراسان سنة ٧١٧ ، وقد أمكنه أن يقوى من عضده عندما بدأت قوى الايلكخانية فى الضعف . وما زالت قوة الكورت تشتد سيما عندما انهزم ياساور هزيمته النهائية ، وبعد أن مات . وبعد أن فتح عدة حصون وقلاع ذهب غياث الدين للحج سنة ٧٢٦ هجرية ، وقد خلفه ابناه ، ولكن كانت مدتهما قصيرة جداً ، وجاء بعدهما ابنه الثالث معز الدين وتولى زمام الأمور سنة ٧٣٢ ، وظل فى حكمه ثمان وثلاثين عاماً ، وكان أميراً قوياً ، ولولا غزوة تيمور لجعل حكومته مستقلة تمام الاستقلال ، وقد مات سنة ٧٧١ وكان يفاوض تيمور لعقد معاهدة معه ، ولما خلفه ابنه غياث الدين بيرعلى رفض أن يخضع لتيمور ، فتقدم هذا لحصار هراة سنة ٧٨٢ فلم يجد هذا الأمير الكورتى بداً من الخضوع ، وقد أحسن لقياه ورحب به ، ولكن حصونه أزيلت وما كان له من خزائن وأموال أخذت وتركت هراة لم تمس بسوء . ثم قام بعض أفراد من أسرة الكورت وأعلنوا عصيان بعض الجيوش الغورية ، وذبحوا الحامية بعد ثلاث سنوات ، فعاد تيمور وأخذ المدينة

وأجرى مذبحة كبيرة فى السكان وخربت المدينة ، وقتل غياث الدين أثناء الفتنة وبذا كانت نهاية أمر الأسرة الكورتية . ومن ذلك الحين حتى أن قامت قائمة الأفغان أثناء القرن الثامن عشر لبثت البلاد بدون أسرة حاكمة معروفة يركن إليها فى شىء ، وظلت الأمور بيد الأجانب .

أما سيستان فقد نعب فى أطلالها غراب البين أثناء غزو تيمور ، ولم تعد إليها بهجتها القديمة ، فأهمل الرى وهجر المدينة أهلوها وقطانها ، وقد ظلت البلاد جزءاً من امبراطورية تيمور . ثم عاد هذا إلى الشرق سنة ٨٠٠ هجرية ، وعين حفيده پير محمد أميراً على كابل وغزنة وقندهار ، وعهد إلى ابنه شاه رُخْ بحكومة خراسان واتخذ هراة عاصمة لها . وغزا پير محمد الأفغان الساكنين بجبال سليمان ثم سار إلى الهند . وعاد تيمور مرة أخرى ، وكانت له حروب وغزوات لا نرانا فى حاجة لذكرها لأنها لاتدخل فى موضوعنا . ثم مات تيمور سنة ٨٠٧ هجرية (١٤٠٥ ميلادية) .

وقد أساء پير محمد السلوك ، واعوج طريقه ، وانتهى أمره بأن قتل ، وتولى بعده خليل ، ولكنه سرعان ماخلع من الإمارة وأصبح الأمر لشاه رخ الذى كانت حكومته فى هراة سنة ٨١٢ فظل فى حكومته أربعين سنة كانت كلها أيام سلام ورخاء ، وعاد ذلك بالخير والبركات على الأهل والبلاد ، ثم خلفه ابنه أولوج بك ، وكان محباً للعلم وفيلسوفاً ، ولكن أيامه لم تطل أكثر من ثلاث سنوات فحسب فقد قتله ابنه عبد اللطيف ولبث بضعة شهور وخلفه عبد الله ثم بابارميرزا وأن تكون ولايته قاصرة محدودة لبضع سنين قليلة . وفى سنة ٨٦١ تولى أبوسعيد وقد دعى بلقب جُرْجان (أعنى امبراطور) وقد ادعى حسين بيقرا ملك خراسان وأفغانستان ، ولكن هذا الأمبراطور أبو سعيد تغلب عليه سنة ٨٧٠ ولم يدم أمره بعد ذلك أكثر من عامين اثنين ، فجاء بعده السلطان أحمد ولكن لم تدخل خراسان فى حدود بلاده ولم يجد حسين بيقرا من ينازعه في الأمر فمد يده من

حاضرته هراة إلى خراسان وسيستان وغور وزامنداور ، وظل أمره كذلك حتى سنة ٩١١ هجرية (١٥٠٦ ميلادية) . وفى أيام شاه رخ وحسين بيقرا بلغت مدينة هراة أوج عزها وعظمتها وأصبحت مركزاً للشعر والفلسفة والفنون ، وفى نهاية أيام السلطان حسين أخذت قوة شيبانى فى الازدياد وكذا قوة الأزبك فى الشمال ، كما بدأت بلاد أفغانستان تنقسم إلى دويلات صغيرة و إمارات يحكمها أمراء أجانب عنها . وطرد (بَابَر) فاتح الهند الكبير من ملكه فى فرغانه الذى ورثه عن آبائه وأجداده فى بلاد ما وراء النهر ، فجاء إلى كابل ووطد أمره فيها وسمى نفسه (بادشاه) .

وكانت كابل قبل ذلك يحكمها بعض أمراء من أسرة تيمور لهم شىء من الاستقلال ، وكان أميرها (مقيم أرغون) عندما باغتها بَابَر وامتلكها سنة ٩١٠ هجرية ، وقد ظلت كابل تحت حكم بابر ومن جاء من أسرته بعده من أباطرة الهند تنيف على قرنين حتى فاجأها نادرشاه وغزاها .

ولنرجع إلى الأرغونية ، فنقول: إن ظهورهم كان فيه القضاء المبرم على مملكة خراسان . فقد عهد إلى ذى النون بك أرغون من حفدة الايلكخانية من بلاد إيران بحكومة الغور وسيستان نظراً لما أبداه من الشجاعة والإقدام فى الحروب وقد غزا قبائل الهزاره ونيكودارى وتغلب عليهم وضم إلى ملكه زامنداور وجارمسر وجعل حاضرة ملكه مدينة قندهار ، وقد أصبح فى الواقع مستقلا تماماً ووجه أنظاره إلى الجنوب وساعده فى امتداد نفوذه ابنه شاه بك فكان له حتى بمرات بولان وسيوستان ثم انه زوّج ابنته من بديع الزمان ابن شاه حسين الثائر وأغار حسين هذا على زامنداور ولكنه اضطر للتقهقر والتراجع فغزا ذو النون بك هراة بجيوش من الغور ورامنداور وقندهار وربما كانوا من التاجيك والأفغان . وقد جعلته هذه الحرب أقوى من ذي قبل فقد أخذ بديع الزمان زوج ابنته مقاطعة بلخ وتركت سيستان لذى النون بك ثم أغار ابنه مقيم على كابل ونجح فى عمله

فأكبر الناس من شأنه . ومات السلطان حسين سنة ٩١١ هجرية (١٥٠٦) وقد بلغ ذو النون بك أقصى درجات رفعته أثناء حكم بديع الزمان الذى لم يطل كثيراً . ولكن غزوة الشيبانى كانت ذات خطر عليه ، فقد قتل فى أولى المعارك ضد الأزبك واحتل الشيبانى هراة سنة ٩١٣ هـ . وأصبح والده شاه بك ومقيم بين نارين بابر من جهة والشيبانى من جهة أخرى . فقد ادعى بابر بأنه وارث ملك تيمور الأعرج وأخذ يتقدم بجيوشه فى قندهار ، واتحد أمراء الأرغونية مع عدوه اللدود الشيبانى ، ولكن بابر هزمهم جميعاً واحتل قندهار ، ثم انه ترك ابنه ناصر ميرزا يتولى الأمور ويدبرها هناك وإذا بالشيبانى يباغته بالهجوم عليه . وكان بابر فى طريقه إلى هراة ليتخذ ما يراه من وسائل الدفاع ضد الأزبك بالاشتراك مع السلطان حسين ولكنه سمع بوفاته ، فاشترك مع أبناء السلطان فى حملتهم على المرغاب ، وبعد أن زار هراة قفل راجعاً إلى كابل أثناء الشتاء وهو يتخذ الطرق الجبلية مسلكا لها ، فقاسى هو وجيشه مصاعب جمة فوصل إليها سنة ٩١٢ وتابع مسيره إلى قندهار أثناء الصيف ثم إنه عاد لكابل مرة أخرى فى جمادى الأولى سنة ٩١٣ ليعد عدته لغزو الهند ، ولما بدأ بالمسير علم بأن قندهار قد سقطت وأن الشيبانى أعاد الأرغونية وعضدهم . ولما بلغته تلك الأخبار كان فى حرب مع بعض القبائل الأفغانية حتى أصبح من العسير عليه أن تظل كابل فى يده ، وقامت الثورات والفتن فى كل ناحية وأصبح الشيبانى سيد خراسان وقندهار ثم أخذت قوته بعد ذلك فى التضاؤل . فقد قاست جيوشه الصعاب فى عبورها الجبال لغزو الغور وقام شاه اسمعيل مؤسس الدولة الصفوية فى بلاد إيران يهدده من جهة الغرب ، وقد غزا هذا الشاه إسمعيل خراسان سنة ٩١٦ هجرية وهزم الشيبانى وقتل بالقرب من مرو فانتقلت هراة إلى مملكة إسمعيل وأخذت التعاليم الشيعية فى الانتشار ، بل قيل إن الناس أجبروا على اعتناقها جبراً . واتحد بابر مع اسمعيل واسترجع ملكه الذى ورثه فى وسط آسيا إلى حين وترك مملكة كابل لأخيه ناصر

ميرزا . وقد تمت الهزيمة على بابر بالقرب من بخارى سنة ٩١٨ ، وقد نجا من الموقعة بروحه وأسرع إلى كابل فإذا بها فى اضطراب شديد ، و إذا بالفتن والثورات على قدم وساق فى جنوده المغولية و بين القبائل الأفغانية ، و بعد أن قاوم ذلك بالسيف والنار وجه أنظاره إلى قندهار ، حيث كان شاه بك أرغون يقيم ، وكان قد حاول أن يعقد محالفة مع شاه اسمعيل فلم يفلح ، وقد سجن فى هراة ولكنه نجا ورغب فى تأسيس دولة له فى بلاد السند وكان قد غزاها بمساعدة بعض القبائل البلوخية سنة ٩١٧ . وتم لبابر امتلاك قندهار وولايتها أخيراً من محاولات عدة وأخذ فى تنفيذ خططه الكثيرة سيما ما كان منها فى الهند ، ولكنه فضل كابل على سهول الهند وقد توفى فى غزنه ولا يزال قبره بها .

وقد ظلت أفغانستان مقسمة بين الإمبراطوريتين العظيمتين الإيرانيـة فى الغربية ، والمغوليـة فى الشرق و بقيت هراة وسيستان تابعتين لإيران ، كما ظلت كابل جزءا من إمبراطورية المغول ، و بقيت قندهار ككرة الصولجان تتداولها هذه وتلك على التعاقب . ثم انحصرت قوة أباطرة المغول فى جنوب الهندوكوش أما ماشمال ذلك فقد ولى بابر سليمان ميرزا حاكماً على باذخشان ، فبدأ أسرة لها شبه استقلال بالأمر هناك ، وظلت بقية المملكة للشيبانية ، ومات الشاه إسمعيل سنة ٩٣٠ و بابر بعده بسبع سنوات فخلفه ابنه هومايون ، وكانت لإخوته العديدين حكومات إلى جانبه وولايات يتقلدونها ، وظلت كابل وقندهار متحدة مع البنجاب وسيدها كمران . أما طاهمسب خلف إسماعيل شاه فى إيران فقد عين أخاه سام ميرزا حاكماً على هراة ، وظلت الصفوية تعتبر قندهار جزءا من خراسان التى كانت فى حيازتهم وظلت تعتبر امتلاك المغول لها من قبل الاغتصاب ، وفى سنة ٩٤١ هاجمها سام ميرزا فجأة ، بعد حصار دام ثمانية شهور حضر كمرلن ورفع عنها الحصار ، و بينما كان سام ميرزا غائباً غزا الأزبك بقيادة عبيد الله خراسان ، وقد أخذت مدينة هراة ، ولكن طاهمسب استرجعها وهاجم قندهار بنفسه وامتلكها

المرحوم الأمير حبيب الله خان أمير أفغانستان سابقا وبعض أفراد أسرته

ثم عاد كمران فاسترجعها ، وفي هذه الأثناء فقد همايون عرشه فى الهند لما ثار السور أفغان بقيادة شيرشاه . وفى سنة ٩٥٠ ظهر على طريق السند فى الصحراء الجنوبية من قندهار إلى سيستان و بلاد إيران ، فأحسن الشاه طاهمسب وفادته ، وجهزت له الجند الإيرانية لحصار قندهار بعدها بعامين ، وكان يدافع عنها أخوه عسكرى بالنيابة عن كمران و بعد أن أخذها سلمها للفرس حسب اتفاقه مع مليكهم طاهمسب ، ثم عاد همايون فاحتل المدينة ثانية من الإيرانيين وضمها إلى ملكه . ثم أخذ همايون كابل ، وقامت الحروب بين الإخوة ، وظلت كابل تتداولها الأيدى ولما تم الأمر أخيرا لهمايون بامتلاك كابل وقندهار أراد أن يغزو الهند مرة أخرى . وقد تم ذلك بغلبته على ملوك السور هناك ، ولكنه مالبث أن مات سنة ٩٦٣ هجرية ، وبينما كان الملك الشاب أكبر يغزو الهند ويتم فتوحها انتهى شاه إيران طاهمسب وغزا قندهار سنة ٩٦٥ وجعلها من المملكة الصفوية ولبثت كذلك مدة ثماني وثلاثين سنة لما أرجعها الأمير مظفر حسين إلى أكبر ثانية سنة ١٠٠٣ أثناء السنى الأولى من حكم عباس الكبير الشاه الإيرانى ، وما زالت هذه المدينة بين الأيدى كغيرها ، حتى أن جاء عباس الثانى ملك إيران الشاب الذى لم يكن يبلغ من العمر إلا ستة عشرة سنة فغزاها بجيوشه وضمها إلى ملكه ومن ذلك الحين لم تصبح من مملكة المغول مرة أخرى ، رغم محاولة جيوش شاه جهان لاسترجاعها .

وقليل مايمكن أن يقال عن تاريخ أفغانستان أثناء ذلك العصر عدا ماذكرناه عن قندهار ، وما كان من التنازع بين المغول والإيرانيين ، إلا أن القبائل الأفغانية كانت تزداد قوة وعدداً ، ويظهر أنه فى ذلك الوقت زحفت قبائل العبدلية والغلزائية من جبالها إلى سهول قندهار الخصبة وزامنداور وسول تارنان وارغانداب ولما أخذت قوة التاجيك فى الضعف والقلة وهم الذين قاوموا غزوات المغول ، واحتلال قلاعهم الجبلية في غور بواسطة أناس شبيهين بالمغول ، يظهر أن كل

ذلك أوجد الفرصة السانحة للشعب الأفغانى أن يعظم شأنه عن ذى قبل ، فقد ظلوا فى جبالهم الشرقية ، ولم يكن أثر تلك الغزوات فيهم إلا قليلا ، وذلك عند ما كان يرغب الغزاة أن يمروا بمضايقهم لغزو الهند وسهولها الخصبة، ولما أخذ عددهم يتزايد بحثوا عن مساكن ومراعي خصبة لهم ، فرجعوا غرباً كما انتشروا فى سهول الهند شرقا ، وقد ظلت القبائل الجبلية فى شبه استقلال تام من كل حكم تقريباً ، وقد كانت حكومة المغول فى كابل حكومة اسمية بالنسبة لهم وإن امتد نفوذها إلى السهول والوديان المفتوحة أمامهم ، والتاريخ يحدثنا بما لاقته جيوش أكبر من الهزيمة المنكرة سنة ٩٩٤ التى تمت على يد اليوسفزائية من صوات وبجاور ، وما كان من قتل القائد وقد حاول غيره هزيمة سكان الجبال ، ولكنه عسر عليه ذلك ، وشق تحقيقه .

وقد رأينا ما كان من تتابع الحكومات على قندهار ، وقد تم أخيراً أن اتفقت العبدلية قرب هذه المدينة مع الشاه عباس الكبير ، وعين (سادو) أميراً عليهم وأصبحت ذريته وأعقابه هم الأسرة الحاكمة من بعده ويعرفون بالسادوزائية نسبة إلى جدهم هذا ، وانتقل جزء من قبيلتهم إلى جهات هرات وتسبب عن ذلك أن امتد نفوذ قبيلة الغلزائيـة إلى قرب قندهار ، وما زالت قوتهم تزداد حتى أن اعتلى الشاه عالم الأول الملم فبدأت غلزائية قندهار تساعده على دسائسه ضد الحكومة الإيرانية ، ولكن ذلك اكتشف فأرسلت حملة لتأديبهم ، وقبض على ميرويس الغلزائى أحد زعمائهم ، وزج فى السجن ، وما لبث أن نال الحظوة عند الشاه حسين الفارسى ، وأجيزت له العودة إلى قبيلته ، ثم إنه لما عاد دعا جورجين خان الذى كان قد أرسل على رأس الحملة وقبض عليه وقتله غيلة فى وليمة أدبها له وحاصر قندهار وتغلب على كل من حاول إخضاعه ثم إنه مات وخلفه أخوه عبد العزيز وهذا رأى أن يخضع لإيران فقتله محمود بن ميرويس وأخذ بمقاليد الأمور بدلاً منه وفى تلك الأثناء كان الجزء الذى انتقل إلى مقاطعة هراة من قبيلة العبدلية

قد أصبح سيدها بالفعل وأمكن هؤلاء العبادلة أن يصدوا غارة يقودها صفى كولى خان. وما زال كذلك فى سيادتهم على تلك الجهات حتى أيام نادر شاه، وقد أمكنهم أن يحتلوا فراح من الغلزائية بعد أن احتل هؤلاء إيران . ولكن قبيلة الغلزائية كانت أشد القبائل مراساً ، ولما رأى محمود ما اعترى الدولة الصفوية من الضعف هاجم بلاد إيران ، فسار عن طريق سيستان وكرمان ، ولكن لطف على خان هزمه فارتد راجعاً إلى قندهار ، وفى تلك الأثناء انتشر العبادلة فى خراسان وحاصروا مشهد . وقوى عضد محمود بمحالفته لجزء كبير من البلوخ وهاجم إيران من جديد فأخذ كرمان مرة أخرى ، ولم يقرب من يزد بل سار قاصداً أصفهان، ولم يفلح الشاه حسين فى رشوته له ، وتم له فتح أصفهان لضعف من كان بها وخور عزيمتهم وتنازل حسين عن العرش ، وتوج محمود بيديه وأصبح ذلك الغلزائى شاها لبلاد إيران .

وظل العبادلة مستقلين بهراة ثم قام نادر كولى خان على رأس حركة وطنية وطرد جماعة الغلزائية من إيران وقد قتل اشرف شاه الذى خلف محمودا على عرش إيران . ثم ان نادر شاه وجه عنايته وقاتل العبادلة بقيادة مليك محمود خان فغلبهم وسباهم ولكنه رأى منهم رجالا صناديد فأراد أن يستفيد من قوتهم وعونهم ورأى أن يعيدهم إلى مواطنهم القديمة بالقرب من قندهار ولما أمكنته الفرصة نقل الغلزائية من هناك إلى جهات أخرى . . وكان نادر شاه قد حاصر قندهار مدة سنة وفتحها وبنى إلى جوارها مدينة دعاها باسم نادر اباد . وأخذت قوة الغلزائية فى الضعف ولكن نادر شاه أخذ يسلك خطة المسالمة مع القبائل الأفغانية على العموم والعبادلة على وجه خاص واتخذ الكثيرين من هؤلاء جنودا بواسل .

ثم تقدم نادر شاه إلى كابل فافتتحها و بذا كان القضاء على سلطة المغول بها وتم لنادر شاه فتح كل بلاد أفغانستان فاتخذها قاعدة لغزو بلاد الهند سنة ١١٥٢ هجرية (١٧٣٩ ميلادية) . ولما تم له الظفر على محمد شاه أصبحت كل المقاطعة المغولية غرب نهر السند بما فيها بشاور ودراجات فى دائرة ملكه كما كانت له

السيادة على كالهورا وأمراء السند العباسيين وكذلك ولاية كابل ولما عاد من دلهى سنة ١١٥٢ هـ (١٧٤٠ م) عبر نهر السند وهاجم اليوسفزائية وكانوا يناوئونه ثم عاد إلى كابل وأخذ يتنقل حتى وصل إلى هراة . وكثيرا ما كان يعتمد فى فتوحه وغزاوته على جنوده الأفغان بقدر ما كان لا يأبه كثيرا لجنوده الايرانيين . وخص نادر شاه برعاية العبادلة سيما أميرهم أحمد خان الذى وصل إلى درجة رفيعة فى جيش نادر شاه . ثم إن جماعة من الايرانيين والقزل باش اغتالوا نادرشاه فقتلوه وكان أحمد خان على رأس جماعة من العبادلة ورأى مالا محمولا فأخذه لنفسه وسار إلى قندهار ومن هنا ننتقل إلى سيرته وسيرة خلفائه .

بدء الدولة الدورانية

أول من قام بأمرها (احمد شاه) وهو ابن (سمادن شاه) أحد شيوخ القبيلة السدوزاى الشهيرة .

ولما كان أحمد صبيا وقع فى يد قبيلة الغلزائى المعادية وأخذ أسيرا لقندهار ولكن (نادر شاه) أنقذه من الأسر فى شهر مارس سنة ١٧٣٨ و بعد حين عينه مقدم جماعة من الفرسان أكثرهم من قبيلة العبدلية . ثم مات نادر شاه سنة ١٧٤٧ م ورجع إلى أفغانستان وأخذ يحرض القبائل على طلب الاستقلال لكى ينصبوه عليهم ملكا وأميرا . وقد تم له الأمر فى شهر أكتوبر سنة ١٧٤٧

وقد رأى ان يبدل اسم قبيلته العبدلية إلى الدورانية . وقد رأى أن لايتداخل كثيرا فى الأمور الداخلية الخاصة بالقبائل العديدة على أن يدفعوا له الخراج ويمدونه بالرجال للخدمة العسكرية . ولعل ذلك كان سببا فى توطيد دعائم ملكه وتثبيت أمره ثم عبر نهر السند سنة ١٧٤٨ واحتل لاهور ولما لم يجد إلا مقاومة ضعيفة امتد نفوذه على كل جهات البنجاب وتم له ذلك سنة ١٧٥١ وقد افتتح (پيساور) سنة ١٧٥٠ واخضع في السنة التى تلتها جهات (كشمير) وحاول

(المغول الأكبر) أن يسترجع لاهور ولكن أحمد شاه دخل بجيشه مدينة دلهى ظافراً. وقد رأى أن يبنى بأميرة من الأسرة المالكة هناك وزوج ولي عهده (تيمور شاه) بأخرى وعينه للبنجاب وسَرْبَنْد.

وأراد أحمد شاه العودة فعين نائباً عنه أحد مقدمى الروهلة وكان كبير الثقة فيه، ولكن سرعان ماتخطى نهر السند فى عودته حتى قام أحد الوزراء فترك نائب أحمد شاه فى مدينة دلهى وقتل المغول الكبير ووضع أحد الأمراء وأسرته على العرش ملكا على تلك الجهات، ورأى مقدمو المهراتا أن الفرصة سانحة لتكون كل البلاد فى أيديهم. واضطر أحمد شاه أن يعبر نهر السند فراراً ليحمى ممتلكاته من هجماتهم دون أعمال السيخ، وكانوا يكثرون من مهاجمة قواته وحصونه.

ولما كانت سنة ١٧٥٨ تمكن المهراتا من امتلاك البنجاب ولكن أحمد شاه لم يلبث أن قضى عليهم القضاء المبرم فى موقعة (بانيبات) الشهيرة. ثم حمل على السيخ فكبدهم الخسائر الفادحة. ولكن اضطر أن يسرع فى الرجوع إلى أفغانستان لبعض مهام هناك فقام السيخ مرة أخرى ورأى أحمد شاه أن الأمل ضعيف جداً للبقاء في البنجاب سيما وقد أخذت الآلام تساوره والأمراض تحمل على جسمه وقواه حتى قضى سنة ١٧٧٣ قيل من أثر سرطان فى وجهه. وقد ترك ذلك الملك لابنه وولى عهده (تيمور شاه).

ولنرى الآن مايقوله زعيم الشرق بأجمعه فى منتصف القرن الماضى السيد جمال الدين الأفغانى فى صفات هذا الملك رأس الأسرة الحاكمة اليوم.

كان هذا السلطان العظيم الشأن من قبيلة (السدوزاى) على ماتقدم وهى القبيلة التى كان الأفغانيون يجلونها وينظرون إليها بعين الاعتقاد. وكان مع ذلك شجاعاً ذا عزم وحزم وتدبير محكم وسداد رأى وعلم وحكمة وسعة أخلاق وطيب نفس وعدل وإنصاف ورحمة بالضعفاء وعناية بشأن الرعية وإصلاحها.

ومن أجل ذلك تمكنت محبته فى قلوب رعاياه عموماً على اختلافهم فى الأجناس والمشارب ومن قلوب الأفغانيين خصوصاً حتى إنهم كانوا يعتقدونه من المقربين إلى الله ويعدونه أبا لعموم الأفغانيين ومن ثم لقبوه ببابا وهو إلى الآن يعرف عندهم بهذا اللقب إذ يدعونه أحمد شاه بابا واستقر عرش ملكه وسلطنته على دعائم الثبات والتمكن ولكن السبب الحقيقى لثبات الملك والسلطنة هى حكمته وتدبيره ولما لم يكن فى عقبه من يكون على مثل حاله وقعت المملكة بعد موته فى ارتباك واضطراب وكانت وفاته سنة ١١٨٥ وقيل سنة ١١٨٧ بعد ما قضى من العمر خمسين سنة (تاريخ الأفغان ص ٦٨ ، ٦٩ طبعة سنة ١٣١٨ هجرية) .

وكانت وفاته بمرغاب فى التلول القريبة من قندهار . وقد تمكن ولده تيمور من اعتلاء العرش بعد أن تغلب على أخيه سليمان الذى أراد مناهضته بمساعدة وزيره ولكن الأغلبية الساحقة من الأفغانيين مالت لتيمور وقلدته أمورها فقبض على أخيه وفشل وزير أبيه الذى خانه وتم له الأمر .

ثم إن تيمور شاه ساق الجيش إلى هندستان وكشمير ولاهور وأخضع من نبذ الطاعة من الأفغان ثم نقل العاصمة من قندهار إلى كابل الحاضرة الحالية واشتهر ذلك الأمير تيمور بما كان له من مكارم الأخلاق . وقد توفى سنة ١٢٠٧ هجرية وقضى والناس تذكر ما كان له من حسن السيرة ولين العريكة وحبه للسلم كما عرف بكثرة الذرية .

وتمكن ولده زمان شاه من اعتلاء العرش وقد قام فى وجهه أخوه همايون . وما لبث أن قام فى وجهه أخوه الآخر محمود فى هرات ووقعت بينهما الحرب وانهزم محمود وعادا فاصطلحا وما زالت الفتن قائمة بينهما وأريقت بذلك دماء غزيرة ، وما زال محمود يجد الزحف والثورة على أخيه الشاه ويعلن الحرب عليه حتى هزمه أخيراً ووقع ذلك الشاه فى يده أسيراً وأمر بسمل عينيه وقبض على

وزيره رحمة الله خان وقتله بعد أن شهر به وكان ذلك سنة ١٢١٥ هجرية (١٨٠٠ ميلادية).

إلا أن زمن محمود لم يطل فقد ألقى الشعب القبض عليه وحبسوه وأخرجوا شاه زمان الضرير من الحبس ليحكم فيهم حتى يصل شاه شجاع من البنجاب.

وأخرج الشعب محموداً من السجن وقدموه إلى شاه زمان ليقتص منه ولكنه عفا عنه رحمة به وأمر برده إلى السجن.

وجاء شاه شجاع وجيش جيشاً جرارا وسار إلى كشمير لتأديب واليها وكان سمع بأنه عصاه وظهر له طاعته قبل أن يصل إليه عن يد رسول، وما كاد يرجع شاه شجاع حتى علم بفرار محمود ومن معه من الحبس، وقد تمكنوا من قهر شاه شجاع فى غزنة، وظفر محمود واستولى على الملك ثانية وأبدى لرعيته دلائل الرحمة ومظاهر الرحمة.

وجهز شاه شجاع جيشاً وأراد أن يسير به إلى كابل وبلغ ذلك محمود شاه فأخرج شاه زمان من السجن وكلمه فيما صارت إليه المملكة من الخراب وعرض عليه الاتفاق فأرسل شاه زمان يخبر أخاه شاه شجاع.

ويطول بنا ذكر الفتن العديدة والحروب والقلاقل التى انتابت البلاد حتى طمعت فيها إيران وخافت انكلترا على ملكها المعظم بالهند إذا تم لها ذلك فأخذوا فى تجهيز شاه شجاع بالجيوش وأوعزوا إلى أمير السند وزنجيت سنك الوثنى بتأييده فأيداه وعززاه بالعساكر وسار إلى قندهار عن طريق البنجاب فقابله كهندل خان واخوته وقاتلوه وهزموه شر هزيمة وفر إلى هرات واستنجد بابن أخيه كامران فأبى وقد أمكنه بصعوبة ومشاق عديدة أن يصل إلى بلاد البلوج ومنها عاد إلى الهند.

ويطول بنا الحديث لو ذكرنا كل الحروب التى قامت بين ولاة الأقاليم والرؤساء فى أفغانستان الواحد ضد الآخر وما كان بينهم وبين الايرانيين من

الحروب وما سفكت فيها من دماء وما أرادت أن تلعبه يد السياسة الانكليزية أثناء المعارك بين الفرق المختلفة ومساعيهم لوضع يدهم على البلاد الافغانية . وكانت انجلترا تتخذ شاه شجاع واسطة لأغراضهم فجهزوه مرة أخرى بالجيوش وسار عن طريق بلاد البلوج وسجستان إلى قندهار . ثم سار بجيشه إلى كابل وفتح مدينة غزنة أثناء سيره . ولما وصل إلى كابل لم يجد دوست محمد خان أميرها من نفسه ما يجعله يقاوم فاضطر للخروج وقصد بخارى يستنجد بأميرها فلم يفلح وتم أخيراً الأمر لشاه شجاع ولو أن هذا التمام كان ظاهراً فحسب وظنت انجلترا أنهم ضموا بذلك بلاداً مستقلة إلى ملكها ولكن الأمة العظيمة المعروفة بعزة النفس وشدة البأس وعلو الهمة التى لم تسمح نفوسها بأن تستظل بظل العجز ظل المكر والحيل والخداع القاضى على المستظلين به بالذل والهوان[1] تلك الأمة الكريمة الأفغانية أبت إلا أن تعمل على تطهير بلادها من أعدائها وأبت إلا أن تعيش حرة مستقلة بكل معنى الكلمة من الاستقلال وقد تم لأفغانستان ما أراده له أهلها من حرية وفك قيد الأسر والعبودية .

وجاء فى كتاب حرب الانكليز مع الأفغان للمسيو لومارشان (**Lomarchand** الضابط الفرنسى وعضو المعهد العسكرى . ظهر الكتاب سنة ١٨٧٩) :

ان مبدأ علاقة انكلترة مع أفغانستان كان فى القرن التاسع عشر وذلك عند ما أرسل نابليون الأول الجنرال جاردان لمفاوضة العجم فى عقد محالفة بينها و بين فرنسا لأجل فتح الهند . فلما بلغ الانكليز ذلك أسرعوا بإرسال وفد إلى كابول ليتخذوا من الأفغان رداً ضد العجم . وكان يومئذ فى كابول أمير له لقب شاه مثل شاه الفرس فثارت عليه ثورة واستولى على الملك أخو الصدر الأعظم الذى كان عند ذلك الشاه . وفر أخو الشاه الأفغانى إلى الهند ملتجئاً إلى الانجليز

---

(١) من كلام السيد جمال الدين ص ١١ تاريخ .

مستمداً نصرتهم لاسترداد ملكه . كما أن أمير الأفغان الجديد وكان يدعى دوست محمد خان عقد حلفاً مع الروس فكان عمله هذا كافياً لتجريد حملة انجليزية على أفغانستان سنة ١٨٣٩ . وكان قد سبق الحملة إلى كابول السائح الانجليزى المشهور برنس Burnes ليقاوم فيها دسائس الضابط فيكوفيتش الروسى . ولما رجع برنس إلى الهند أقنع اللورد أوكلاند بوجوب الزحف واعادة الشاه القديم شجاع الملك ولكن ما أعيد الشاه المذكور حتى وجد الانكليز حاجة ماسة إلى تعزيزه بجيش عظيم لما كان قد انتشر فى البلاد من الفوضى لما ظهر من عدوان الأهالى للانجليز . وفى سنة ١٧٤١ شبت نار الثورة فى كابول وقتل فيها المعتمد البريطانى وعدد من ضباط الانجليز ثم اضطر القائد الانجليزى بالنظر إلى حرج موقعه إلى طلب الأمان على نفسه وعلى جنده على أن يخرج من البلاد بدون توقف لا يلوى على شىء . وهكذا خرج فى أشد أيام زمهرير الشتاء وكان ما كان من الملحمة المشهورة التى استأصل فيها الأفغانيون ١٦ ألف أو ١٧ ألف جندى انكليزى فى كمين نصبوه لهم فى خورد كابول . ولم ينج سوى الطبيب العسكرى بريدون Brydon الذي فر إلى جلال آباد ليخبر قومه بالفادحة العظمى . ثم إن الأفغان تقدموا وحصروا جلال آباد التى كانت فيها حامية انجليزية فقاومتهم زهاء شهرين إلى أن زحف الجنرال بولوك من الهند فأنقذها . ثم بعد زمن زحف الانجليز بحملة عظيمة على كابول ونسفوا قلاعها ودار الملك وأخذوا بثأرهم عما سبق .

(انتهى مع شىء من التلخيص)

وذلك (نقلا عن تعليق للأمير شكيب ارسلان فى كتاب : حاضر العالم الإسلامى تعريب عجاج نهويض ج ١ ص ٩١ ـ ٩٢) .

. . . وحدث أن هجم على شجاع الملك من قتله ورأى الانجليز حرج موقفهم وتعذر البقاء فعمدوا إلى مصالحة دوست محمد خان لأنهم علموا أنه هو

القادر على ضبط أمور بلاده فعقد الصلح على أن يحترم الانجليز حدود الأفغان وانصرف الأمير دوست إلى تحصين بلاده واسترد بلخ وكولم وقندز و بذخشان ولزم الحيدة لما نشبت الثورة الهندية الكبرى سنة ١٨٥٧ ومات دوست محمد سنة ١٨٦٣ فاختلف أولاده فيما بينهم وتقاتلوا زمناً والانجليز يراقبون فى عزلتهم خشية تعرضهم للخسائر وقد ذاقوا مرارتها من الأفغان كما أنهم خشوا اتحاد الأفغان كلهم يدا عليهم إذا ما تداخلوا فى الأمر وتم الأمر أخيراً لشير على خان أحد أولاد الأمير السابق . واتفق الانجليز معه بشروط :

١ ـ لا يدخل عسكرى انجليزى واحد بلاد الأفغان لأجل اطفاء ثورة أو تدويخ قبيلة عاصية .

٢ ـ لا يرسل ضابط انجليزى معتمداً فى مدينة من مدن الأفغان .

٣ ـ أن لا يكون للأمير راتب معين من انكلترة مشاهرة ولا مسانهة .

وكان دوست محمد خان شديد الغيرة من رؤية الأجنبى فى بلاده فورثها عنه أولاده وذريته حتى اليوم حتى انه كان يقول للورد لورانس سنة ١٨٥٦ ما يأتى : ان كنتم تريدون أن نبقى أصحابا فلا تكرهونى على قبول ضباط انكليز فى بلادى (الأمير شكيب . ص ٩٤ حاضر العالم الإسلامى)

و بقيت العلاقات بين الانجليز وشير علي خان على ما ذكرنا حتى دخل الروس خيوه سنة ١٨٧٢ فراع ذلك أمير الأفغان وأرسل من قبله من يسبر غور حكومة الهند فيما لو وصل الروس واعتدوا على بلاده فأجيب بأن الانجليز ينجدونه إذا اعتدوا عليه . واشترطوا عليه إقامة مسيطرين انكليز فى أفغانستان ووضع حاميات انجليزية فى بعض المواقع الافغانية وربما كان من ضمن هذه الشروط قبول الحماية البريطانية وغيرها من الشروط . .

ولما بلغت هذه الشروط الثقيلة اسماع الأمير الشهم الأبى فترت علائقه مع انجلترا حتى إنه أبى السماح لضابط انجليزى بالمرور ليذهب إلى الحدود الشمالية

لبلاده ولم يأذن للسير دوجلاس فورسيت كذلك وكان يود العودة من كشغر إلى الهند ورفض قبول مبلغ من المال بعث به الانجليز على سبيل الهدية (! !) وظل النفور من جانب الأمير للانجليز بينما تحسنت علائقه مع الحاكم الروسى فى تركستان .

وأرادت انجلترا أن تسترضيه فاقترح اللورد ليتون حاكم الهند إرسال من يفاوضه فى عاصمة كابول فرفض واقترح هو أن يرسل إلى بشاور معتمداً للمفاوضة فى أمور مختلف عليها كتدخل انجلترا بينه و بين ابنه يعقوب خان الثائر على أبيه وكانت تعده انجلترا بحمايتها ومساعدتها ، ولاختلافهم فى مسألة حدود سجستان بين افغانستان والعجم وكارسال حاكم الهند هدايا رأساً إلى أحد أمراء الأفغان مع أنه تابع لمملكة شير على ومسألة التحالف معه والاعتراف بولى عهده ابنه عبد الله خان .

رضيت انجلترا بعقد المفاوضة بشاور ولكنها لم ترض شير على فى طلب ما وفشل المؤتمر .

وأرسلت روسيا مفوضيا لعقد معاهدة مع الأمير سنة ١٨٧٨ فأسرعت حكومة الهند بإرسال بعثة انجليزية لكابول ولكن الأمير رفض مقابلتها و بدأت التعديات على الحدود و بدأت الحرب بين الانجليز والأفغان وأرسلت انجلترا حملة قوية واستطاعت أن تجند الجنود المرتزقة وغيرهم من الهند وكتبت بعض الكتائب الأفغانية واستخدموها وظنوها أنها أصبحت من جملة جيشهم فإذا بها قد انقلبت عليهم وكانت أشد أعدائهم وطأة فى تلك الحرب .

ولما دخلت تلك الجيوش مسافة فى الأراضى الأفغانية ، وتوغلت فى بعض أرجائها لجأ الأمير شير على خان إلى الجهات الشمالية من بلاده ، وعاجله القضاء هناك فمات بمزار الشريف فى شهر فبراير سنة ١٨٧٩ ، و بعدها بدأت المفاوضات بين الجيش و بين الأمير يعقوب خان وهو أحد أبناء شير على السابق وكان الأمير يعقوب قد أعلن نفسه أميراً وعقد الصلح سنة ١٨٧٩ ، وعرفت المعاهدة بمعاهدة

غندابق ، وفيها تنازل عن بعض الجهات الأفغانية الواقعة قرب الحدود للانجليز كما أنه جعل كل مخابرته الخارجية بيد انجلترا وضمنت له هذه الدولة كل اعتداء خارجى على بلاده . كما أنه قبل معتمداً بريطانيا فى بلاده .

ولكن سرعان ما قتل ذلك المعتمد البريطانى ومن معه من أركان حربه ومساعديه فى كابول ولم تغن المعاهدة شيئاً . فأرسلت جيوش جديدة سارت حتى دخلت كابول وأرسل يعقوب خان إلى الهند و بقيت تلك الجيوش حتى شهر ديسمبر سنة ١٨٧٩ وقطعت كل المواصلات مع الهند وثارت القبائل وأصبحت كل البلاد بلا حاكم وأمير يجمع شملهم .

وحدث أن عاد الأمير عبد الرحمن من بلاد وراء النهر وكان قد لجأ إليها وعاش بها نحو عشر سنوات مشرداً عن بلاده . وكان عم عبد الرحمن هو الأمير شير على خان السابق وكان عبد الرحمن قد قام فى وجهه طالبا الامارة لنفسه بعد دوست محمد خان . عاد عبد الرحمن بعد هذا المنفى الطويل وحاد إلى الجزء الشمالى من بلاده الأفغانية ورأى حاكم الهند لورد ليتون أن يتخابر معه لعقد الصلح واعترفت به انجلترا أميرا على بلاده على أن يتخلى لها عن بلاد الافريدى وأن تكون علائقه الخارجية عن يد الحكومة البريطانية وأسرع الانجليز بالجلاء عن أفغانستان لشدة ما كانوا يلاقونه من أمة باسلة تأبى الضيم .

وأحسن الأمير عبد الرحمن بن أفضل خان بن دوست محمد خان الإدارة وأحكم أمره وكان حكيما عاقلا عرف بالفطنة عند أهل الشرق والغرب وأخذ فى إصلاح ما فسد وأقام العدل وجد فى عقاب المفسدين وجعل نفوذ الحكومة موطدا وأسس معملا للسلاح وأخذ فى تدريب الجيوش وأخذ فى توسيع إمارته من جهة الشرق ومد تخومه واستولى على ولاية كافرستان فأسلم أهلها على يده وأسماها نورستان وعرفت أفغانستان طعم الراحة فى أيامه كما عرفت بلاده أن الوحدة والاتحاد والعمل على خير الوطن واجب مقدس . وانتقل الأمير عبد الرحمن

إلى رحمة الله سنة ١٣١٩ هجرية (١٩٠١ ميلادية) ويعد من أفضل أمراء ذلك العصر لسداده وحكمته ومضاء عزيمته وقيل بأنه كتب مذكرات حياته باللغة الفارسية .

خلف الأمير عبد الرحمن ولده المرحوم الأمير حبيب الله خان وقد خاطبته الحكومة البريطانية بلقب ملك (الأمير شكيب أرسلان ص ٩٩ ج ١٠ حاضر العالم الإسلامى) وقد لبثت أكثر علائقه الخارجية كما كانت من قبل .

ومما يذكر أن بعث الألمان والأتراك العثمانيين ببعثة ألمانية إلى كابول أثناء الحرب الكبرى الأخيرة لاستمالة الأمير السابق إليهم فرأى أن يبقى على الحيدة ورأى أن ذلك خير ما يفعل وحبذا لو أنه رآها فرصة لمطالبة الإنجليز وقتها برد ما سلبوه من بلاده كما رأينا الآن فى أعمالهم أثناء القرن التاسع عشر .

وحدث أن كان الأمير حبيب الله خان فى مشتاه بجلال آباد سنة ١٩١٩ فوجد مقتولا ولم يعرف قاتله . ورأت الأمة الأفغانية أن تعهد بأمرها إلى أحد أبنائه الأمير أمان الله خان بعد أن تنازل ولى العهد و إخوته عن أمر الملك . وقد رأى أن يفك بلاده من قيود ثقيلة كانت من قبل فأصبحت علائقه الخارجية مباشرة مع الدول الأخرى . وأرسل لها السفراء والمفوضين والوكلاء وأعلن نفسه ملكا على أفغانستان ثم أراد أن يطوف بالبلاد والممالك التى لها علاقة بأفغانستان لاقتباس ما يمكن إدخاله من اصلاحات فى بلاده فزار الهند ومصر و إيطاليا وفرنسا وانجلترا وألمانيا وروسيا وتركيا و بلاد إيران وغيرها وعاد إلى كابول . وقد كنت من هيئة أعضاء مجلس إدارة لجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وقابلته تلك الهيئة فى القصر الذى أعدته الحكومة المصرية لنزوله بالجيزة وهو قصر أبى أصبع القريب من جسر الجلاء . وكانت الهيئة مكونة من عبد الحميد بك سعيد رئيس الجمعية والمرحوم الشيخ عبد العزيز بك جاويش وكيلها السابق والمرحوم أحمد باشا تيمور أمين صندوقها السابق ومحمود على فضلى بك المدرس بمدرسة المعلمين العليا

أيامئذ العلمية وعضو بمجلس إدارة الجمعية وعلى بك شوقى نجل شوقى بك الشاعر المعروف وكان موظفا بوزارة المعارف وهو بوزارة الشؤون الخارجية وكان عضوا بمجلس الإدارة حينئذ وحسين بك شرين رئيس الجمعية بالأسكندرية ومؤلف هذا الكتيب، وقد خطب عبد الحميد بك خطبة باسم الجمعية مرحباً بالملك المسلم وتمنى النهضة والرقى للأمة الأفغانية . وترجم المرحوم الشيخ جاويش ما قاله إلى التركية التى يعرفها الملك . ورد عليها الملك بالتركية يحيط به بعض رجال حكومته و بعضهم كان يفهم العربية جيدا وساعد فى نقل الخطب منها و إليها أو ترجم بعض الجمل .

و بعد أن استمرت المقابلة نحوا من ثلث ساعة وكلنا وقوف صافحنا الملك مستأذنين كما صافحنا عند دخولنا عليه .

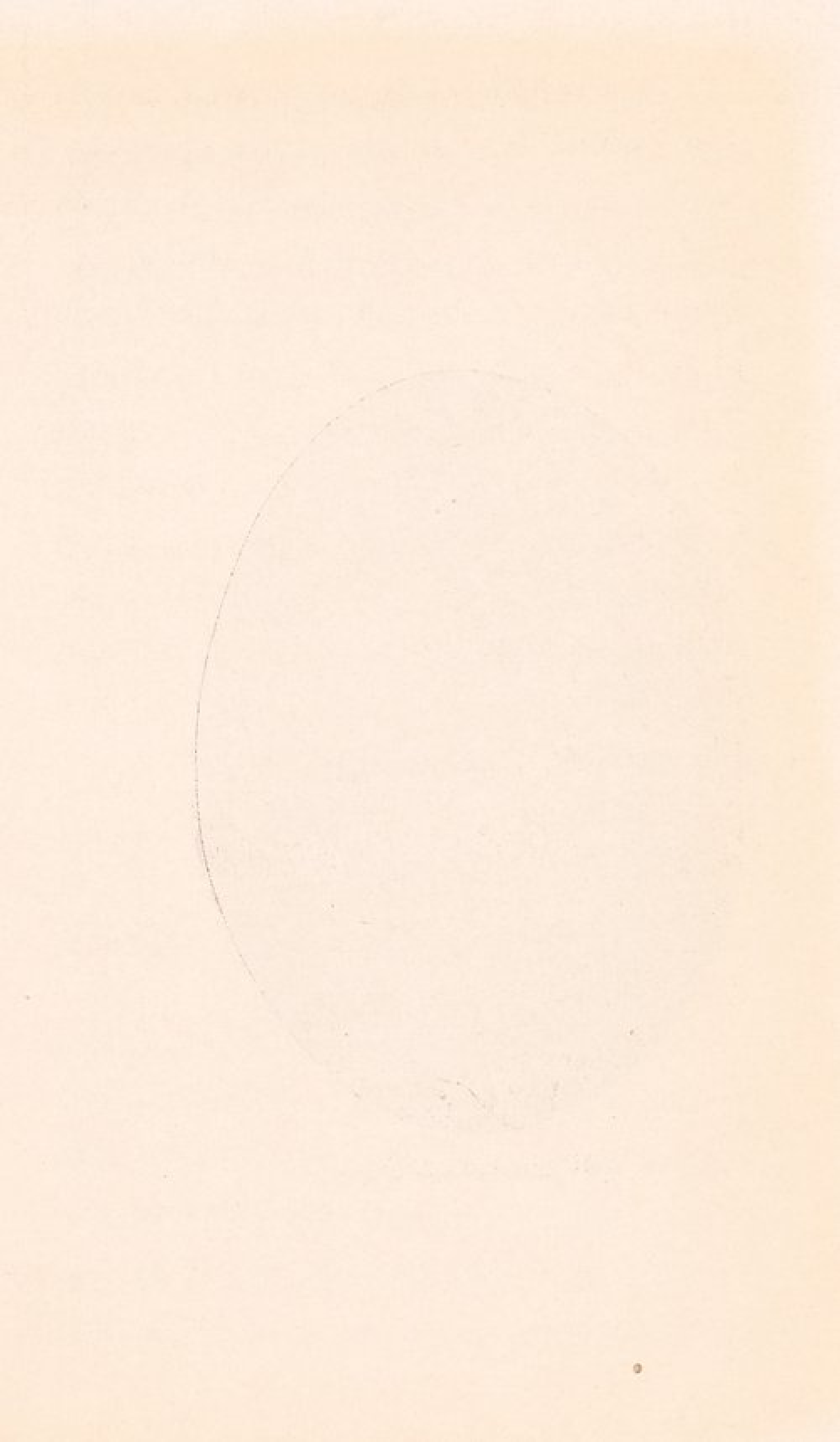
والذى لاحظته عليه أنه على شيء كثير من الجرأة والإقدام وكان لا يظهر عليه الخمول بل كان مظهره وقوله يدل على حبه للعمل والنشاط فكان يتكلم وهو يزن كل ما يقول لأنه كان يعلم أن كل ما يصدر عنه ينقل عنه و ينشر .

ولكنى لاحظت عليه أنه ربما أدته جرأته التى كانت ظاهرة عليه إلى عثرة أو عثرات لا مثيل لها وخفت من شر ذلك لأن عثرة الملك أو الأمير تجر وراءها مصابا جليلا للشعب الذي يحكمه سيما إذا كان غير مقيد بدستور كما كان الحال بأفغانستان . ولما كانت أفغانستان بلاداً إسلامية فكل ما يحدث لها من خير أو شر هو خير أو شر لنا معاشر المسلمين سواء بسواء .

وقد حدث ما كنت أوجس منه خيفة إذ ذاك فقد كانت لأمان الله حسنات وسيئات ككل فرد من البشر وجل من لا يخطىء . و يظهر أنه اغتر ببعض المظاهر الخلابة فى سياحته واندفع فى جرأته لعمل (إصلاحات) كان يراها هو كذلك و يراها الشعب الأفغانى خروجا عن الآداب والدين والعادات والقومية فبدأ فى تنفيذ ما رأى بسرعة فثار الشعب وأججت بعض الدول نيران تلك الثورة لأنه يهمها أن تظل أفغانستان على ما هى عليه من جهل وأن لا تجرى فيها



أمان الله خان ملك أفغانستان المخلوع



إصلاحات حقة لرقيها ولنهضتها لتكون فى مصاف الأمم الراقية المهذبة .

واشتدت الثورة واندلع لهيبها فرأى الملك أمان الله نفسه مضطراً أمام قيام الناس عليه هناك أن يخلع نفسه العرش و يتنازل لأخيه عنايت الله خان . ولكن أمر هذا لم يطل إلا أياما قلائل ولم يتمكن من كبح جماح الثائرين وتم الأمر لباجى سقا أحد العصاة الثائرين ونادى بنفسه أميرا على أفغانستان باسم الأمير حبيب الله خان ولبث يحكم البلاد شهورا إلى أن استدعى نادر خان أحد القواد الافغان المعروفين ومن البيوت القديمة فيهم ليتولى كبر الثورة و يطرد ذلك الثائر باچى سقا فعاد إلى بلاده من فرنسا وكان يستشفى فيها وهب بعض الناس لنصرته وكان فى طليعتهم أقار به وأخوه وتم له النصر على باجى سقا وقبض عليه وقتله وطالبه الشعب الأفغانى بقبول العرش ونودى به ملكا على أفغانستان باسم الملك نادر خان وابتدأ الأمن يستتب فى البلاد وعادت السكينة والطمأنينة لها .

ثم حدث ما تراه فى ما يلى

ونحن لا يسعنا إلا أن نبتهل إلى الله أن يوفق أهالى تلك البلاد لما فيه خيرهم وإسعادهم والله على كل شىء قدير .

مقالات ونبذ عن الجرائد والمجلات :

وكنا قد اطلعنا على ثلاث مقالات فى مجلة المقتطف رأينا أن نلحقها بهذه الرسالة زيادة فى العلم بأفغانستان وها هى ذا المقالات .

١ ـ الأسباط المفقودة نشرت فى عدد مارس سنة ١٩١٠ .

٢ ـ أمير أفغانستان ملخصة عن مجلة المجلات الانكليزية موت الأمير عبد الرحمن نشرت فى عدد يناير سنة ١٩٠٩ .

٣ ـ أفغانستان وأميرها عدد ابريل سنة ١٩١٩ .

الأسباط المفقودة [1]

يقال فى التوراة إن بنى إسرائيل انقسموا بعد سليمان الحكيم إلى مملكتين مملكة يهوذا وهى تشمل سبط يهوذا وسبط بنيامين ، ومملكة إسرائيل وهى تشمل العشرة الأسباط الباقية ، وكان ذلك حوالى سنة ٩٧٥ قبل المسيح ، وتعاقب على مملكة إسرائيل تسعة عشر ملكاً ثم تغلب عليها شلما نصر ملك أشور وجلا أكثر شعبها إلى بلاد مادى . وأسكن الأشوريين بدلاً منهم فامتزجوا بمن بقى من السكان الأصليين ونشأ منهم السمره وتعاقب على مملكة يهوذا عشرون ملكاً وأخيراً غزاها نبوخذ نصر ملك بابل سنة ٥٨٨ قبل المسيح وجلا وجوه الشعب وأغنياءهم إلى بابل . أما الذين جلوا من مملكة يهوذا فردوا إلى بلادهم ، وأما الذين جلوا قبلهم من مملكة إسرائيل فلم يُردُّوا ، واختلف الباحثون فى ماجرى لهم وأين ذهبوا .

وقد وقفنا الآن على مقالة فى هذا الموضوع فى مجلة الأديان التى تصدر باللغة الإنكليزية فى بنجاب ببلاد الهند فاقتطفنا منها ما يأتى :

قال الكاتب — لقد أبانت هذه المجلة غير مرة أن الأفغان وأهالى كشمير من أسباط بنى إسرائيل المفقودة . ولا يزال فى الجهات الغربية من بلاد الهند أناس يسمون أنفسهم بنى إسرائيل ويجرون على شريعة موسى ويقولون إنهم لم يصلوا إلى هناك من بلاد الشام ولا من بلاد العرب ولا من بلاد الفرس بل من البلدان الشمالية أى من أفغانستان وكشمير فهم فريق من الأسباط العشرة المفقودة لم يتدين بغير الديانة الموسوية خلافاً لأهالى أفغانستان وكشمير .

ويسكن بنو إسرائيل هؤلاء الآن فى ولاية بمباى وساحل ملابار ومنهم رجل اسمه روبنس قرأ ما كتب عنهم فى هذه المجلة فبعث إلىَّ بكتيب موضوعه يهود الهند والشرق الأقصى ألفهُ أحد المرسلين فى بلاد الهند . وعدد بنى إسرائيل

---

(١) مجلة المقتطف مارس ١٩١٠

الآن فى ولاية بمباى عشرة آلاف نفس . وكان أكثر عملهم عصر الزيت ولذلك سموا شنوارتلى أى زيّاتو السبت أوالزياتون الذين يحفظون السبت و بعضهم فلاحون وباعة وصناع . ولما نشر العلم الإنكليزى فى البلاد هاجر أكثرهم إلى المدن الكبيرة كبمباى و بونا وقراشى وأحمد أباد . وانتظم كثيرون منهم فى سلك الجيش الإنكليزى وأسر السلطان تبو بعضهم ولما علمت أمهُ بذلك طلبت منهُ أن يعفو عنهم لأن اسم بنى إسرائيل وارد فى القرآن ففعل .

وهم يسمون أولادهم بأسماء مثل الأسماء الواردة فى التوراة ولكن يقال إنهم لم يكن فيهم اسم يهوذا ولا اسم استير وهما من أشهر الأسماء وأحبها لدى اليهود . ويكثر فيهم اسم راوبين وقد غيروا أسماءهم قليلاً حتى توافق الأسماء الهندية فقالوا بناجى لبنيامين وموساجى لموسى وأباجى لإبراهيم وهروجى لهرون وداودجى لداود وأساجى لإسحاق وأكرويجى ليعقوب وإسجى ليوسف والوجى لإيليا وهساجى لحزقيال وروبنجى لراوبين وسليمانجى لسليمان وشمشنجى لشمشون. وهلمَّ جرًّا . وقد ترك سكان المدن منهم هذه الأسماء الآن ولكن سكان القرى لايزالون يستعملونها ونسوا كلهم اللسان العبرانى لكنهم لا يزالون يحافظون على كثير من الشعائر الموسوية فيختتنون أطفالهم ويحفظون السبت ويرددون الذكر الذى يقال فيه « شمع يزرائيل » أى اسمع ياإسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، وليس عندهم غيره من الأقوال الدينية فيرددُونه فى كل حفلة سواء كانت زواجاً أو موتاً أو ولادة وما أشبه . ويطلقون شعر سوالفهم كما كان يفعل اللاويون حسب وصية موسى فى سفر اللاويين ١٩ : ٢٧ وكما يفعل الأفغان الآن ، ويقولون كلهم إن أصلهم من العبرانيين ، ولا يأكلون عرق النساء الذى على حق الفخذ جرياً على السنة القديمة (أنظر سفر التكوين ٣٢ : ٣٣) .

وعندهم رسوم أخرى قديمة مما كان بنو إسرائيل يجرون عليه فى قديم الزمان وعدل خلفاؤهم عن استعماله دلالة على أنهم بعدوا عن بنى إسرائيل المعروفين الآن

من عهد قديم جداً كاستعمالهم البخور فى شريعة النذير كما هو مذكور فى سفر العدد ، وقد أبطلوا الآن استعمال البخور لأن اليهود الذين جاؤا حديثاً قالوا لهم انهُ من الرسوم التى يستعملها غيرهم ولـكن يهود الصين لا يزالون يستعملونهُ ويهود الصين هؤلاء يقولون إن أسـلافهم جاؤا الصين من الغرب كما يقول يهود بمباي إن أسـلافهم جاؤا من الشمال وهذا يصدق على بلاد أفغانستان لأنها شمالى بمباى وغربى الصين .

وزد على ذلك أن أسماء مدن الأفغان تشـابه أسماء مدن إسرائيل فاسم عاصمتهم كابول وهو اسم مدينة من مدن بنى إسرائيل على مافى التوراة امل ٩ : ١٣ .

والأمور المتقدمة : وجهل هؤلاء الناس صوم التدشـين وخراب الهيكل الثانى وجريهم على موجب تقاليد المشنى لا الثلمود يدل على أن أسلافهم دخلوا بلاد الهند قبل التاريخ المسيحى بقرنين على الأقل .

وفى سـاحل ملايار يهود كان عددهم ١١٣٧ فى إحصاء سنة ١٩٠١ وهم يدّعون أنهم انفصلوا عن إخوانهم مدة السبى الأول ولغتهم من اللغات الهندية ولـكنهم لا يزالون يعرفون شيئاً من العبرانية . ويقسمهم الأور بيون إلى بيض وسود والسود أشـد سمرة من البيض ولـكن سمرتهم ليست مثل سمرة أهالى البلاد ، ويظن مؤلف الـكتاب المشار إليه آنفاً أن اليهود البيض أحدث من اليهود السمر فى تلك البلاد وأن يهود بمباى ويهود ملابار كانوا شعباً واحداً ثم افترقوا .

وللباحثين فى هذا الموضوع أربعة مذاهب فى كيفية مجىء اليهود إلى بلاد الهند الأول إنهم من يهود اليمن خرجوا إلى الهند من بلاد العرب . وهذا خطأ إذ المرجح أولاً أن يهود بلاد العرب أصلهم من العرب الذين تهودوا سنة ٣٠٠ للمسيح لا من اليهود أنفسهم ، وثانياً أنهُ ليس بين يهود الهند ويهود اليمن شىء

من التواد كما ينتظر لو كان الفريق الواحد متشعب من الفريق الآخر . وثالثاً أنه لا يمكن الاستدلال على أن اليهود سكنوا بلاد الهند قبلما وجدت اليهودية فى بلاد اليمن فإن رسوم يهود الهند الدينية تدلُّ على أنها من قبل عصر التلمود . ورابعاً إن تقاليدهم تقول: إنهم جاؤا من الشمال و بلاد اليمن إلى الغرب من بلاد الهند لا إلى الشمال منها .

والمذهب الثانى أنهم جاؤا الهند من فلسطين رأساً وهو مذهب حاييم صموئيل كهمكار وعنده أنهم يشيرون بقولهم إنهم جاؤا من الشمال إلى الولايات الشمالية من فلسطين التى سكنها اليهود قبل التاريخ المسيحى .

والمذهب الثالث إنهم من نسل يهود العراق جاؤا الهند بطريق خليج فارس فقد كانت طريق التجارة متصلة فى القرن السادس للميلاد بين بلاد الهند وخليج فارس . وهذا المذهب منقوض بأن يهود الهند سكنوها قبل القرن السادس بزمن طويل و بأن تقاليدهم تدلُّ على أنهم هاجروا لسبب سياسى ولداعى ماأصابهم من الاضطهاد لا لسبب تجارى ، ويقال فى هذه التقاليد إن أسلافهم جاؤا من الشمال منذ نحو ألف وثمانمائة سنة إلى ألف وستماية سنة جاؤا مهاجرين بسبب الاضطهاد والانقلاب السياسى فانكسرت بهم السفينة على ساحل الهند ولم ينجُ منهم إلا سبعة رجال وسبع نساء فدفنوا الغرقى الذين ألقاهم البحر على البر ولم تزل قبورهم إلى الآن .

ومن رأى مؤلف الكتاب أن بنى إسرائيل هؤلاء جاؤا من كردستان التابعة لبلاد الفرس ولكن إن كان فى كردستان جماعة صغيرة من الأسباط العشرة ففى أفغانستان أمة كبيرة تقول إنها من الإسرائيليين ، ولم ينف المؤلف احتمال ذلك بل أشار إلى كتاب ألفه الشيخ صادق على يقول فيه إن ثلاثاً من أكبر قبائل الأفغان أصلها يهودى ، وإلى رسالة كتبها المستر سلمون فى المجلة الانكليزية المسماة أخبار اليهود فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٠٢ قال فيها إن صديقاً من أصدقائه

دعى إلى بيت رجل من مسلمي الأفغان فوجد صحفة فيها رقاق فطير وزائدة الكبد وبخور ونحو ذلك مما يذكر فى أسفار موسى وأراهُ أصحاب البيت كتاب صلاة بالعبرانية فطلب منهم أن يعطوهُ إياه فأبوا . وقد ذكر جنستن فى قاموسِهِ الجغرافى أنهُ لما وصل نادر شاه إلى بشاور أتاهُ رؤساء بعض القبائل بتوراة مكتوبة باللسان العبرى وأشياء أخرى مما كانوا يستعملونه فى ديانتهم الأولى فعرفها لليهود الذين كانوا معهُ أنها مما يستعملونه هم ، انتهى .

هذا ومقالة مجلة الأديان مسهبة فى هذا الموضوع . والظاهر أن أكثر الباحثين على أن الأفغان يدعون أنهم من بنى إسرائيل وأنهم يشبهون الإسرائيليين فى شكلهم وبعض عاداتهم ولكن لغتهم لا تشبه اللغات السامية بل هى من اللغات الآرية فإن كانوا من بنى إسرائيل فقد أبدلوا لغتهم الأصلية كما فعل الذين سكنوا أوروبا من الإسرائيليين .

أمير أفغانستان (١)

ملخصة عن مجلة المجلات الإنكليزية

موت الأمير عبد الرحمن

لما آلت إمارة أفغانستان إلى الأمير عبد الرحمن والد الأمير الحالى قضى العشر سنوات الأولى من حكمه يجد ويجتهد فى إصلاح شئون إمارته ، وكانت أعماله موسومة ببعد النظر والاعتماد على النفس ، فأتمَّ كلَّ ما من شأنهِ أن يرفع اسمهُ ويصلح حال بلاده سواء كان ذلك فى الشؤون الحربية أو المالية أو الإدارية ولما تمَّ ذلك لهُ وآنس من نفسه القوة والعزة أراد أن يجحد معروف الحكومة الإنكليزية ، ويكفر بجميلها ، وكانت حكومة الهند قد أوقفت دخول بعض الذخائر الحربية إلى بلاده ، فجواباً على فعلها هذا توقف عن قبول الاعانة المالية التى تدفعها إليهِ ، وسيَّر الجيوش إلى الحدود وأرسل إلى اللورد سالسبرى رأساً

---

(١) مجلة المقتطف يناير ١٩٠٧

(وكان رئيس الوزارة الإنكليزية حينئذ) كتاباً يشكو فيه والى الهند . وبقى بعد ذلك وخصوصاً بين سنة ١٨٩٠ و ١٨٩٨ يبذل وسعهُ فى تكدير العلائق بين بلادهِ والهند يبسط حمايته على بعض قبائل الحدود المعادية لانكلترا وإثارة روح التعصب بينها ، وتحدّى حكومة الهند إلى القتال بعبارات شديدة اللهجة فى أثناء انهما كهما بحملة الحدود ، فقلقت الحكومة من مسلكهِ العدائى هذا ولكن قلقها جعل يقلُّ بتقدم الأمير فى السنّ ولا سيما لأن والى الهند تغيّر فى تلك الفترة وأُسندت الولاية إلى اللورد كرزون ، وكان الأمير يكرمهُ كلّ الإكرام ويجلُّ قدرهُ ، ثم عاجلهُ القضاء قبلما أثّرت صداقتهُ لوالى الهند فى سياسة الحدود وخلفهُ ابنه الأكبر حبيب الله خان .

جلوس حبيب الله خان :

وكان الأمير حبيب الله معروفا فى الهند لما جلس على كرسى إمارة أفغانستان لأن أباهُ وكل إليه فى سنيهِ الأخيرة كثيراً من الشؤون الإدارية فتمرس بأحوال البلاد وكان يحضر الدربار الذى يقام فى الهند بالنيابة عن أبيه مدة الخمس السنوات الأخيرة من عمره وهو يميل إلى الاستبداد بحكم الفطرة والمكان فلم يبدُ عليه أقلُّ ميل إلى تأييد تابعيتهِ للحكومة الإنكليزية بل إن أنفتهُ وسموّ مركزهِ يحدوان به إلى حسبان نفسه مستقلاً تمام الاستقلال عنها واستبدال الروابط القديمة التى تربطهُ بها بروابط أخرى تنافى المبادىء المتضمنة فى المعاهدة التى عقدت بين انكلترا وأفغانستان سنة ١٨٨٠ .

ولا نعلم ما إذا كان المستر مورلى ناظر المستعمرات الحالىّ يعترف بمساواة الأمير لوالى الهند فاذا اعترف بذلك آل الأمر إلى فقدان الإنكليز مالهم من النفوذ والسطوة فى أواسط آسيا ، ولكن من أصعب الصعب عليهم أن يأبوا على الأمير حقهُ فى عقد محالفة يكون أساسها الارتباط المتبادل لاسيما وأن معاهدة داين التى عقدت بينهم وبينه فى أواخر سنة ١٩٠٤ تعترف بأمير أفغانستان ملكا مستقلاً

وقد دلتهم الحوادث التى جرت منذ ولى عرش الامارة على إميلاه نحوهم فإذا هو مثل أبيه فى مجاملتهم ، وعدم المبالاة بمطالبهم ، وأعظم تلك الحوادث دلالة على استقلاله ماجهر به من حماية بعض الدراويش التابعين لقبائل الحدود المستقلة وكانت حكومة الهند قد حظرت عليهم دخول بلادها ، وكذلك كيفية استقباله لوفد داين وصرفه إياهُ ومقابلته دعوة حكومة الهند له مراراً لزيارتها بالمجاملة والحظر ظناً منه أن غاية تلك الدعوة المتكررة تضييق نطاق استقلاله ، وزيادة المراقبة على بلاده فى حين أن الغرض الحقيقى منهـا توثيق الصلات التى كانت بين والده وحكومة الهنـد .

ولم يقف عند هذا الحد من رفض الدعوات التى كانت ترسل إليه تباعاً بل إنه لما أنفذت حكومة الهند إليه وفداً ليعزيه عن وفاة أبيـه عقد محفلاً حافلاً لاستقباله ، وشدد فى القول أنه عازم على احترام أسباب الشكوى التى كان والده يشـكوها ، وزاد على ذلك قوله : إن ماتقيد به الأب من القيود والروابط لا يلزم الابن . وكان قبل ذلك قد قام يدعى لنفسه حق أبيه فى مشترى كل ما يشاء من السلاح والذخيرة ، وأخذ يقترض المال على حساب الأقساط الشهرية المتأخرة من الاعانة ، فرأت الحـكومة أنه وإن لم تـكن ثمت حاجة إلى إرغامه على ما تريد قوة واقتداراً فلا غنى لها عن شد الروابط التى ارتخت بين كابول وكلـكتا ، وهذا سبب معاهدة داين التى مرت الاشارة إليها ، وإليك بيانها

معاهدة داين :

إن حبيب الله كثير الارتياب فى النفوذ الأجنبى ، وقد ظهر ارتيابه فى كل عمل من أعمال سياسته الخارجية ، وبلغ منه سوء الظن بمقاصد الانـكليز بين سنة ١٩٠١ و ١٩٠٤ مبلغاً عظيما كاد يفضى إلى قطع العلائق بينه وبينهم فرأت الحـكومة الانـكليزية فى أواخر سنة ١٩٠٤ أن لابد من عمل يعمل لإزالة ذلك فأوفدت المستر لويس داين (وهو الآن السر لويس داين) إلى كابول فتم الاتفاق

بينه و بين الأمير على الأمور الآتيــة : وهى أولا : أن تدفع الحــكومة الهندية متأخرات الإعانة وقدرها ٤٠٠٠٠٠ جنيه . وثانياً : أن تستمر على دفع الإعانة السنوية التى كانت تدفعها إلى أبيه وقدرها ١٨ لــكا من الربيات (١٢٠ ألف جنيه) . وثالثاً : أن يشترى الأمير ماشاء من السلاح والذخيرة بلا قيد . ورابعاً : أن يُعترف به أميراً مستقلاً لأفغانستان وتوابعها .

وإنما تساهلت حكومة الهند معه هذا التساهل رجاء أن يقابلها بالمثل ولكنه لم يتساهل فى شىء ، ولم يتنازل عن شىء مع أنه أرسل ابنه عناية الله خان رئيس وفد شرف لتحية اللورد كرزون ، وعليه فان الحالة الآن مثلما كانت عليه عند وفاة الأمير عبد الرحمن سنة ١٩٠١ .

مطالب حكومة الهند :

أما مطالب حكومة الهند فى أفغانستان فيمكن جمعها تحت بندين ، الأول : ما يطابق مسؤليتها من جهة المحافظة على سلامة أفغانستان ومنع تجزئتها . والثانى : ماينشأ عن سوء التفاهم السياسى . فمن جهة الأمر الأول يقال : إن مطالب حكومة الهند الآن إنما هى تتمة طبيعية للحماية التى تحمى أفغانستان بها من الاعتداء الأجنبى فإذا أريد منها إدامة تلك الحماية فى الاستقبال والمحافظة على ما بينها و بين الأمير من العهود والمواثيق وجب أن يمهــد السبيل أمامها إلى ذلك ، وإلا فما دامت لاتنال امتيازاً فى أفغانستان فلا يمكنها العمل بمعاهدة يطالب منها فيها حماية الحدود الشمالية من البلاد وهى على بعد خمسمائة ميل عنها وطريقها إليها صعبة السلوك وجيش أفغانستان غير تام الأهبة والتدريب .

وعليه فلا غنى عن مد سكك الحديد الحربية التى لها فى شمال الهنــد إلى كابول وكندهار ومد خطوط التلغراف بين كابول وكندهار وهرات والمزار الشريف فى الهند وتنظيم جيش أفغانستان عن يد ضباط من الإنكليز ، ولايخفى أنه لايمكن إتمام عمل من هذه الأعمال بلا رضى الامير ولما كانت غاية الحكومة

الهندية حمله على معاونتها فى تحقيق أمانى لايقصد بها سوى خير أفغانستان لا غير فهى تبحث فى هذه المسألة بروح التساهل والمسالمة . ومما لابد من ذكره هنا أن مقاومة هذه المشروعات صادرة كلها عن بطانة الأمير فى كابول وهى تستمد روح المقاومة لكل شىء أجنبى من تعاليم الأئمة الذين لهم الحول والطول فى البلاد . هذا ومع أن الأمير مقاوم لهذه المشروعات أيضاً فقد صرح مراراً بأنه يلتجىء إلى حكومة الهند فيما لو وقعت الحرب بينه و بين دولة أخرى وخاف من الانغلاب فيها ولما كان ذلك ليس ببعيد الوقوع فمن الخطأ أن يمنع المراقبة الأجنبية لجيشه لا سيما وأن الجنود قابلون للتعليم والتدريب بسرعة وسهولة .

أما الأمر الثانى فانه يختلف كل الاختلاف عن الأول ومداره على تعرض الأمير للقوافل التى تدخل بلاده من الهند ومراقبته لشؤون قبائل الحدود ومحافظته على القوانين التى سنها أبوه ضد استخدام آخر نقطة تصل سكة الحديد إليها . على أن هذه المسائل الثلاث قابلة للحل فى كل آن .

سياسة الأمير الداخلية :

ولننتقل من سياسة الأمير الخارجية إلى الداخلية فنقول : إن حكمهُ موسوم بالرفق وحب الخير لرعيته فما رقى عرش الإمارة حتى أزال مظالم جباية الضرائب ولتسهيل التجارة وتوسيع نطاقها وتشجيع قومه عليها أمر الخزينة أن تسلف التجار المال تخلصهم بذلك من اقتراض المال بربا فاحش من الهنود وأصدر المناشير فى البلاد يدعو فيها الذين هاجروها هرباً من استبداد أبيه للعودة إليها .

والأمير أميل إلى الدين وشؤونه منهُ إلى الحرب وفنونها حتى لقبهُ بعض الأئمة بسراج الملة والدين كما لقب غيرهُ أباهُ بضياء الملة والدين . وكان لهُ سبع زوجات فطلق ثلاثاً منهنّ وأبقى أربعاً إجابة لطلب شيخ أئمة كابول وعملاً بالشرع . وغالى فى اتباع بعض السنن فنهى الرجال عن لبس الملابس الموشاة

بالذهب والأحذية المزركشة والمناديل الزاهية الألوان ولبس الحلى وأمر النساء أن يستبدان الإزار الأبيض بإزار غامق اللون ، ومصدر هذه الحركة كلها أخوهُ قائد الجيش العام السردار نصر الله خان الملقب باعتماد الدولة فانهُ شديد التحمس وقد جمع حولهُ جميع أئمة كابول يؤيدونهُ ويشدون أزرهُ .

أطواره :

والأمير حبيب الله يختلف عن أبيهِ فى احتقارهِ لجميع الأجانب على السواء وارتيابهِ فيهم . أما أبوهُ فكان يلبس لكل حال لبوسها ويراعى فى معاملتهم مصلحتهُ فيحاسنهم أو يخاشنهم طبقاً لمقتضى تلك المصلحة .

وهو أصغر جسما من أبيهِ وأضعف بنية وشديد الشبه لهُ . إذا أشار محدثاً أبرقت أسرَّتهُ . وهو لين جانب من بيهِ و كثر حلماً ولكن أباهُ كان أبعد نظراً فى الأمور وأسدَّ رأياً وأربط جنانا .

ولهُ هزل لا يشتهيهِ صديق لصديق . حكى أنهُ كان ذات يوم يلبس حذاءه فرأى فيهِ عقرباً سوداء فنادى الخادم الذى وكل إليهِ العناية بملابسهِ وقال إن الحذاء ضيقٌ وأمرهُ أن يلبسهُ أمامهُ ليتسع قليلاً ففعل فلسعتهُ العقرب شرَّ لسعة .

وحكى أن داء النقرس اشتدَّ عليهِ يوماً فقالوا لهُ إن فى المدينة طبيباً هندياً قدم حديثاً فلنستدعهِ إليك لعلهُ يصف لك دواء يريحك من هذا الداء . فأعدَّ لهُ الطبيب منوّماً وأوصاهُ أن يشربهُ جرعات على عدة أيام . ولكنهُ خاف أن يكون فى الدواء سمٌّ فأمر أحد خدمهِ أن يشرب نصف الزجاجه فشربها فمات من كبر الجرعة . ولما رأى ذلك عدل عن شرب الدواء . وأخيراً شفى فاستدعى الطبيب وبشرهُ بشفائهِ ففرح ظنًا منهُ أن شفاءهُ كان نتيجة شرب الدواء ووعد نفسهُ بأحسن جزاء . فأخرج حبيب الله الزجاجة وفيها النصف الباقى من الدواء

وقال إن نصف هـذه الزجاجة قتل خادمي الذي شربهُ وبقي النصف الآخر فاشربهُ أنت وتم معافى فلم يسع الطبيب إلا الامتثال فشربهُ وكاد يقضي نحبهُ لو لم يبادرهُ رجل أوربي من خدم الأمير بمقيئ.

فإن كانت هاتان الروايتان صحيحتين فما أبعد الزمن الذي تجاري فيهِ أفغانستان بلاد اليابان أو البلدان المستقلة. وإذا بحثت عن تأخر بلدان المشرق رأيت علتهُ الكبرى أمراءها.

أفغانستان وأميرها[1]

أفغانستان إمارة واقعة بين الدرجة ٢٩ والدرجة ٣٨ من العرض الشمالي، و ٦١ و ٧٢ من الطول الشرقي ويحدّها من الشمال أملاك روسيا، ومن الشرق الهند ومن الجنوب بلوخستان، ومن الغرب إيران. ومساحتها نحو ٢٥٠ ألف ميل مربع، وعدد سكانها نحو ستة ملايين.

وقد فتح الفاتحون أفغانستان من تتر وفرس ففتحهـا تيمور كلها وأضاف السلطان ببر قندهار إليهـا في أوائل القرن السادس عشر. وبقيت في أيدي سلاطين المغول مدة قرنين من الزمان إلى أن حدثت حرب الأفغان الكبرى سنة ١٨٨٠ فاستولى الانكليز على عاصمتها وعلى قندهار بقيادة اللورد روبرتس وعرضوا منصب الإمارة على الأمير عبد الرحمن فقبله، وجلت الجنود الانكليزية عنها على أن تتولى انكلترا شؤونها الخارجية ولا تتعرض لشؤونها الداخلية بشيء.

وبعد وفاة الأمير عبد الرحمن سنة ١٩٠١ خلفه ابنه الأمير حبيب الله خان وما زال أميراً عليها حتى قتل في أواخر فبراير (١٩١٩) وكان الأمير عبد الرحمن يلقب «ضياء الملة والدين» أما الامير حبيب الله فلقب نفسه «سراج الدين والملة»

وقد نعاه مكاتب المقطم من لندن، وقال إنه لقي حتفه برصاصة أطلقها عليه

---

(١) مجلة المقتطف إبريل ١٩١٩

جان فى معسكره فأصابت منه مقتلا وتوفى وهو فى السابعة والأربعين من عمره والثامنة عشرة من حكمه . ويقول المكاتب إن الباعث على ارتكاب الجناية مجهول ، وأن التفاصيل معدومة ، ولكن القتل ثابت والوفاة محققة(١) .

ولا يبعد أن يكون الباعث على القتل علاقة بما كان يحدث حين ذاك فى كابول من المساعى والتدابير لإنشاء تحالف جديد فى قلب آسيا بين أمير أفغانستان وأمير بخارى الذى يستطيع التملص من نفوذ روسيا فى بلاده وسائر الخانات فى قلب آسيا كما يحتمل أن يكون القاتل من رجال قبائل الافريدى التى ما برحت تقاتل الأفغان ، هذا إذا لم يكن من البلشفيك وغايته بث دعوته فى تلك الأصقاع النائية متوسلاً إلى ذلك بوسائل البلشفيك المعروفة .

ومع أن حبيب الله لم يبلغ شأو والده فى الدهاء والمقدرة السياسية والبراعة العسكرية فقد تمكن من صون ملكه والمحافظة على عرشه وحفظ نفوذه على القبائل ولا سيما قبائل الحدود بتأليفه مجلساً خاصا بأمور تلك القبائل يشهده مندوبوها ويشتركون مع الحكام فى فض مشاكلها .

ولا يخفى أن سياسة أفغانستان الخارجية قائمة على منع روسيا من الايغال جنوباً من إمارة بخارى إلى حيث تتطرق إلى أفغانستان . وقد نفذ حبيب الله هذه السياسة باتفاق أبرم بين بريطانيا العظمى وروسيا فى سنة ١٩٠٧ وخلاصته أن بريطانيا العظمى لاتقدم على تغيير شىء فى حالة أفغانستان السياسية ولا تتعرض لإدارة أمورها الداخلية ولا تقتطع شيئاً من أملاكها ولا تستعين بنفوذها فيها على تهديد روسيا وأن روسيا تعترف بأن أفغانستان خارجة عن دائرة نفوذها .

على أن حبيب الله نشأ فى مدرسة والده العسكرية وكان يعلم أن المعاهدات السياسية لا تدوم إلى الأبد ولهذا واصل تعزيز جيشه وتسليحه بواسطة حكومة الهند التى كانت تمده بالسلاح والذخيرة حتى أنه لما فتكت الأنفلونزا أخيراً برجال هذا الجيش عمد فى الحال إلى زيادة المجندين فرد فرق الجيش إلى سابق عهدها من

---

(١) راجع ما علمناه نحن فيما بعد .

القوة . ولم يخرج من بلاده بعد جلوسه على سرير الملك إلاّ إلى الهند فقد زارها فى يناير ١٩٠٧ وكان حاكمها العام اللورد منتو فاستقبل بمجالى التكريم والاحترام .

وحافظ على ولائه لبريطانيا العظمى فى الحرب الحاضرة فلما أرسل إليه الألمان والعثمانيون جماعة من دعاتهم ليوغروا صدره على البريطانيين ويزينوا له الاغارة على الهند ونقض المعاهدات أمر بالقبض على أولئك الدعاة فقبض على بعضهم ولا يزال الأحياء منهم مسجونين فى كابول وفر البعض الآخر هائماً فى البرارى والقفار فقتلهُ رجال القبائل طمعاً فيما كان معه من السلاح والمال .

وبين رجال الإنكليز الذين يعرفهم المصريون والذين اشتغلوا بسياسة أفغانستان السر هنرى مكماهون الذى كان نائباً للملك فى هذا القطر فقد عين حكما بين أفغانستان وإيران سنة ١٩٠٥ فى خلاف بينهما على نهر الهلمند .

وأكبر مدن أفغانستان كابول عاصمتها وسكانها نحو ٢٠٠ ألف. ومن مدنها قندهار وسكانها ٤٠ ألفاً وهرات الشهيرة بطنافسها وسكانها ٢٠ ألفاً . وحكومة الهند تدفع إلى الأمير ١٨٥٠٠٠ روبية إعانة بمقتضى معاهدة ١٨٩٣ المبرمة مع عبد الرحمن .

وفى الجيش الأفغانى نحو ٦٠ ألف مقاتل منهم ١٦ ألفاً من الفرسان وعنده ٤٥٠ مدفعاً ولكن قوة أفغانستان الحقيقية هى فى كثرة وعورها وصعوبة السير فى جبالها وقفارها وعدم وجود الطرق وبراعة أهلها فى الحرب غير النظامية وكثرة ما عندهم من البنادق والذخيرة مما كان يأتيهم بطريق خليج فارس .

وللأمير حبيب الله خمسة أبناء وهم عناية الله وحياة الله وامان الله وكبير الله واسد الله وأكبرهم فى الحادية والثلاثين من عمره . ويلقب أمير أفغانستان بصاحب الجلالة وهو لقب الملوك وقد كان قبل الحرب الحاضرة الملك الوحيد المستقل فى قارة آسيا ما عدا امبراطور اليابان .

ونشرت جريدة الديلي تلغراف مقالة عن الأمير المقتول ضمنتها حديثاً للسر هملتن غرنت ناظر الخارجية فى حكومة الهند وهو يعرف الأمير معرفة شخصية وقد زار كابول عاصمة أفغانستان مع الوفد البريطانى الذى أرسل إليها فى عام ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ وأقام فيها ستة أشهر ولما زار الأمير الهند سنة ١٩٠٦ عين السر هملتن غرنت لاستقباله فى بشاور وهذا ما قاله لمندوب الدبلي تلغراف :

كان الأمير حبيب الله على جانب عظيم من الرزانة والوقار ولكنه كان لطيف المعشر رقيق القلب وكان متعلماً مهذباً عظيم الاطلاع واسع العلم ولاسيما فى العلوم الطبيعية والتاريخ وكان يقضى ساعات يتكلم عن اختراع جديد أو اكتشاف حديث فيرى السامع منه من الاهتمام وسعة العلم والبراعة ما يدهشه وكان شديد العناية بالآثار القديمة فى بلاده . ومما أذكره من هذا القبيل أنه أرسل إلى الهند من مدة قريبة ديناراً عثروا عليه قرب كابول تعذر عليه معرفة الدولة التى ضربته فكلفنى أن أجد من يفحصه فعهدت إلى بعض الخبراء فى هذه المهمة فكتبوا تقريراً وافياً فى الموضوع فأرسلته إليه ومعه كتاب طبع حديثاً عن نقود أفغانستان وهو محلًّى بالرسوم ليستعين به فى مباحثه فأتتنى منه رسالة منذ أيام يشكرنى بها كثيراً على الكتاب ويثني عليّ لأنى فكرت فى إرسال هديتى إليه .

وكان شديد البأس قوى الشكيمة حينما تقتضى الحالة ذلك على أنه كان يستنكف من العقوبات المتناهية فى الشدة فلا يأمر بها إلاّ عندما تقضى بها الضرورة . نعم إنه كان كثيراً مايترك إدارة الأمور لسواهُ وخصوصاً أخاه نصر الله

ولكنه كان على الدوام واقفاً على حقيقة الحال فى بلاده وكان القول الفصل له فى جميع الشؤون الكبيرة وقد ظهر هذا فى سياسته بعد ما دخلت تركيا الحرب

وبعد ما وصف السر هملتن غرنت ولاء الأمير لبريطانيا العظمى والحلفاء فى الحرب قال أن سياسته مع حكومة الهند كانت قائمة دائماً على قاعدة الصراحة

التامة فكان يطلعها على ما يهمه و يمدها بالرأى فى كل مايخص القبائل النازلة على حدود الهند الشمالية الغربية ثم قال . إن الذين يعرفون الأمير يحزنون لقتله فقد كان شهماً كريماً صادقاً شديد الوفاء لأصدقائه ورعاً بارعاً فى السياسة وسابقاً للشعب الذى ولاه القدر حكمه وكان يحب شعبه حباً جما وقد كان حبه هـذا الباعث له صون بلاده من ويلات الحرب .

ومما رواه السر هملتن عنه أنه لما ذهب الوفد الذى تقدمت الاشارة إليه إلى بكاول كانت مهمته إبرام معاهدة عنه والبحث فى أمور أخرى تهم الهند وأفغانستان فدعا الأمير أعضاء الوفد إلى القصر المعروف بقصر الفلك لإمضاء عقد المعاهدة وكانت مكتوبة على رق فى نسختين عليه ليمضيها . وتقدم أحد رجال حاشيته ليساعده فاراق نقط حبر على إحدى النسختين وأسرع الموجودون بالطباشير وورق النشاف لإزالة اللطخة ولـكنها ظلت ظاهرة فابتسم الأمير وقال « إن الذى يهمنا هو محتويات المعاهدة لا منظر العقد فانما هذه اللطخة شامة على وجه المعاهدة »

وقبل عودة الوفد إلى الهند حدث أمر يدل على لطف الأمير وشـدة عنايته بالذين يجتمع بهم فقد دعانا إلى مأدبة فخمة أدبت فى قصر أخيه الأمير نصر الله وكان الأمير حبيب الله لابساً ثوباً أفرنجياً من رداء السهرة وصدرية مفتوحة وتبين لنا أن هذا هو الثوب الرسمى الشائع فى حفلات الليل و بعد العشاء التفت إلى ضيوفه وقال « لنصعد الآن إلى الدور الأول وندخن وأرجو أن ترتفع كل كلفة بيننا فانى أروم أن أكون صديقاً بين أصدقاء »

ومما يدل على حبه للفكاهة أنه لما ودعه أعضاء الوفد أعطى كلا منهم صورته الفوتوغرافية ممضاة بامضائه وهدايا صغيرة لطيفة وكان فيما أهداه لأحدهم قلم رصاص من الذهب المرصع وقال له رأيتك تـكتب كثيراً فى أثناء المفاوضات بقلم قبيح المنظر فارجو أن تستعمل هذا القلم بدلا من ذاك »

جلالة ضيف مصر العظيم [١]

تحلى صدر اللطائف بصورة صاحب الجلالة الملك الشرقى المسلم العظيم أمان الله خان ملك الأفغان الذى تنتظر مصر قدومه مرحبة به محتفية بزيارته . وجلالته فى السادسة والثلاثين من عمره تلقى علومه الحربية فى المدرسة العسكرية فى كابول ولما بلغ الحادية عشر تزوج الملكة شاه زاد كريمة محمود طرزى خان . وقد ولى العرش فى فبراير سنة ١٩١٩ بعد مقتل والده الأمير حبيب الله خان وما كاد الشعب يبايعه الملك حتى قام باستقلال بلاده وأرسل إلى نائب ملك انجلترا فى الهند يبلغه إعلان استقلال أفغانستان فاحتجت انجلترا على ذلك وعدته خروجاً عن المعاهدات المعقودة ولما يئس الأمير من الوصول إلى غرضه بالمفاوضات السلمية أعلن الحرب على انجلترا ودار القتال مدة أربعة شهور عقد فيها الظفر للجيوش الأفغانية واعترفت انجلترا باستقلال الأفغان ! . ووجه الملك عنايته لاصلاح داخلية البلاد بعد أن جعل لها شأناً بين الدول المستقلة وهيبة فى ممالك أوربا وعمل على نشر العلوم والمعارف وأنشأ المدارس فى مدن أفغانستان وأدخل تعليم البنات إلى البلاد ومنع بيع الخمر وشربها وأدخل الأنظمة الحديثة فى الجيش وأوفد البعثات من الضباط الأفغانيين لاتمام دروسهم الحربية فى الآستانة فكان عصره عصراً ذهبياً نهضت فيه البلاد نهضة مجيدة عظيمة .

وجلالته أول ملك أفغانى يزور أوربا ومما يؤثر عنه أنه عندما هم باجتياز الحدود بين بلاده والهند وقد احتشد الشعب حوله وقف بين شعبه خاطباً ثم دنا من أحد الفلاحين فقبله وقال تلك قبلة وداعى لفلاحى بلادى . ثم قبل أحد الجنود وقال وتلك قبلة وداعى لجيشى المظفر : وقد وصل إلى القاهرة فى ٢٠ ديسمبر

---

(١) مجلة اللطائف المصوره عدد ٩ ديسمبر ١٩٢٧ وانظر بقية الكلام عليه فى مكانه .

الجارى سعادة محمود طرزى خان وزير خارجية الأفغان وصهر جلالة الملك ونزل ضيفاً على الحكومة المصرية فى فندق سميراميس إلى أن يصل مليكه .

سيدة تعود من بلاد الافغانستان[1]

وتحدثنا عنها

السفر إلى كابول ـ فى ضيافة مليكة أفغانستان ـ المدارس فى أفغانستان وعناية الملكة بها ـ الملك أمان الله وموارد البلاد ـ الملكة ثريا فى منزلها ـ الأفغانيون والتقاليد ـ كيف استقبل الملكان عند عودتهما من أوربا ـ أول خطاب ألقاه الملك على شعبه ـ فى العاصمة الصيفية ـ من هم الثائرون .

بقلم الكاتبة الأديبة الآنسة حنينة خورى

الآنسة حنينة خورى أديبة معروفة كثيراً ما نشرت الصحف والمجلات نفثات يراعها وقد تشرفت بمقابلة جلالة الملكة ثريا ملكة أفغانستان أثناء زيارة جلالتها لمصر مع جلالة الملك أمان الله خان زوجها فى العام الماضى وألقت بين يدى جلالتها قصيدة من نظمها فتلطفت جلالة الملكة ودعت حضرتها إلى زيارتها فى كابول . فاغتنمت الآنسة حنينة وجودها فى سوريا فى أوائل صيف العام الماضى منتدبة لتمثيل جمعية الشابات المسيحيات فى القطر المصرى فى مؤتمر الجمعية الذى عقد فى بيروت وسافرت منها إلى كابول عاصمة أفغانستان تلبية لدعوة جلالة ملكتها الكريمة .

وقد اتحفت حضرتها اللطائف المصورة برسالة عن رحلتها هذه وما شهدته فى أفغانستان ننشرها فيما يلي شاكرين للآنسة الأديبة هديتها واثقين بأن القراء سيجدون فيها معلومات طلية بالنظر إلى ماهو قائم الآن من النضال بين جلالة الملك أمان الله وفريق من شعبه مما يجعل أنظار العالم كله متجهة إلى بلاد الأفغان وإلى مصير الثورة الناشبة فيها ، قالت :ـ

---

(١) عن اللطائف المصورة .

السفر الى كابول

سافرت مع شقيقى من بيروت إلى بور سعيد ومنها إلى عدن فكراتشى فى شمال الهند . و بعد أن عرضنا جوازات السفر على قنصل الأفغان هناك وحصلنا على تأشيره عليها تابعنا السير بالقطار إلى بشاور آخر الحدود الهندية ومنها أخذنا السيارة لنقلنا إلى كابول مارين بمحطات عديدة إلى أن وصلنا إلى مدينة جلال آباد فبتنا ليلتنا فى أحد فنادقها ، وفى الصباح تابعنا السير إلى كابول عاصمة الأفغان وهى بقعة خضراء تكتنفها الجبال الجرداء كأنها سور منيع يصونها من الطوارىء وأكثر قمم الجبال مكسوة بالثلوج .

فى ضيافة جلالة ملكة الأفغان

وعند ما وصلنا إلى كابول تشرفنا بمقابلة وزير الخارجية ووالد جلالة الملكة الذى أنابته جلالتها عنها فى ضيافتنا . فخصص لنا جناحاً خاصاً فى قصر (تشل ستون) الموجود فى ضواحي كابول ، أما جلالة الملكة التى أحلتنى محلاً كريماً فقد أظهرت لى من اللطف والعطف ما جعل لسانى ينطق بالحمد والثناء ويشهد لملوك الشرق بتفوقهم فى كرم الضيافة ورفعة المحتد .

لم تدعنى جلالتها أشعر بأنى غريبة فى بلادها بل كنت موضع الاكرام ، و إنى اعترف لجلالتها بالفضل إذ عاملتنى كأحد أفراد أسرتها ، كما أنى لا أنسى معاملة أفراد الأسرة المالكة واحترامهم لى خصوصاً والدى جلالتها المكرمين وخالها الأديب وعمتها المصونة . أما الطعام فكنا نتناوله مع أفراد الأسرة المالكة وكان ذلك زيادة فى العطف وكرم الضيافة .

المدارس فى أفغانستان وعناية الملكة بها

وقد دعيت من وزير المعارف لزيارة المدارس فرأيت النهضة العلمية متجلية بأبهى مظاهرها وروح النشاط بادية على محيا تلامذتها . فزرت المدارس الآتى ذكرها : الحبيبة والأمانية والفنون الجميلة والزراعة ومدرسة المستورات . وقد

خطبت خطباً مشجعة فى المدارس المذكورة حاثة تلامذتها على السعي فى تحصيل العلوم وترقية بلادهم ، وكان وزير المعارف يترجم أقوالى إلى اللغة الفارسية . وقد أعجبنى ما شاهدته فى مدارس البنات من النشاط والاقدام ومباراة الذكور فى مضمار العلوم . ومدرسة المستورات هى تحت رعاية جلالة الملكة ثريا التى تتعهدها دائماً وتبذل جهداً كبيراً فى ترقيتها أدبياً وماديا فضلا عن أن والدة جلالتها مديرة شؤون المدرسة وأول الشارعات فى تأسيسها . ومما يحسن الالماع إليه أن المدرسة المذكورة افتتحت بثمانى بنات وكان الشعب الأفغانى ساخطاً على هذا المشروع أى سخط ! والآن أصبح عدد الطالبات يربى على الألف ! والنهضة النسوية فى الأفغان سائرة سيراً حثيثاً إلى سبيل الرقى ويرجع الفضل فى ذلك إلى حضرة صاحبة الجلالة الملكة ثريا لأنها لا تترك وسيلة إلا بذلتها فى بث روح النهضة والمبادىء السامية بين نساء الأفغان . ويجدر بى فى هذا الموقف أن أوجه أنظار القراء الكرام إلى ديمقراطية صاحبى الجلالة ملكى الأفغان فإن بنات الملك وشقيقاته وشقيقة الملكة يتعلمن جميعاً فى مدرسة المستورات ، وهن مرتديات أبسط الملابس الوطنية مع سائر الطالبات الوطنيات . فأكرم بهذه الروح الشريفة والتواضع الذى يجب أن يقتدى به العظماء والكبراء ! وهذه المدارس كلها مجانية إجبارية .

الملك أمان الله وموارد البلاد

ومما يذكر للملك أمان الله من المآثر الوطنية هو فرضه ضرائب فادحة على الواردات الأجنبية فإن عوائد الجمارك على الأنسجة الغربية تفوق ثمنها وذلك لترغيب الناس فى شراء الأنسجة الوطنية . والخمور على أنواعها ممنوعة فى البلاد الأفغانية منعاً باتاً .

ومما يؤثر عن جلالته أنه يطوف كل أربعة أشهر فى شوارع كابول فى سيارة تتبعها سيارة أخرى كبيرة يجمع فيها عدداً من الأولاد الذين يجولون فى تلك

الشوارع ويدخلهم المدارس المجانية لتعليمهم العلوم والمبادىء الخلقية صوناً لمستقبلهم . وهو يتعهد استخراج المعادن من الجبال بنفسه لأن الجبال الأفغانية غنية بالمعادن ففيها أنواع كثيرة من الحجارة الكريمة منها الياقوت واللازورد والشاه مقصود والذهب والنحاس والفحم الحجرى وغيرها من المعادن :

وهو يشرف على المدارس بنفسه ويتفقد صفوفها أثناء التعليم . وله ولع شديد بالصيد والقنص وفى بعض الأحيان تذهب معه جلالة الملكة .

ومن مزايا جلالة الملك أمان الله أنه حول أكثر القصور التى كانت خاصة بالأمير حبيب الله والده إلى دوائر حكومية من وزارات ومدارس وغيرها فإن المتحف الجميل فى كابول كان أحد قصوره . ومما ثبت للملأ محبته لشعبه وتشجيعه للمزارعين أن جلالته يبتاع منهم الحبوب بأثمان غالية تفوق قيمتها وما ذلك إلا تنشيطاً لهم وترغيباً كما أنه يمنح جوائز سنوية لكل من يفوق موسمه غيره إنتاجاً ولا سيما لمن يربى دود القز لموسم الحرير .

الملكة ربا فى منزلها :

وجلالة الملكة ربة المنزل الحقيقة التى يجب أن تقتدى بها السيدات فى إدارة شؤون منازلهن . إلى آخر ما جاء فى المقالة .

فى بلاد الأفغان (١)

كان لأفغانستان كل حق أن تكون الآن قائمة على ساق وقدم فى إعداد معدات الاحتفال بتتويج الملك نادر شاه ولكن يستفاد من رسالة وردت من كابل أخيرا أن الاحتفال بعيد جلوس الملك نادر شاه على عرش الأفغان لا يشمل حفلة التتويج . إنما تقام حفلة تشريفات سياسية ووليمة فخمة وعرض الجيش وزينات وألعاب نارية . ويقال إن طائفة من مكاتبى الصحف الأجنبية قد وصلوا إلى كابل لهذا الغرض .

ورأيت بهذه المناسبة أن أبعث إليكم بالمعلومات التالية عن شخصيات كبار موظفى الحكومة الأفغانية نقلا عن جريدة ستايتسمان التى تصدر فى كلكوتا لمكاتبها من كابل .

من جملة الملوك الكثيرين الذين قضوا مدة من حياتهم فى الهند والذين تلقوا الهام سيرة حياتهم من عظمة الهند التاريخية وفنونها وعلومها نادر شاه ملك أفغانستان الحالى (رحمه الله) فهو غير محب للظهور والفخفخة وغير ميال إلى الادعاء مخلص فى حب بلاده ومستقيم وعملى ولم يرغب قط فى عرش الأفغان أو يطمح إليه مع أن أسرته كانت دائما مقربة إلى ملوك أفغانستان .

ولد محمد نادر خان فى دهردون فى الأقاليم المتحدة الهندية ولم يكن قد بلغ العشرين من العمر عندما نزح والده إلى كابل . وقد قضى نحو عشرين عاما من حياته فى أرض الهند الخيالية بين عظمة الغابات والأحراج والوديان الجميلة ولا سيما وادى « دون » وهو ينتمى إلى فخذ محمد زاى التابع لقبيلة دورانى أعظم القبائل الأفغانية وهو سلالة الأسلاف ذاتهم الذين انحدر منهم الملك السابق أمان الله خان فلا تغيير فى الأسرة المالكة التى تسود بلاد الأفغان الآن .

أما والد الملك نادر خان وهو السردار محمد يوسف خان الرجل الجليل النبيل

(١) جريدة الأهرام ٢٤ اكتوبر ١٩٣٠

الذى كان فى بلاط الأمير حبيب الله خان فقد كان ذا نفوذ عظيم وكان محترما ومهابا فى جميع أنحاء البلاد. وكان الأمير حبيب الله ملك الأفغان يثق به ثقة كبيرة فكان مجالسه الدائم ومستشاره فى جميع الأمور السياسية الخطيرة. وكان من ثمار نصائح السردار محمد يوسف خان أن الملك حبيب الله تمكن من تأسيس حكم موطد مقرون بالأمن والطمأنينة فى أفغانستان، وبالحقيقة أن حبيب الله خان هو الذى كان أول من سعى لحصول أفغانستان، على الاستقلال فى شؤونها الخارجية.

وما الملك نادر خان إلا شبل ذلك وسلالة الرجل الخطير والسياسى الكبير فلا بدع إذا كان مشبعا بالحكمة وحصافة الرأى وجميع الخصال الحميدة التى ورثها عن أبيه.

وعندما وصل الشاب محمد نادر خان إلى كابل من الهند دخل المدرسة الحربية طالبا ولما أتم علومه منح رتبة فى الجيش الأفغانى. ومنذ أول خدمته فى الجيش بدت مواهب عظيمة فى رأسه وجنانه. فعهد إليه فى مهام ذات مسؤولية فوق رتبته كضابط حديث الخدمة لم يكد يشب عن الطوق وهذا ما مكنه من بادىء الأمر إذ يحتك ببعض المسائل العسيرة المتعلقة بالأمن العام فى داخل البلاد وفى الخارج التى كان يجرى البحث فيها فى مركز رئاسة الجيش فى كابل وقد أظهر فى معالجة هذه المسائل براعة ومقدرة فوق المألوف فكان ارتقاؤه سريعاً ولكن بحق وجدارة وما فتىء يتدرج من رتبة إلى رتبة حتى بلغ رتبة قائد عام للجيش الأفغانى فى مدة غير طويلة وأدخل على نظام ذلك الجيش الشىء الكثير من الإصلاح وحسن الإدارة.

وهو الذى أصلح نظام التجنيد وجعله من الأمور المستحبة الجذابة. وهو الذى أنشأ أسلوب دفع أجرة نقدية للجنود وألغى أسلوب « الجرايه والتعيينات »

القديم . وكان هذا كله من دواعى إيقاظ الغيرة فى صدور الضباط الآخرين الذين كانوا قبله فى الجيش وإسخاط الضباط الذين كانوا واسطة فى تأسيس النظام الأصلى لأن الدفع نقداً للجنود ضيق عليهم أبواب الرشوة التى اعتادوها . وقد صمد بعزيمة قوية وجأش رابط لجميع تهجماتهم ومساعيهم لتثبيط همته والقضاء على مشروعاته الإصلاحية وفاز أخيراً على خصومه ونفذت مشروعاته وارتاح إليها الجنود جد الارتياح وتحسنت أحوال معيشتهم من حيث المآكل والملابس .

فصار نادر شاه مشتهرا ومحبوباً حتى إنه عندما كان يقوم بمهمة التفتيش فى أنحاء البلاد كان النسوة والأولاد يتألبون حول المعسكر ليروا « صباح صدر » .

وكانت العلاقات بين الجنرال نادر خان والملك أمان الله فى السنين الأربع الأولى من ملكه على غاية ما يرام ولكن الدسائس أخذت تعمل عملها بينهما وما لبث أمان الله أن أصاخ بسمعه للنمامين الذين برهنوا بعد طول الزمن على أنهم كانوا الأداة التى عملت على إبلاغه تلك الخاتمة المشؤومة ، فأوعز إلى الجنرال نادر خان بأن يتخلى عن قيادة الجيش وعينه وزيراً مفوضاً فى باريس . وسرعان ما عاد الجيش إلى يدى الذين سعوا لإبعاد نادر خان عن مركز الرياسة فساءت معاملة الجيش وتسربت إليه عوامل الفساد والرشوة وأخذ فى الانحطاط والتدهور وقد شهد العالم كيف جبن وتخاذل أمام بضعة آلاف من الثائرين .

إن الذى يرى الملك نادر شاه لأول وهلة لا يتصور فيه الروح العسكرية والنزعة والمظهر الحربى ويخيل لمن يراه كأستاذ كلية أكثر منه قائد جيش . وهو يتكلم الانكليزية ولغة هندستان وله ذوق سليم فى الأدب . ولما كان قوي الفراسة فإنه يكاد يقرأ أفكار كل من يقابله ويصغى بصبر وطول أناة لسماع آراء أصغر الناس حتى وإن كان خادما أو غلاما أو سائق مركبة إذا كان لديهم فكرة يريدون الادلاء بها فيما يتعلق بالحالة السياسية أو فى الشخصيات ذات الشأن من

أبناء العصر . وهو مولع بالتصوير الشمسى ولديه عدة آلات مصورة كبيرة القيمة غالية الثمن .

أما محمد هاشم خان رئيس وزارة أفغانستان وشقيق الملك نادر شاه فمشهور بحسن الإدارة وقوة العزيمة فى الحكم وكان فى عهد الملك السابق أمان الله خان يقلد منصب حاكم فى الأقاليم المستعصية ومن جملتها جلال أباد حيث أفلح فى إعادة الأمن إلى نصابه بعد ما انتقض على النظام فيها عصابات مسلحة من العصاة التى كانت تشن الغارات عليها من الأنحاء المجاورة . فعالج أمرهم بشدة وحزم وغالى فى تأديبهم وجعلهم عبرة لمن يعتبر . وأخيراً عينه الملك أمان الله وزيراً مفوضاً فى موسكو فاستقال من منصبه هذا قبل اجتماعه بأخيه نادر شاه فى جنوبى فرنسا . وهو أليق رجل بالمناصب الإدارية فى داخلية البلاد لأن شدته فى معاملة الذين ينزعون إلى الاعتداء والانتقاض على النظام تجعل له مهابة فى النفوس . وقد كان نجاحه حتى الآن قاصراً على الإدارة الداخلية . وهو العضو الوحيد غير المتزوج فى وزارة الأفغان وقد يكون فى تاريخ الأفغان أول رئيس وزارة عازب عين فيها . و بقدر ما هو شديد فى إدارته عند تأدية مهام وظيفته فإنه خفيف الروح لين العريكة لطيف المعاشرة فى المقامات غير الرسمية .

والشاه محمد خان قائد عام الجيش الأفغانى وزير الحربية الآن هو أخ آخر للملك نادر شاه . وكان الجنرال شاه محمد فى عهد الملك أمان الله ذا مكانة رفيعة وتقلد عدة مناصب عظيمة الشأن . وقد برهن هذا الجندى الشاب على مقدرة كبيرة فى جميع أعماله واشتهر بالشجاعة والإقدام فى قيادة الجنود فكان محبوبا بين الضباط وكان الجنود يهابونه ويجلونه ولا بدع ففي أفغانستان كما فى كثير غيرها من البلدان . أهمية عظيمة للحسب والمحتد وكلما كان أصل الضابط عريقاً زادت مهابته وارتفعت مكانته . وهذا مما جعل الشاة محمد ضابطا ذا هيبة ونفوذ حتى فى عهد الملك أمان الله على الرغم من كثرة الدسائس التي كانت تدس حوله

وكان فى تلك الأثناء ينظر إليه بأنه أجدر كثيرا بأن يقلد مناصب أعلى من مناصب الذين كانوا يرأسونه ولكن مواهبه هذه كانت السبب فى قطع سبيل التقدم والرقى عليه . ومن غرائب هذه البلاد أنه حالما تبدأ مقدرة أى شخص فى الظهور وتبدو منه بوادر النجاح والنفوذ يصبح هدفا لدسائس الحساد وعرضة لكيدهم وقد قاسى الملك نادر شاه وأخوته الشىء الكثير من هذا القبيل فى ماضى حياتهم .

وعلى الرغم من هذا كان شاه محمد يخدم مصالح الملك أمان الله خان بإخلاص وولاء وأكبر شاهد على ذلك أنه عندما كان باجي سقا السفاح زاحفا إلى كابل ومكتسحاً كل شىء أمامه وعندما تقاعس وزير الحربية ولازم منزله وقد تسرب الانخذال المعنوى إلى جيش أمان الله كان شاه محمد الضابط الوحيد الذى صمدت فرقته للعدو وقاتلت قتال الأبطال .

وظل شاه محمد يقاتل باجى سقا الذى لقب نفسه بالأمير حبيب الله وأبى الاعتراف بحكومته طول مدة حكمه . ومع أن مراكز بعيدة مثل هرات ومزار وقندهار خضعت لباجى سقا واعترفت بسلطته عليها ظل هذا الضابط الشاب مصراً على مقاومته واستمر مع فرقته عاصيا على ذلك المغتصب فعقد النية على مناوأته حتى النهاية وما برح محافظا على خطته هذه إلى أن دارت الدائرة على خصمه وعقد النصر لأخيه وعندما زحف شاه والى خان إلى كابل واستردها بفوز عظيم وأرغم باجى سقا على الفرار وأخذ هذا يجمع فلول أنصاره محاولا أن يعيد الكرة واتخذ جبل سراج معقلا له باغته شاه محمد مع بقية رجال فرقته وأسره هو ورجاله واقتاده حياً إلى كابل حيث لقى جزاءه وشاه محمد الآن هو قائد جيش الأفغان العام .

أما شاه والى خان وهو أخ آخر لنادر شاه فهو الذى كان له الفضل الأكبر فى الفوز على « الملك » اللص والاستيلاء على كابل وهو الآن وزير الأفغان

المفوض فى لندن فهو والحالة هـذه يتولى أكبر المناصب الدبلوماتية أهمية فى سلك الشؤون السياسية وعلاقات أفغانستان الخارجية وهو زوج إحدى اخوات أمان الله خان .

وتقلد فى عهد الملك أمان الله قيادة بضعة فرق من جيش الأفغان وعين مرة قائداً عاما لحامية كابل . وبلغ منصب « نايب سلار » أو وكيل القائد العام ولكنه طلب أخيراً أن يعفى من الخدمة واستقال نهائيا وقبلت استقالته . ثم حمله الملك السابق على الرجوع إلى الخدمة والحف عليه بوجوب المحافظة على علاقته بحكومة الأفغان وعرض عليه منصب أركان حرب الجيش فقبلها مرغما .

وعند ما قطع الجنرال نادر خان علاقته مع حكومة أمان الله وقصد الإقامة فى يفارا استقال شاه والى أخوه أيضاً من منصبه هذا وذهب ليعيش مع أخيه فى جنوب فرنسا .

وشاه والى خان جندى باسل وفارس مقدام وسيم الطلعة مرح الطباع وسياسى محنك ويحوز موهبة الجدل فى الكلام فيظل ساعات خائضاً طرف موضوع واحد بغير أن يخرج عنه . ومن المحقق أن أفغانستان سوف تستفيد الشىء الكثير من تقليد شاه والى خان منصب وزير مفوض فى صميم مركز العالم التجارى والثقافى والصناعى والسياسى .

ويتولى وزارة الخارجية فى أفغانستان الآن فايز محمد خان وكان وزيراً للمعارف فى عهد الملك السابق . وكان عضواً فى الوفد الأفغانى الذى ساح أوربا وزار الولايات المتحدة الأمريكية . برياسة محمد والى خان (الذى حوكم أخيراً على خيانته الملك أمان الله ووجد مذنبا) لإعلان استقلال أفغانستان وتأسيس علاقات دبلوماتية مع الدول الأوربية وتقلد منصب مستشار المفوضية الأفغانية فى باريس مدة من الوقت . ثم عين مساعدا لوزير الخارجية فى كابل . ولكنه قضى بضعة

الأعوام الأخيرة وزيرا للمعارف ولم تكن له علاقة بالشؤون السياسية حتى تولى منصبه الحالى .

ويساعد فايز محمد خان فى وزارة الخارجية موظف قدير واسع الاختبار فى شؤون السلك السياسى الأفغانى واعنى به « ميرزا محمد خان » الذى قضى عدة سنين فى منصب وزير مفوض فى موسكو : وقد تقلد عدة مناصب أخرى فى عهد الملك أمان الله خان وعهد أبيه أيضا . وأصله من شغنان . وهو من نوع الرجال الذين يستطيعون مداراة أى إنسان وإرضاء الجميع فى أية أحوال وفى الوقت ذاته يحافظون على مبادئهم الشريفة فهو والحالة هذه ركن عظيم فى وزارة الخارجية وقد قام بمهام وزير الخارجية عدة مرات .

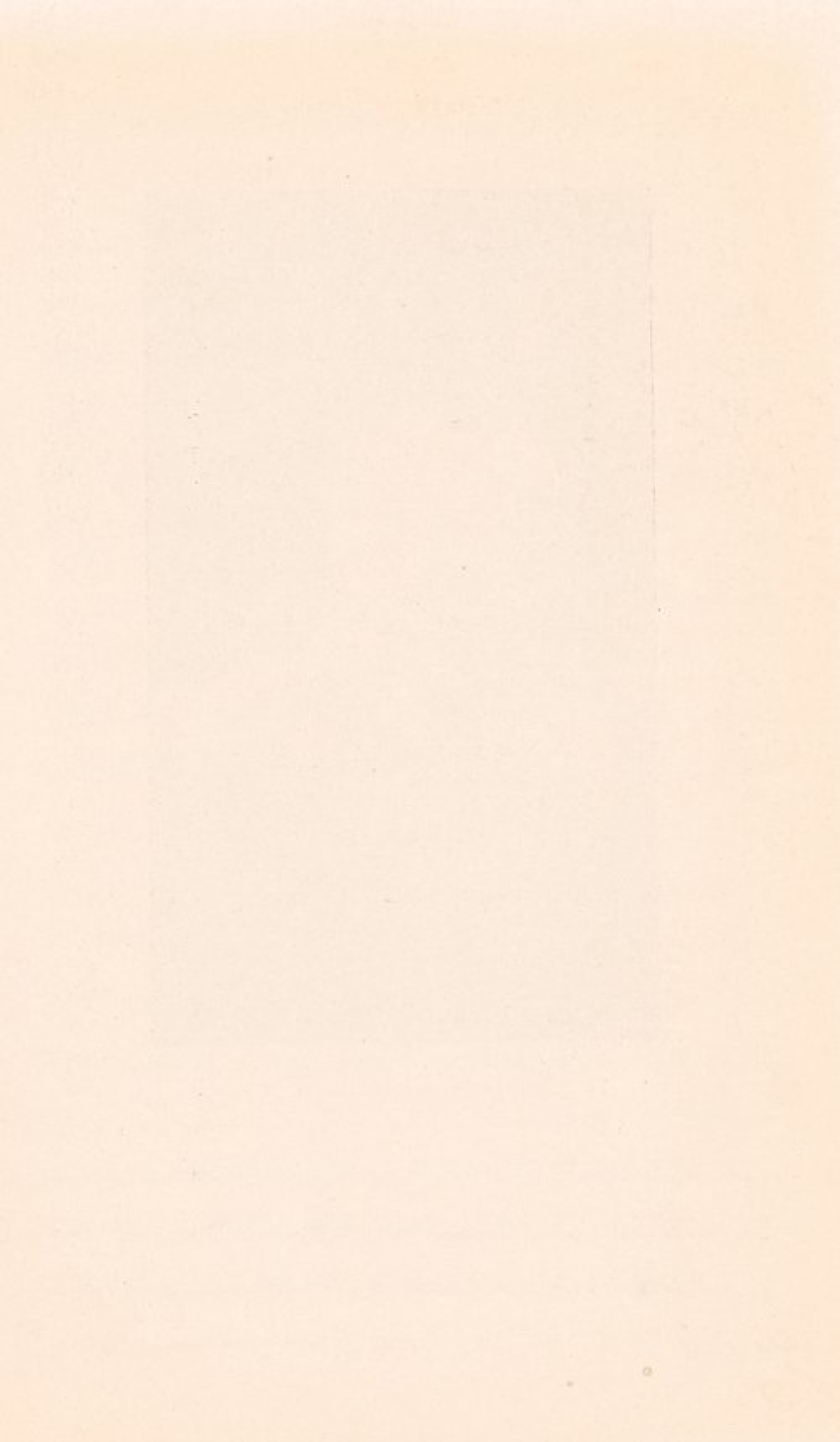
وهو الذى فاوض فى تسوية مسألة دار كد عند ما توترت العلاقات بين السوفييت وأفغانستان بسبب احتلال جنود السوفييت نقطة دار كد فى حدود الأفغان . وقد سويت المسألة لفائدة الحكومة الأفغانية . وهو بالحقيقة قوة سياسيه فى كابل ولرأيه أهميه عظيمة فى شؤون الأفغان السياسية .

ويتولى منصب وزارة العدليه الآن حظرت شاير أغا وهو شقيق حظرت شاير براز الشيخ الدينى الذى كانت له اليد الطولى فى الحركة الدينية ضد أمان الله خان وله اتباع كثيرون فى كاثيوار (فى الهند) وهو من رؤساء الدين العظيمى النفوذ وله مكانة سامية ومهابة عظيمة لدى رهط كبير من رجال القبائل الضاربة على الحدود .

وحظرت شاير أغا واسع الإطلاع فى الشؤون الدينية الإسلامية ويفقه الشريعة السمحاء ولكن القوانين المدنية والجنائية فى أفغانستان يسنها مجلس شورى القوانين فواجبات حظرت شاير أغا والحالة هذه استشارية أكثر منها تنفيذية .



المرحوم محمد نادرشاه ملك أفغانستان ووالد الملك الحالى



الحياة النيابية فى أفغانستان (١)

جلالة الملك نادر شاه يمنح البلاد مجلساً نيابيا

حفلة الافتتاح وخطاب العرش

نشرنا فى الأهرام الغراء هذا الأسبوع كلمة عن جلالة الملك نادر شاه ملك أفغانستان الحالى بمناسبة حفلة تتويجه واليوم جاءنا البريد الأفغانى طافحاً بوصف حفلة افتتاح المجلس النيابى الجديد الذى أنعم به جلالة الملك نادر شاه على بلاده التى تعشق الحرية وتتفانى فى الذود عن حياضها من قديم الزمان رغبة فى أن تسود العدالة والرفاهية فى تلك البلاد .

وقد ألقى جلالته خطاباً ضافيا بحث فيه عن حالة المسلمين وقارن بين تاريخهم الماضى وتاريخهم الحاضر بشىء من الإيجاز وخرج من بحثه بنتيجة هامة هى منح بلاده الحياة النيابية الصحيحة لتتمكن فى صراحة و إيمان من إدارة شؤونها بنفسها. وقد قامت الأمة الأفغانية المجيدة عن بكرة أبيها تهلل وتكبر لهذا الحادث السعيد ، و إننا لانرى مندوحة من أن ننشر للقراء الكرام وصف حفلة الافتتاح كما شرحته الجرائد الأفغانية وترجمة خطاب العرش الكريم . قالت جريدة « إصلاح » التى تصدر فى كابل « كان يوم ١٦ ربيع الثانى سنة ١٣٤٩ يوماً مشهوداً فى كابل تطاولت إليه أعناق الأفغانيين وتطلعت إليه أبصار الشاهدين منهم والغائبين لأنه فاتحة عهد جديد وغرة عصر سعيد ، وهل هناك أعظم من نعمتى الحرية والشورى الملية فجدير بهذا اليوم أن يحتفل به الأفغانيون احتفالا جديراً بهم وهم الأبطال الأماجد .

فى هذا اليوم غصت ردهة قصر جهل ستون (الأربعين عموداً) بجموع وكلاء الأمة وعظمائها والكثيرين من العلماء والموظفين العسكريين منهم والملكيين وذلك لمشاهدة الاحتفال بافتتاح المجلس النيابى الأفغانى الذى يعد

(١) جريدة الأهرام ٥ نوفمبر ١٩٣٠

أكبر حادثة تاريخية فى أفغانستان فى العصر الحاضر لأن أفغانستان التى نشأت من القديم على حب الحرية كانت محرومة من نعمة الشورى بطريقة رسمية تخضع لها الحكومة المركزية وتكون رهن إشارتها . وقديماً كان القول الفصل فيها هو للحاكم الأعلى لا رقيب عليه ولا حسيب وكثيراً ما نتج عن ذلك مضار لا تحصى وأخطار كبدت الأمة ضحايا كثيرة وخسائر جسيمة وفى الوقت نفسه يجدر بالحاكم العظيم خصوصاً فى بلد كأفغانستان أن يعول على عضد شعبه ورضاه بدلا من أن يستقل برأيه الشخصى ويتبع هواه ويسخر من مواطنيه ولو تصفحنا تاريخ أفغانستان لوجدنا أن الحكام الذين ساروا وفق رغبة الأمة كانوا فى مركز أعظم ضمانة وأكثر حرية وأكبر كرامة وأبعد نفوذاً وبالعكس فإن الذين فسقوا عن أمر الأمة واستهانوا بكرامتها طردوا ولم يجدوا لهم عوناً ولا نصيراً .

وها هو جلالة الملك نادر شاه الذى نفخ فى بلاده تلك الروح العالية التى نشلتها من الكارثة التى كادت تؤدى بها إلى الهلاك وتحمل فى سبيل ذلك كل ما يتحمله المخلصون مستعيناً في ذلك بما وهبه الله من قوة الذهن وسعة العقل وحسن البصيرة يفتتح عهده السعيد باعطاء البلاد حريتها التامة وحقوقها الكاملة فأنشأ المجلس النيابى (لويه جركة) رغبة فى جمع كلمة الأمة وتوحيد الوجهة الوطنية توحيداً صادقاً لخدمة الصالح العام كما يتضح من خطاب العرش ، وهذا ترجمته :

أعزائى المحترمين :

أحمد الله الذى أباح لنا هذا الاجتماع الأخوى بعد أن قاسينا ما قاسينا فى سبيل تلك الشدائد والمخاوف التى كانت تحيط بنا وبالبلاد من كل جانب .

فاجتماعكم أيها النواب فى هذا المجلس المقدس وأنتم على أتم ما تكونون اتحاداً وأخوة إسلامية عملا بقول الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » إنما هو

لمقصد شريف وهو ترقية أفغانستان والعمل على استعادة رفاهيتها وتقوية أركانها وفقاً للأمر الإلهي القائل « وشاورهم فى الأمر » « وأمرهم شورى بينهم » لهذا اجتمعتم فى مكان واحد وفقاً لرغباتنا الصادقة . وإنى أشكر الله تعالى على ذلك شكراً عظيما وأحييكم من صميم قلبى وأتمنى أن تكونوا أنتم وكافة أفراد الأمة بخير وعافية وبعد فإنكم تعلمون أن النجاح والسعادة فى الحياة هما فى الاتفاق كما أن الخراب والعبودية فى النفاق وقد شاهدنا ذلك بعيوننا فى مدة لا تتجاوز السنة فتأ كدنا أن النفاق عقاب إلهى . كما أن الاتفاق رحمة سماوية وتفصيل هاتين الحقيقتين واضح فى التاريخ فى كل زمان ومكان وأثرهما يعرفه كل إنسان .

وإنكم تفهمون لماذا وكيف انتشر الإسلام وعم الآفاق ونشر ألوية الأمن والسعادة البشرية والترقيات العصرية خفاقة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ومن سلك مسلكهم ، لم يكن ذلك بقوة السيف وحده إنما بالأصول الصحيحة والقواعد السليمة التى جذبت الجماعات المختلفة والأقوام الثابتة إلى حظيرة الدين الحنيف الذى انتشر بقوة البرق الخاطف أينما حل وسار . ومن أ كبر دوعى نجاحه انعدام الفوارق الجنسية والاجتماعية بينهم فالمسلمون إخوة مهما اختلف لونهم وتعددت أجناسهم وتباينت أوضاعهم ولا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى ، فهل تراهم تمسكوا بأهداب المساواة وحافظوا على الشورى فى أمورهم و أعمالهم إن رقى المسلمين فى الماضى لم يكن له من سبب إلا بمحافظتهم على هذه الصفات الكريمة والمزايا الحميدة فلما انحرفوا عنها وهى فى الحقيقة أساس الرقى بالتقدم سقطوا إلى الحضيض . لقد عرفت الدول المتمدينة بعد طول التجارب أن الأصول الإسلامية كالحرية والمساواة والشورى أفضل الأصول وأرقاها . ولذا اتخذتها أساساً لحكوماتها بعد أن أراقت فى سبيلها الدماء الغزيرة ، ولم يكن قبل الإسلام حرية بمعنى الكلمة حتى يمكن أن يشير إليها .

ومن أحسن أنواع المساواة فى الإسلام مسألة ترتيب الصفوف فى الصلاة فالخادم يقف بجانب الملك فى حضرة الإله يؤدى الفرض بلا كلفة ولا حرج ونفس صلاة الجماعة أعظم مثل فى المساواة الاسلامية ولكن لسوء الحظ فإن الحكومات الإسلامية مالت إلى الإستبداد وعكفت على الإفساد والتفرقة فتأخرت وانحطت حتى أصبح يضرب بها المثل فى المذلة والمسكنة .

فما سبب هذا التدنى وذلك الترقى يا ترى ؟ .

الدنيا عالم أسباب ، فإذا كانت الأسس التى تبنى عليها الأعمار والإصلاحات مبنية على التجارب الصحيحة والقواعد الثابتة وكانت النتيجة فى أى زمان ومكان لا شك مفيدة ومنتجة .

وأما إذا كانت الأسس غير صالحة والتجارب غير ناضجة جاءت العاقبة و بالا بلا مراء ، هذا هو القانون الأساسى الذي لا يتبدل ولا يتحول إلى قيام الساعة « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فى الزمن الأول كان المسلمون أهل استقامة وعلم بالسياسة وحزم وشجاعة عملا بقانونهم الإلهي القويم فوصلوا بذلك إلى ما وصلوا إليه من الرفاهية والسؤدد.فلما ابتليت الأمة الإسلامية بالملوك الأنانيين والعلماء المفسدين وساءت سيرة الحاكمين مع انتباذ قانونهم المبين وصلت إلى ما هى فيه الآن من العجز والانحطاط .

ومن دواعى الأسف أنه كلما ظهر فى هذا العصر رجل بصير حازم غيور على دينه و بلاده سواء كان من الحكام أو من العلماء قام فى وجهه المعارضون فلا يهدأ لهم بال إلا إذا نكسوا رأسه فيخلوا الجو لذوى الأغراض والمصالح الشخصية وهذا ما يتباهى به المسلمون والتاريخ شاهد عدل على ذلك .

ولما كان لابد من قوة تنظم وتؤيد المعاملات والأحكام أعنى حكومة عادلة تسير علي منهاج الشرع الالهى يكون فيها الحاكم هو المسؤل الأول فى تنفيذ القوانين التى شرعتها الجماعة التشريعية و يكون مسلكه قدوة للرعية إذ أن للناس

على دين ملوكهم » كان فى الواجب أن زمان أمر كل أمة دائماً أبداً بيد شخص عاقل صادق يسهر على مصالح الأمه ويعمل على محو الفوضى والخراب وجلب السعادة والرفاهية .

هذه هى نظريتى التى توصلت إليها أعرضها عليكم أيها الأعزاء .

وفيما يختص بوطننا العزيز ، فإني لآسف بأن الإنقلاب الذى وقع أخيراً لم يكن وحده هو سبب خراب أفغانستان بل أيضاً عدم وجود أساس حكومى ثابت كان أكبر عامل فى ضعف وتأخر البلاد .

فإذا لم نتخذ ـ بالرغم من كل شىء الاحتياطات اللازمة والوقايات الضرورية إزاء أمثال هذه الصدمات المفجعة والنكبات المدلهمة فإنما نعتبر مقصرين فى خدمة الوطن الخدمة الحقة اللائقة به إن لم نعتبر خائنين له .

وإننى كما تعلمون حقاً أحب بلادى من صميم فؤادى ولست أرغب فى شىء أكثر من أن أعتبر خادماً من خدام الدين والوطن ، ولهذا وعلى الرغم من المشاكل المالية التى وقعت عقب الانقلاب الأخير ـ أرغب فى أن تقوم حكومة أفغانستان على أساس صحيح وأمتن رغبة فى تقدم البلاد وإنهاضها إلى مدارج الفلاح ، وكل من يساهم فى هذا المقصد النبيل لا شك يفوز رضاء الوطن المقدس وإحراز السعادة الأبدية الخالدة .

ولهذا المقصد عينه الذى أعتبره مفتاح السعادة طلبتكم أيها الوكلاء لأعرض عليكم رغباتى الخالصة وهى أنا منحنا رعيتنا الحرية الكاملة التى لم يحصل عليها أكثر الأمم رغم إراقة الدماء ، وأمرنا بالمجلس النيابى رغبة فى أن تسود العدالة والرفاهية فى هذه البلاد ، ولتعلموا أنكم إذا أحسنتم استعمال حقكم المخول لكم أمكنكم الحصول على فوائد جمة لخير وطنكم وحكومة بلادكم .

وإنى لأرجو أن تقوم فى أفغانستان الشورى الملية التى هى دواء المرض

ومفتاح السعادة على خير الأسس وتحوز كافة الصفات والعناصر التي هي في الإسلام .

و إني أحمد الله الذي وفقني إلى تحقيق ماوعدت به ، وها هو المجلس النيابي ينعقد لهذا المقصد السامي و بذلك أشكر الله شكراً كثيراً على ماهداني إلى إحياء سنة كانت متروكة إلى هذا اليوم .

وسيتباحث معكم في هذا الباب الصدر الأعظم ومجلس الوزراء في جو ودي للوصول إلى طريقة الانتخاب وعدد الوكلاء وفقكم الله وسدد خطاكم حتى حتى يكون عملكم هذا موضع إعجاب ورضاء العالم أجمع آمين .

و إنا لنبتهل إلى الله بالدعاء أن يجعل هذا العمل محمود النتيجة مبارك الأثر على البلاد وأن يفيء به عليها ظلال الأمن والرفاهية وأن يحفظ للبلاد ذات جلالته الكريمة وهو من شهد له التاريخ بعمله الموفق في إنقاذ البلاد من الفوضى ومن عرفت له البلاد مآثره الكريمة في نشر ألوية الحرية مؤيدة بتوفيق الله .

زيدان بدران

اغتيال الملك نادرشاه[1]

وولاية ابنه الأمير محمد ظاهر شاه

وردت الأنباء البرقية باغتيال المغفور له الملك نادر شاه ملك أفغانستان وولاية نجله محمد ظاهر شاه . وقد صرح صاحب السعادة السيد محمد صادق المجددي وزير الأفغان المفوض في مصر أن الحادث وقع بعد الظهر في الوقت الذي اعتاد فيه المغفور له نادر شاه الخروج من قصره الذي يقوم بأعماله فيه ويطلق عليه اسم « دلكشاه » إلى المسجد لتأدية صلاة العصر ثم الطواف بسيارته في بعض انحاء مدينة كابل للتريض .

---

(١) عن مجلة الفتح

وقال الوزير : انه لم يحدث فى الأفغان قبل وقوع الحادث ما يدل على وجود أية حركة ضد النظام الحاضر فى الأفغان يمكن أن تشتمّ منه رائحة توقع حدوث هذا الاعتداء الشنيع بل لقد احتفلت الأفغان بأسرها بعيد انقاذ الوطن احتفالا كبيراً دام ثلاثة أيام أظهر فيه الشعب الافغانى كل مظاهر الإخلاص والولاء لجلالة الملك نادر شاه ، وكانت الثورة التى نشبت عند الحدود الافغانية الهندية قد أخمدت وسلمت حكومة الهند زعيم الثورة « الفقير المفتون » إلى حكومة الأفغان ، فعفا عنه الملك لـكبر سنه .

وسئل السيد المجددى عما إذا كان يمكن أن يكون لحادث الاغتيال علاقة بما تنشره بعض الصحف الأوربية عن قيام أمان الله خان ملك الأفغان السابق ببعض الحركات ، وعن اعتزامه زيارة مصر والشرق الأدنى فى موسم الحج القادم بدعوى الذهاب إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج مرة ثانية ، فأجاب : « لا أظن ذلك ، وأمان الله قد صار فى الأفغان نسياً منسياً » .

وصاحب الجلالة الملك الجديد محمد ظاهر شاه هو الابن الوحيد للملك نادر شاه ، ويبلغ من العمر ٢١ سنة تقريباً ، وقد تلقى علومه الابتدائية فى المدرسة الحبيبية بكابل ، ثم سافر إلى باريس مع والده عند تعيينه وزيراً مفوضاً فى عهد أمان الله لدى حكومة الجمهورية الفرنسية ، وبقى هناك إلى أن هدأ والده الثورة التى تأججت على أمان الله ، وصعد إلى العرش الأفغانى ، فعاد الأمير محمد ظاهر إلى كابل والتحق بالمدرسة الحربية ، ولما تخرج منها منذ عام ونصف عام تقريباً عينه والده وكيلا لوزارة الحربية التى يتولاها الأمير محمود شقيق الملك نادر شاه . والملك الجديد متزوج وله أبناء وملم بأحوال المملـكة السياسة العامة .

وقد أوفد صاحب الجلالة الملك الأمين الثانى إلى دار المفوضيـة الأفغانية لتقديم التعزية وأرسل جلالته برقية إلى جلالة الملك ظاهر شاه .

ونـكست الحـكومة المصرية العلم المصرى يوم الجمعة على الوزارات .

• •

وذهب صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا رئيس الوزراء ووزير الخارجية إلى المفوضية الأفغانية وقدم التعزية باسم الحكومة المصرية .

ووفد على دار المفوضية رجال السلك السياسى وكبار العلماء والأعيان لهذا الغرض .

وأقيمت ليالى المأتم الثلاث ـ ابتداء من الخميس الماضى ـ فى دار المفوضية بالقاهرة .

ونشر أمان الله ـ حين علم باغتيال نادر شاه ـ بياناً جاء فيه : « إذا كان الشعب الأفغانى يريدنى أن أعود ببرنامجى للاصلاح ! فاننى على استعداد تام لخدمة بلادى بكل قواى » .

تعليق جريدتين انكليزيتين :

نشرت « ايفنن ستاندارد » مقالا لمكاتب قال فيه : ان اغتيال الملك نادر خان ليس من عمل مفتون لا علاقة له بأحد ، بل هو نهاية حملة من الدسائس تدبر باستمرار من وقت طويل : وقد جاء الحادث من جانب عمال يقال انهم من مأجورى الملك أمان الله لا شك أنهم يعملون لمصلحته . وهؤلاء العماله يضمون بينهم اناساً من أصحاب النفوذ أمثال جيلانى خان ، وآخرين من العامة الذين يثيرون الاضطرابات والقلاقل بين قبائل الحدود .

وعلقت (مانشستر غارديان) على حادث اغتيال المرحوم الملك نادر شاه فقالت انه كان أكثر احتراماً للتقاليد المرعية فى بلاد اسلامية من أمان الله ، ولكن كان عليه أن يتبع طريق التقاليد الغربية وربما كان فى استطاعته بما عنده من الدهاء والحنكة أن يهدىء من أفكار علماء الشريعة ، ولكنه كان متهما بأنه يخدم المصالح البريطانية ، وهى وصمة كبيرة بين شعب يغار على استقلاله غيرة عظيمة . ولكن هذه التهمة بعيدة عن الصواب لأن بريطانيا تحترم استقلال الأفغان الذى اعترفت به سنة ١٩١٩ احتراماً صادقاً .

الاحتفال بدفن الملك نادر شاه (١)

جاء فى رسالة من كابل وصف للاحتفال بجنازة الملك نادر شاه ، فان جثمان الملك نقل من القصر إلى مدفن الأسرة فى رابية مرنجان ، ومر الموكب بمسجد ايدجاه حيث صلى عليه .

ووضع النعش على عربة حالكة السواد ملفوفاً بالراية الأفغانية ، وسارت وراءه جماهير المشيعين وفى مقدمتهم أعضاء الأسرة المالكة والوزراء ورجال السلك السياسى ووفود الأقاليم . و يقدر عدد الجماهير التى سارت فى المشهد بخمسين ألف نفس . عدا الجنود والأهالى المكتظين إلى جانبى الطريق يبكون منتحبين .

وأديت التحية العسكرية الأخيرة للملك الراحل عند ما وضع في ضريحه القريب من قبر أخيه الذى قتل فى برلين ، ورفعت فوقه راية قرمزية اللون رمز الاستشهاد فى سبيل الوطن .

وأصدر كبار رجال الدين فتوى تؤيد أن الملك نادر شاه مات شهيدا .

وأغلقت جميع الدكاكين والمحال التجارية والمكاتب ، وظلت الأسواق مقفرة طول النهار ، ثم فتحت فى اليوم التالى . والحالة هادئة تماماً والسلام سائد ولم يسمع أى طلق نارى ولم يقع أى حادث عنيف من يوم مقتل الملك وقد عد هذا مدهشاً نظراً لتاريخ أفغانسان وسيرتها الماضية .

و بعد ما دفن الملك نادر شاه تهافتت وفود البلاد وأعيان المدينة على القصر يقدمون مراسم العزاء ويمين الولاء . واستغرق المأتم عدة أيام جلس فى أثنائها الملك ورجال البلاط ووراءهم حملة الأعلام . وتقدم كل وفد بدوره أمام الملك معرباً عن حزنه وهول وقع المصاب عليه ، ويقدم فروض العزاء ويحمد الله على تبوؤ ولى عهد الملك الفقيد عرش البلاد ويتعهدون بأن يسفكوا آخر قطرة

(١) عن مجلة الفتح .

من دمائهم فى واجب الولاء للملك وأسرته ويضرعون إلى الله أن يطيل عهد الملك ويجعله عهد يسر وخير ويقبلون يد الملك ويتلون الدعوات على روح أبيه وينصرفون .

وكان العلماء ورجال الدين فى هذه الاثناء يعتلون المنابر ، جميعاً للوعظ ، والمناداة بالملك ظاهر شاه .

وفي نهاية المأتم ألقى شاه محمود خطاباً شكر فيه للشعب الأفغانى ما أبداه من الولاء والعطف ، وأكد للملأ أن خطة المغفور له نادر شاه وجهوده فى سبيل رقى البلاد وخيرها تظل مستمرة .

اغتيال الأمير حبيب الله خان

وأبلغت انجلترا من رجال قلم مخابراتها السرية بأن مؤامرة دبرت فى أفغانستان لاغتيال الأمير حبيب الله خان لأشياء أخذوها عليه . وتعقب المكلف بتنفيذ الاغتيال الأمير إلى أن ذهب فى رحلة صيد وبينما كان يتكىء على كرسى طويل وقد أسند رأسه إلى أحد قبضة يديه وهو فى خيمة الصيد ذات مساء انقض عليه القاتل وضربه بالرصاص فى صدغه فخر صريعاً . وعلمت من ثقة فى هذه المسائل بأن أحد عصبة الأمير حبيب الله خان كان يعلم بالمؤامرة قبل تنفيذها ولما استبعدت أن يعلم ذلك أحد أقاربه المقربين ولا يحول دون ذلك حرصاً على حياة حبيب الله خان قال : واحدة من اثنين إما أنه كان راضياً عن قتل الأمير لأسباب وإما أنه كان يعلم ولا يقدر أن يحول دون تنفيذ الاعدام وقتل الأمير حبيب الله خان . وقال لى ذلك العليم الثقة فى هذا الموضوع بأن الحكومة الجديدة للأمير أمان الله خان الذى نادى بنفسه أميراً ثم ملكا مستقلا لأفغانستان بعد أبيه أرادت الحكومة تصفية تركة الأمير حبيب الله خان فوجدوا

في قصره نحو ثلاثمائة جارية لحظوة الأمير المقتول وجلهن من سلالة تعرف بالجمال لأنها من سلالة جيش الأسكندر المقدونى وأهالى بعض البلاد هناك وكن يرتدين القليل من الثياب فعولجت تلك المسألة إما بالتزويج من الغير أو غير ذلك فذكرت عندئذ ما رواه لى من عاش السنين الطوال فى قصر يلدز أيام السلطان عبد الحميد الثانى التركى العثمانى فقال لى بأنه كانت توجد من الجوارى الحسان بقصر يلدز يومئذ ألف وسبعمائة جارية من أجمل بنات العالم من بنات الشركس وغيرهن كن لحظوة خاقان البرين والبحرين وأمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين وظل الله فى أرضه ! ؟ .

وبقيت تلك الجوارى الحسان إلى أن خلع عبد الحميد من السلطنة العثمانية وتشتت الشمل وافرنقعت الحسان .

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

مصرع ملك الأفغان ودسائس أمان الله(١)

مؤامرة سرية على حياة نادر شاه

وجميع إخوته وأفراد أسرته

أصبح معروفاً فى الأفغان اليوم عقب مصرع الملك نادرشاه أن جمعية سرية من القتلة والسفاحين تعاهد أفرادها على يمين مغلظة وقسم دموى رهيب بقتل ذلك الملك واستئصال شأفة إخوته جميعاً ، وأن نادرشاه هو الثانى الذى تم لتلك العصابة السفاكة اغتيال حياته ، إذ نفذت من قبله قسمها هذا فى أخيه أوائل هذا العام وكان يشغل منصب الوزير المفوض فى برلين .

ومنذ بضعة أشهر وصلت كتب تهديد بالقتل إلى ستة أشخاص بالبريد ،

---

(١) اللطائف المصورة فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٣

وكان من بينهم نادرشاه وأخوه ذاك وثلاثة إخوة لهما آخرون وابن عم لهم يعيش الآن فى أوربا وهو من كبار الوطنين المتحمسين لبلادهم .

أما الإخوة الثلاثة الذين تلقوا كتب التهديد ولا يزالون أحياء فهم قائد القوات فى الأفغان ورئيس الوزراء والوزير المفوض فى باريس .

مصرع نادرشاه :

وكان مصرع نادرشاه عند حضوره إلى الحفلة الرياضية السنوية للطلبة فى كابول ولتوزيع الجوائز عليهم يوم ٩ نوفمبر الساعة الثالثة بعد الظهر إذ ما كاد رحمه الله يصل إلى المكان المخصص لتلاميذ مدرسة (النجاة) حتى أطلق الجانى عن بعد أمتار قليلة ثلاث رصاصات من مسدس كان مخفياً فى ثيابه . وساد الهرج والمرج وقام البكاء والعويل وقبض على الجانى الذى كاد الشعب أن يمزقه وأسلم نادرشاه الروح فى الساعة الرابعة تقريباً .

ويقال إن المدبرين لهذه المؤامرة أنفقوا فى سبيلها أموالاً عظيمة فى أوربا وآسيا على السواء ، وأن أكثر أفرادها من أنصار الملك المخلوع أمان الله الذين فروا من الأفغان لاجئين إلى موسكو و برلين حيث يقيمون الآن ، وكانوا فى بلاط أمان الله وحاشيته الذين دالت دولتهم ، ثم لا يزالون يطمعون فى أن يستردوا سلطانهم السابق و يعودوا إلى سطوتهم الأولى فى كابول وعزهم المفقود .

وقد وقع مقتل الملك نادرشاه فى مثل اليوم من العام الماضى الذى أعدم فيه بأمر الملك الجنرال غلام بنى خان وهو من أكبر أنصار أمان الله وأشياعه الذين يعتقد الأفغان أنهم أعوان الشرك وأصحاب الكفر والبدع والخروج على التقاليد والدين .

الأموال والذخائر :

والمعروف أنه عقب فوز نادرشاه على حبيب الله أو « باجا سقا » الذى ولى العرش بعد فرار أمان الله واستبد بالملك وأساء إلى الرعية خلال سبعة أشهر مشائيم مرت على الشعب وهو يعانى أشد البطش والمظالم — لم يجد الملك نادرشاه عند ارتقائه العرش مالاً فى خزائن الدولة ، وإنما رآها خاوية ووجد مستودعات الذخيرة والأسلحة خالية لاتحوى شيئاً .

وكان لا بد من الانفاق على الجيش ودفع رواتب أفراده خشية التمرد وخوفاً من شق عصا الطاعة فالتجأ الملك إلى عقد قرض مع بريطانيا واستمداد الذخيرة منها ، وقد تلقى القرض المطلوب وعدة ملايين من الطلقات .

وبهذه الوسيلة استطاع الملك توطيد عرشه وتعزيز مركزه . ولكنه بسبب هذا التصرف أثار بغضاء قبائل الملا عليه وسكان الحدود الكارهين للانجليز ، إذ اتهموه بأنه من صنائعهم ، وقد حدث منذ بضعة أسابيع أن أطلق الرصاص على المفوضية الانجليزية فى كابول عاصمة الأفغان إظهاراً لذلك الشعور .

امداد المتآمرين بالأموال

وكان الملك نادرشاه يعرف حق المعرفة أن أموالاً عظيمة كانت تتدفق على بلاده من الخارج لإمداد الخوارج عليه وتغذية حركتهم العدائية الخفية ضده . فقد تبين أن قطعة من الماس بيعت منذ عهد قريب فى سويسرا بستة وثلاثين ألف جنيه ، وأن تلك القطعة كانت مما يمتلكه أمان الله المخلوع .

وما لبث هذا المال أن انتقل أوراقاً مالية إلى برلين ومنها إلى حدود الهند حيث استبدل بعملة الروبية ليدخل إلى بلاد الأفغان سراً لتغذية الحركة العدائية ضد نادر شاه وأسرته .

وقد وجدوا مع الطالب الأفغانى الذى قبض عليه بسبب حادث إطلاق

الرصاص على دار المفوضية البريطانية فى كابول أوراقاً مالية من العملة السويسرية

على أن المرجح عند كثير من العارفين أن الجيش الأفغانى سيظل متمسكاً بولائه للملك الجديد ، وإن كان فريق من الناس قد باتوا يتوقعون فتناً أخرى وقلاقل ستشب نارها فى تلك البلاد لأنها اليوم تغلى كالمرجل المتأجج .

الحالة فى أفغانستان (١)

حديث للأستاذ زيدان بدران

مراقب تعليم اللغة العربية ببلاد الأفغان

ومراسل البلاغ الخاص فى كابل

وصل من بلاد الأفغان إلى القاهرة فى نهاية الأسبوع الثانى من شهر نوفمبر الماضى مراسل البلاغ الخصوصى هناك الأستاذ زيدان بدران مدرس اللغة العربية فى كلية الاستقلال وكلية نجاة بمدينة كابل وعضو دار التربية والتعليم فى وزارة المعارف الأفغانية ومراقب حركة تعليم اللغة العربية فى مدارس هذه الوزارة .

وقد أمضى الأستاذ زيدان بدران فى أفغانستان زهاء ثلاث سنوات وسمح له بأجازة رسمية وحضر إلى مصر لتمضيتها بين أهله وأصدقائه العديدين ، فرأينا أن نتحدث معه فى شئون أفغانستان وأحوالها ، ودار الحديث بيننا على النحو الآتى :

ـ كيف كان ذهابكم إلى بلاد الأفغان ؟ .

ـ ذهبت إلى أفغانستان لأول مرة فى عام ١٩٢٢ بناء على اتفاق جرى بينى وبين مندوب الحكومة الأفغانية فى مصر ، وكان قد حضر إليها لطلب موظفين من المصريين المتعلمين لشغل بعض المراكز العلمية فى بلاده ، وعينت مدرساً بدار

---

(١) عن جريدة البلاغ ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٤

المعلمين الأولية التى تديرها وزارة المعارف الأفغانية بكابل ، وقد أقمت هناك زهاء عامين ثم عدت إلى مصر لظروف خاصة و بقيت فيها إلى عام ١٩٣٠ ، ولما كنت قد وضعت مؤلفاً فى تاريخ أفغانستان خلال الأيام التى أمضيتها هناك ، وكان هذا المؤلف فى حاجة إلى إتمام بعض فصوله نظراً لغير الظروف السياسية والتشكيلات الحكومية هناك بعد ثورة « باشته سقا » الثائر المعروف على الملك السابق أمان الله خان ثم انتهاء هذه الثورة بخلع الملك أمان الله من العرش بالمناداة بالمغفور له نادرشاه ملكا على الأفغان وهو والد الملك الحالى جلالة الملك ظاهر شاه ، لهذا عدت إلى كابل لاستيفاء المعلومات الصحيحة التى كانت تنقص كتابى ، وقد رأت وزارة المعارف الأفغانية أن تنتفع بى تقديراً لخدماتى السابقة هناك وحسن ظنها بشخصى ، وعلى هذا عينت مدرساً للغة العربية فى كلية « استقلال » وفى « كلية نجاة » الحكوميتين ، وعضواً فى الوقت نفسه بدار التربية والتعليم التى هى إحدى مؤسسات وزارة المعارف الجديدة التى أنشئت حديثاً لإصلاح برامج التعليم وفقاً لأحوال الزمان والمكان .

نظم التعليم فى أفغانستان

ـ هل لك أن تحدثنا عن نظم التعليم فى أفغانستان ؟

ـ التعليم فى أفغانستان يتألف من أربع درجات : ابتدائى ورشدى « كفاءة » وإعدادى « ثانوى » وعال و برامج التعليم فى كل هذه الدرجات تشبه فى كثير من المواد البرامج القائمة فى فرنسا وألمانيا ، والطالب الأفغانى الذى يتخرج فى المدارس الأفغانية يستطيع الالتحاق بمدارس هاتين الدولتين ، والتعليم فى إجماله بأفغانستان آخذ فى التطور بالنسبة لظروف العصر الحالى ، والحكومة الأفغانية الحاضرة تبذل جهداً مرضياً فى سبيل نشر الثقافة بين طبقات الشعب المختلفة مع مراعاة المقومات الأخلاقية والدينية بنوع خاص ، ودار الفنون أعنى

الجامعة الأفغانية من أشهر المؤسسات التى أنشأها المغفور له الملك نادرشاه .

والمدارس بأنواعها منتشرة فى كل البلاد الأفغانية لا سيما المدارس الابتدائية التى يوجد منها فى مدينة كابل وحدها ست مدارس منظمة أحسن تنظيم ، أما المدارس الأفغانية العالية فقاصرة اليوم على دراسة الطب والعلوم الرياضية ، وفى النية تأسيس شعبة جديدة للآداب تكون تابعة لدار الفنون . أعنى للجامعة

حظ اللغة العربية

ـ ماهو حظ اللغة العربية فى برامج التعليم فى المدارس الأفغانية على اختلاف درجاتها ؟ .

ـ إن اللغة العربية تعلم فى أفغانستان كلغة أصلية فى المدارس الرشدية والاعدادية (الكفاءة والثانوى) وفى مدرسة دار المعلمين الأولية ، ولا يمكن نجاح طالب فى الانتقال من سنة إلى أخرى إلا إذا جاز الحد المعين فى درجات النجاح فى مادة اللغة العربية ، والحكومة الحاضرة تبذل عناية تذكر فى الدعوة لتعلم اللغة العربية ، ويدل على ذلك إنشاؤها مدرستين باسم « دار العلوم العربية » إحداهما فى مدينة « كابل » والأخرى فى مدينة « هرات » ومن المقرر مبدئيا أن تنشىء الحكومة مدرسة ثالثة من هذا النوع فى مدينة « قاندهار » .

ويهمنى أن أذكر لكم أن كافة المواد العلمية فى هذه المدارس تقرأ باللغة العربية ولكن يمتحن فيها الطلاب باللغة الفارسية بسبب ضعف الطلاب فى المحادثات والإنشاء باللغة الأولى ، وقد تقرر أخيراً بذل كل عناية لتلافى هذا ، أى العمل فى تقوية الطلاب فى اللغة العربية ، وأستطيع أن أؤكد لكم أن عدد المتكلمين بالعربية خلال السنوات التى أقمتها أخيرًا فى الأفغان قد تضاعف كثيرًا ، وأن أكثر الطلبة فى مدارس الحكومة أصبحوا يتكلمون العربية بسهولة تامة ، ونحن نرجو أن تنتشر الثقافة العربية فى أفغانستان تبعاً لذلك ، وخصوصاً إذا انتشرت الكتب العربية الدراسية بين أيدى الأفغانيين .

تعليم الحقوق

ـ هل يوجد فى أفغانستان طلبة أو مدرسة للحقوق ؟ .

ـ إن الأحكام بين الأفغانيين حتى الآن تجري فى الغالب وفق الشريعة الإسلامية ، ولهذا لم تعن الحكومة هناك بتأسيس كلية للحقوق كما هو موجود فى مصر مثلا ، ورجال القضاء يختارون من مدرسة دار العلوم العربية التى أشرنا إليها ، ذلك لأن الفقه الإسلامى وكافة العلوم الدينية تدرس فى هذه المدرسة على نحو ما كانت عليه مدرسة القضاء الشرعى بمصر .

الموظفون الأجانب

ـ هل يوجد موظفون أجانب فى أفغانستان ؟ .

يوجد كثير من الأجانب الموظفين ، وأكثرهم يشتغل بالمراكز والأعمال الفنية ، فالفرنسيون يشتغلون بالتعليم والحفر ، والألمانيون يشتغلون بالهندسة والميكانيكا وبعض الوظائف العسكرية والأتراك يشتغلون بالمسائل الصحية والطب ، وبعض الوظائف العسكرية ، ويوجد غير هؤلاء نفر من الايطاليين يعملون فى الهندسة الميكانيكية العسكرية ، ثم عدد كبير من الهنود يعملون فى دور التعليم ، وأنا المصرى الوحيد فى أفغانستان والأمل عظيم فى أن تستخدم الحكومة الأفغانية كثيراً من المصريين بمجرد إنشاء مفوضية مصرية فى كابل ونرجو أن يتم هذا قريباً .

ـ هل يوجد موظفون من الانجليز فى الحكومة الأفغانية ؟ .

ـ لا يوجد انجليز موظفون فى أفغانستان ، وليس فيها من الروسيين غير اثنين يشتغلان بالطيران .

مدى التقدم فى أفغانستان

ـ ماهو مدى التقدم العمرانى والاجتماعى فى أفغانستان ؟ .

ـ الحالة العمرانية آخذة فى الازدياد بسرعة ويمكننى أن أقول إن الحالة التى وصلت إليها أفغانستان الآن من هذه الوجهة تدعو إلى الإعجاب فقد أنشئت مؤسسات عظيمة هناك وأصلح كثير من الطرق وتأسست مصانع مختلفة للنسج والغزل وحفظ الفاكهة وغير ذلك مما كانت تحتاج إليه البلاد من صنع المعامل الأجنبية وقد أنشئت كذلك سدود كثيرة لتصريف المياه ، أو حفظها إصلاحا لطرق الرى وتعميما للزراعة فى البلاد .

وأما من الوجهة الاجتماعية فإن البلاد تأثرت بالعوامل المختلفة وأصبحت الآن فى أدوار انتقال متوالية ترمى إلى انتهاج خطة الأمم الراقية ، وأهم ما يمكننى ذكره اتفاق الجهود على توجيه الأمة الأفغانية نحو المدنية الحالية مع ضمان بقاء المقومات الإسلامية .

النهضة العسكرية

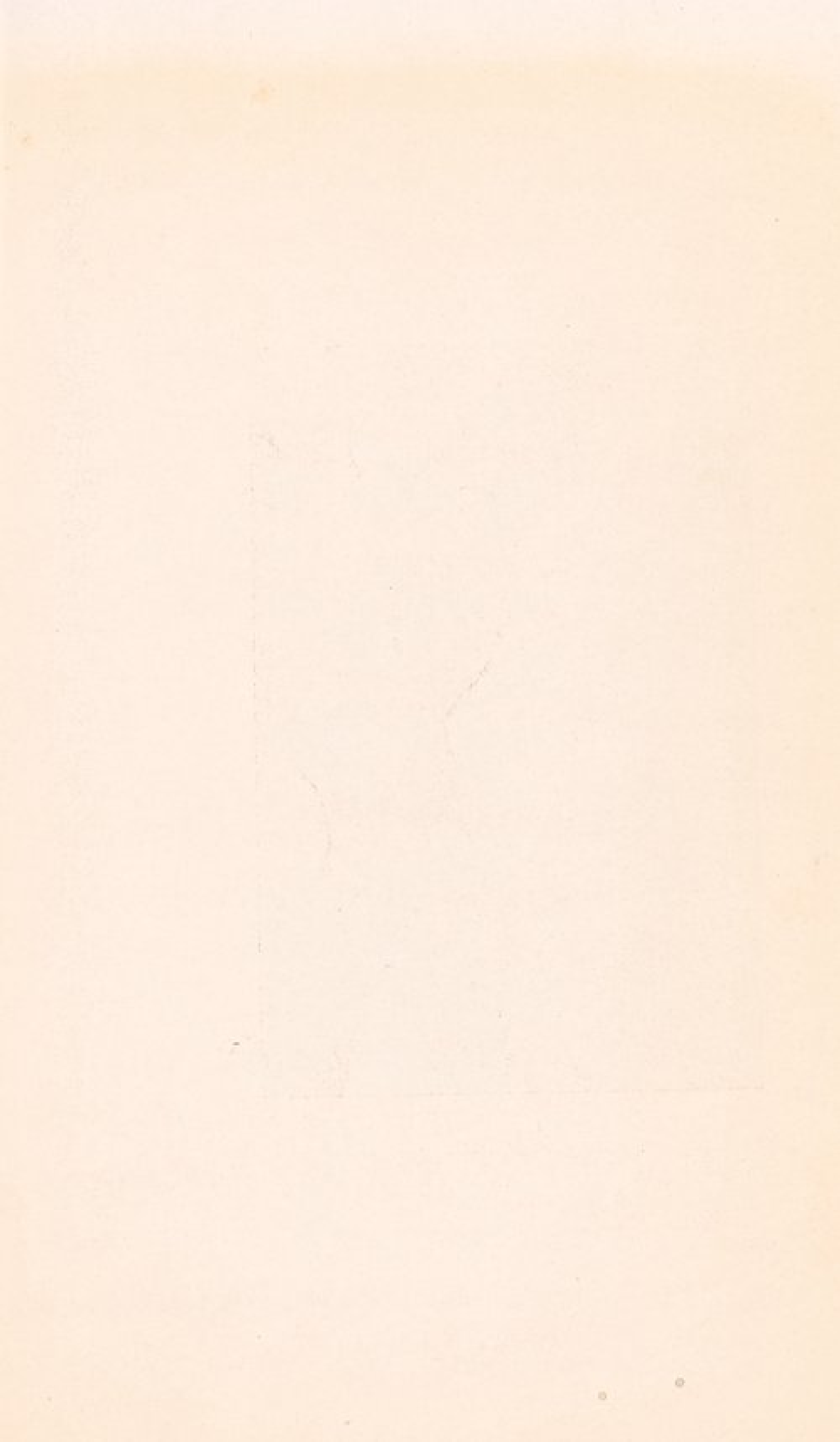
— هل توجد فى أفغانستان نهضة عسكرية وكم يبلغ عدد جيشها ومن يتولى تدريب هذا الجيش ؟

— النهضة العسكرية هى أبرز النهضات الأفغانية بفضل مليكها السابق المرحوم نادرشاه ومتابعة ولده صاحب الجلالة ظاهر شاه خطة أبيه وعمه معالى وزير الحربية السردار شاه محمود خان .

ويبلغ عدد الجيش الأفغانى فى وقت السلم ثمانين ألف جندى وضابط ويتضاعف هذا العدد فى وقت الحرب طبعاً ، وهذا عدا ما نعرفه وهو أن كل أفغانى يعتبر نفسه جندياً حاضراً للدفاع عن استقلال بلاده منذ عهود بعيدة ، وقد علمت قبل وصولى إلى مصر أن نية جلالة الملك ظاهرشاه اتجهت إلى زيادة عدد الجيش النظامى ، والنسبة التى يجرى عليها الاقتراح العسكرى هى واحد إلى ثمانية من الأهالى الذين يبلغ عددهم حوالى ١٢ مليونا .



باچی سقا الثائر الذی قتل



أما الذين ينظمون الجيش الأفغانى ويدربونه أحسن إعداد فهم قواد من الأفغانيين وبعض الإخصائيين من الألمان والأتراك والإيطاليين ولهؤلاء وظائف محدودة ذات سلطان ضعيف لايتعدى التعليم والإرشاد الفنى .

شنق باجه سقا وأخيه وجماعته [١]

فى كابول

كانت خاتمة اللص الأفاق باجه سقا الذى اغتصب عرش افغانستان ورفع نفسه إلى مقام الإمارة عليها وأنزل بهـا مختلف أنواع المحن والنكبات مثالا مجسما لما ينتظر كل لص غادر مثله شاءت الأقدار أن تحالفه فطغى وتجبر ولم يقف فى مظالمه ونزعاته الشريرة عند حد وقد اختلفت الروايات وتضاربت عن كيفية وقوعه فى الأسر على أنها أجمعت فى النهاية على أنه أعدم رمياً بالرصاص فى كابول ثم رفعت جثته وجثث أعوانه على أعواد المشانق فى ساحتها للتشهير بها ولجعلها عبرة لسواه من لصوص الغابات والطرق الذين تسول لهم نفوسهم الشريرة أن يثوروا ويطمعوا باختلاس العروش والممالك .

صور من أفغانستان [٢]

حيث لا يزال النضال قائماً بين الملك أمان الله وخصومه

تطورت الحالة فى أفغانستان وأصبح المطلوب طالباً وأوشكت الدائرة أن تدور على ابن السقا زعيم الثوار الذى احتل كابول ونادى بنفسه ملكا عليها وعلى أنصاره الذين آزروه وساعدوه على الصعود إلى ذلك العرش المحفوف بالأشواك والمكاره . فإن أكثر قبائل الأفغان رفضت أن تعترف به ملكا

---

(١) عن اللطائف المصورة ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٩ .

(٢) « « « ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٩

وأعلنت أنفتها من أن يسيطر عليها قاطع طريق رفعته الظروف إلى عرش كابول وأصبح مركز السير همفرى المفوض البريطانى فى خطر شديد فإن أهالى كابول ينظرون إليه بعين السخط ولا يعتقدون أنه برىء من الاشتراك فى تدبير هذه الثورة وينتظر أن تسحبه الحكومة البريطانية من عاصمة الأفغان وأن تأمر بنقل جميع البريطانيين منها خصوصاً وأن الملك أمان الله قد اشتد ساعده واجتمعت حوله القبائل القوية تشد أزره وهو يحشد قوات هائلة وذوبان الثلوج ليسترد عرشه المغتصب وجيوشه مزودة بأحدث الآلات الحربية من سيارات مدرعة وطيارات وقد أدرك ابن السقا أن عمر ملكه قصير فهو يسعى جهده لكى يملأ خزائنه مالا يفوز به إذا اضطر إلى التنازل عن العرش والفرار من كابول ويترك لرجاله العنان ينهبون ويسلبون كما يشاؤون .

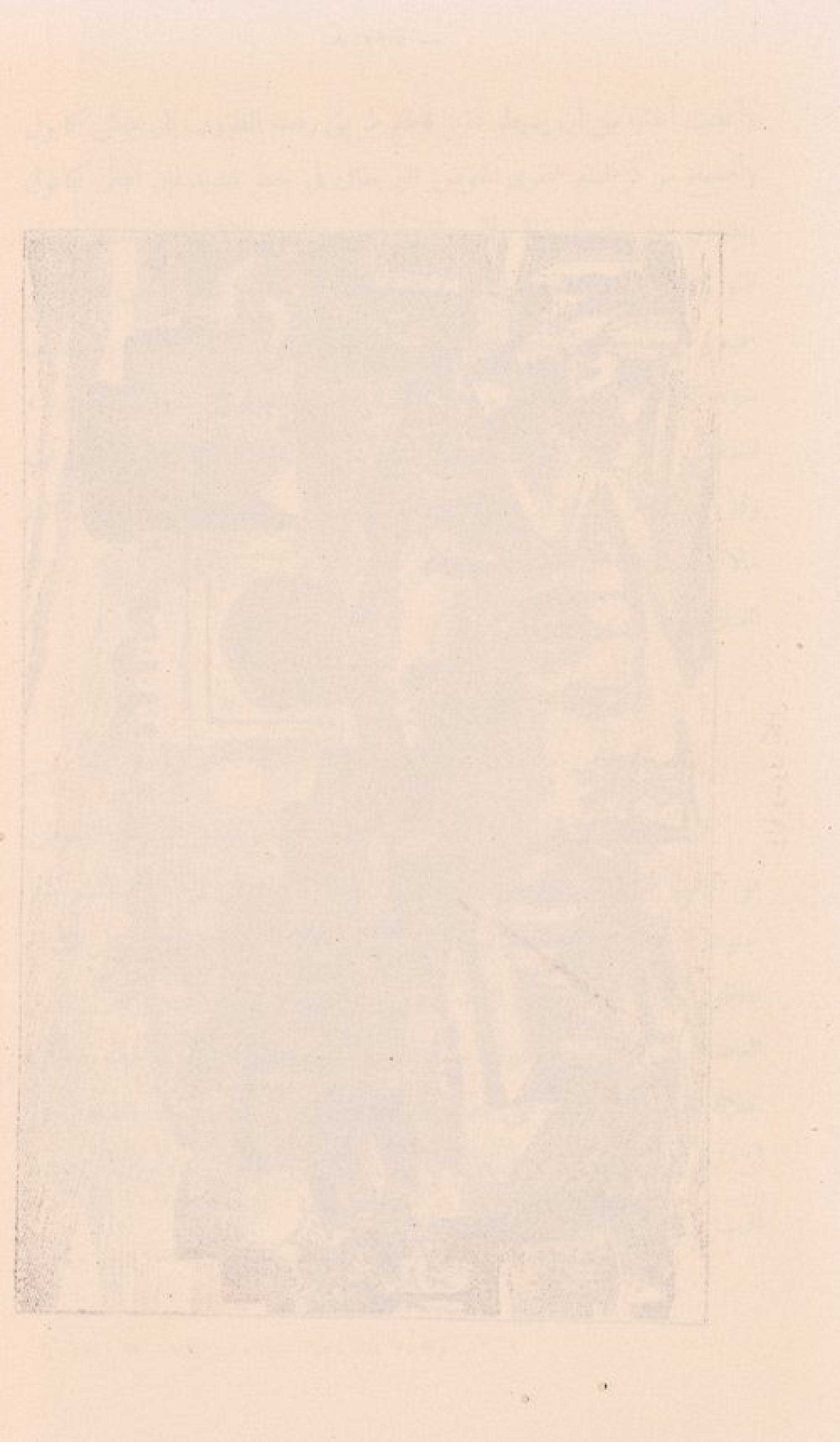
قصور أفغانستان

وحدائقها ومشاهدها الجميلة

لا تزال الأخبار التى تردنا عن أفغانستان متناقضة يسودها الإبهام والغموض ففى الوقت الذى تذكر بعض التلغرافات أن الثورة انتهت وأن جلالة الملك كافأ جنوده لا نتصارهم على الثوار وردهم عن العاصمة تذكر المصادر الأخرى أن الثوار يطلقون نيران مدافعهم على العاصمة وأن سكان كابول الأجانب يفرون من العاصمة فى الطيارات ، وسواء أصدقت هذه الأخبار أو تلك فمما لا شك فيه أن جلالة الملك مازال قابضاً على ناصية الحال وأن الفوز فى جانبه . وقد اتضح أخيرا أن الحكومة الروسية تمده بالذخائر والسلاح وأن الحكومة الإيرانية تفاوضه لترسل إليه النجدات والأمداد من جيوشها .



بوابة وسوق بكابل



دار الامان — أو كابل الجديدة[١]

(دار الأمان) يصح أن تسمى دار الأمانى أيضاً لأنها أمنية لذيذة طالما جالت فى فكر أمان الله خان فاهتز لها فؤاده ارتياحاً ، ولذلك وقف ما أوتى من قوة على إخراج هذه الأمنية من حيز القوة والفكر والتمنى ، إلى حيز الفعل والحقيقة والتمتع .

مدينة كابُل واقعة فى سهل مستطيل من الشرق إلى الغرب ، وفي آخر هذا السهل جبل معترض ، ومساحة هذا السهل المحفوف بالجبال نحو عشرين كيلو متراً ، أو ميلا ، ليست كلها مشغولة بمدينة كابل بل فى آخر السهل قامت مدينة كابل وكانت إلى زمان الأمير عبد الرحمن خان رحمه الله ملتصقة بالجبل الجنوبى فلما استولى الانكليز على بلاد افغانستان ووقع الصلح بينهم و بين الأمير المذكور كان من جملة شروطهم عليه أن يخل كابل وأن ينقلها إلى الجهة الجنوبية ، وكان الانكليز قد احتلوا الحصن القائم على الجبل الجنوبى ويقال له (بالاحصار) فأرادوا أن يصفو لهم ما تحته من السهل ، فقبل وهجر مدينة كابل وأحدث مدينة أخرى فى الجانب الجنوبى ولا تزال المدينة القديمة قائمة بيوتها وقصورها لا يسكنها إلا الحمام واليوم ، ولكن الحكومة بعد ما تخلصت من سيطرة الانكليزية تماماً عملت على عمرانها ، ولم يتم ذلك حتى الآن لأجل ما وقع هنا من العوائق والفتن العظام .

أما أمان الله خان فلم تعجبه كابل القديمة ولا الجديدة فعزم على إنشاء كابل ثالثة تكون فى وسط السهل ممتدة بين الجبلين إلى آخر السهل ويخترقها شارع يكون غاية فى السعة والجمال مستقيما من الشرق إلى الغرب يبلغ طوله بضعة أميال ، وفى آخره يقوم القصر الملكى وقصور الأمراء والأعيان وسائر رجال الحكومة

---

(١) عن مجلة الفتح ٢٨ ربيع الثانى سنة ١٣٥٣

ودوائر الحكومة ، وهذا الشارع يبتدىء من شرقى كابل ويمتدّ إلى الجبل الغربى آخر السهل ، وهو منقسم إلى أقسام : القسم الأول سكة حديد ضيقة محفوفة بالأشجار تكون عن يمين المتوجّه إلى دار الأمان ، يليها طريق واسع للمشاة فى حافته اليمنى صف من الأشجار وفى اليسرى جدول ماء جار ، ثم صف من أشجار الصفصاف سوقه كأنها السوارى أو الصوارى وأعاليه تكوّن سوراً عالياً متراصاً من أوراقها ، ويليه طريق السيارات وعرضه تقريباً خمسون متراً ، وفى حافته اليسرى صف آخر من الصفصات يليه جدول ، فطريق المشاة فصف أشجار ، وثم على جانبى الطريق جنتان عن اليمين والشمال ، ثم المزارع . ولشدة برد هذه البلاد لا يزال الزرع أخضر قد استوت سنابله ولم يبد فيها اليسير ، هذا ونحن فى أوائل يونيو .

وصلنا دار الأمان ورأينا الحدائق الأمانية والقصر الهائل قائماً فى وسطها قد تمّ بناؤه ولم يبق إلا بعض الشبابيك لم يلصق زجاجها ، وهو قصر يتحير الواصف البليغ فى صفته . وهناك قصور أخرى مبثوثة فى تلك الجنان وأنهار تجرى من تحتها وفوّارات مرمرية وأطيار تغرّد فى أقفاصها ، ولعله لم يبق نوع من الشجر فى العالم إلا وله نوّاب فى هذه الحدائق ، وآكام صناعية مكسوّة بالأشجار ، وأرض الحديقة مقسمة إلى دوائر تحفها أشجار الورد ، وقد بثت فيها زرابىّ سندسية من النجم ، وعرائش مغطاة بالأشجار المتسلقة المزهرة ، وفى الجانب الشمالى قصر الحرم الخاصّ بالملك ، ولقد رأيت فى سياحتى كثيراً من الحدائق والقصور ولم أتأثر برؤية شىء منها ما تأثرت برؤية دار الأمان . وهذه القصور خالية صامتة خاشعة لا يوجد فيها إلا الحرس من الجنود .

محدثات أمان الله خان[1] :

التي كانت سبب خروجه من تلك الجنان .

لم يلتفت أمان الله إلى عقائد شعبه وعاداتهم ، بل رفسها برجله وأراد أن يمسخهم مرة واحدة « كن فيكون » .

اللباس : أجبر أمان الله خان أهل أفغانستان جميعاً على لبس الكسوة الأوربية من الرأس إلى القدم ، ولم يستثن قاضى كابل وهو شيخ قد بلغ الثمانين ولا عالما ولا شيخ طريقة ، وحرّم عليهم استعمال الثياب العادية ، ففعلوا وكانت الضربة شديدة عليهم خسارة مالية ، وخروج عن تقاليدهم المألوفة ، ومشقة فى الحركة والسكون بهذه الثياب الضيقة التى لم يعتادوها .

كشف الحجاب : لما فتن أمان الله بفكرة المسخ أكثر من الخطب ، فكان يجمع الأعيان كل يوم ويخطب فيهم ويبدى جميع ما فى نفسه من غير مبالاة ، ويرغّبهم فى قبوله . فلما كان ذات يوم خطب فى ذلك المجلس ـ وكان غاصا بالرجال والنساء وهن محتجبات ـ فتكلم فى الحجاب وقال : إنه ظلم عظيم ، وخنق لحرية المرأة ، وعار على الأمة الأفغانية أن تبقى متمسكة بهذه العادات البالية التى قد تبين فسادها . ولست أريد أن أجبر نساءكم على كشف الحجاب وإنما أجبر زوجتى . وعند ذلك أمر زوجته بكشف نقابها فكشفته ، فاقتدت بها أكثر النساء الحاضرات . وكانت هذه الضربة الثانية أشد من الأولى وضج الناس منها وشكوا إلى الله تعالى .

بعثة الطالبات : ثم انه انتخب عشرين بكرا من بنات الملوك والأمراء ليرسلهن إلى أنقرة ليتعلمن الآداب الانقرية التى هى أكثر تطرفاً من الآداب الباريسية ، واحتفل ببعثهن فى مجلس الأعيان يوم وداعهن فحضرن هناك ، فقام

(١) للاستاذ محمد تقى الدين الهلالى فى ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٥٣ بالفتح .

أمان الله وقبلهن واحدة بعد واحدة أمام جمهور من الناس من رجال ونساء ، فاشمأزّ الناس من ذلك واستنكروه وزادوا نفوراً .

(أعدت آلاف الصور للملكة ثريا المذكورة وهى فى ملابس إفرنجية وألقاها رجال الطيران البريطانى وعماله على رجال القبائل فأججوا الثورة) «المؤلف»

تبديل يوم الجمعة : أصدر أمان الله أمره بتعطيل يوم الخميس بدلا من الجمعة ، فكان تحدّياً جديداً فى مسائل العبادات وظن الناس أنه إنما يريد أن يتدرّج لتعطيل يوم الأحد .

إغلاق المساجد : أصدر أمان الله أمره باغلاق المساجد إلا ٢١ مسجداً ، فلقى الناسُ من ذلك عناء عظيما .

الطامّة الكبرى : خطب أمان الله فى مجلس الأعيان وحث على التجديد ونبذ العادات القديمة ثم قال : ماذا تعتقدون فى محمد ؟ فلم يجبه أحد . فقال : أنتم تعتقدون أن محمدا نبي ورسول من الله ، وإنكم لعلى خطأ عظيم . انه لم يكن نبياً ولا رسولا وإنما كان فيلسوفا وجد الأمة العربية ميتة فنفخ فيها روح الحياة القومية ، وطبائعُ الأمم مختلفة وتزداد اختلافا باختلاف الزمان فيجب علينا أن نطرح العادات التى لا تلائم شعبنا وزماننا ونستأنف حياة جديدة تتفق مع رقى الأمم فى هذا العصر الخ ما قال . فلم يبق على وجه مقاصد أمان الله ستر . وكانت أخبار هذه المحدثات تنتشر فى القرى والبوادى ، فثارت القبائل من كل جانب وتلقى ذلك أهل المدن وأهل كابل خاصة بغاية الارتياح ، وكان العارف الكبير (بير صاحب) شيخ الطريقة المجدّدية بل شيخ المشايخ فى أفغانستان معلنا معارضته لأمان الله وهو رئيس ديني مطاع له السلطان الروحي التام على جميع أهل البلاد الأفغانية ، فقتله أمان الله وأمر الجنود فأحاطت ببيته وحاصرته ، فازدادت الناس هياجا وازدادت الثورة حميا . وكان باجاسقا شيخ اللصوص وقائدهم وكان يقطع الطريق ويغير على القوافل فينهب ما معهم ثم يعطيهم شهادة بخط يده

بأنه هو الذى أخذ مامعهم تحدّيا للحكومة . فاغتنم هذه الفرصة وجمع جندا عظيما من المتطوعين ثم هجم على كابل ففتحها بسهولة ، لأن القلوب كلها كانت كارهة لأمان ، وإنما كان النـاس يداهنونه ويتربصون به الدوائر ، فهرب أمان الله إلى قندهار وهى مدينة تبعد من كابل إلى جهة الشمال نحو مائتى ميل تقريبا ، ورضى الناس بأن يتملك عليهم لص بدلا من ملـكهم القانوني المتحدر من سلائل الملوك كابرا عن كابر ، لأن أعمال أمان الله جعلتهم يرضون بكل رجل ينقذهم وإن كان عبدا فتم الأمر لباجاسقا واستولى على عرش أفغانستان (1) وأذعنت له البلاد كلها وأعمل السيف فى كل من وجده من أعوان أمان وحكم البلاد ٩ أشهر وعند ذلك بعث الله لأفغانستان منقذها العظيم الملك محمد نادر خان وكان فى فرنسا فقدم أفغانستان وبدأ عمله فبقى ٦ أشهر يحارب ، ثم فتح الله له فأمن البلاد والعباد ورجعت المياه إلى مجاريها وعادت إلى البلاد السكينة والاطمئنان.

قال لى سـعادة وزير الخارجيـة الحاج فيض محمد فى حديث جرى بيننا بوزارة الخارجية الأفغانية .

من فضل الله ورحمته على أفغانستان أن قيض لها صاحب الجلالة الملك محمد نادرخان ، فان هذه البلاد وقعت فيها فتوق ما كان ليرتقها إلا رجل مثل جلالته قارح مجرب محنك قد بلغ من العمر خمسين سنة قضى أكثرها فى الأعمال العظيمة التى جعلت لأفغانستان هذا المقام ، وأنقذها من مخالب الأعداء ، فإن جلالته كان القائد الأعلى للجنود الأفغانية فى الحرب التى واجهتها أفغانستان فى عهد الحـكومة الأمانية ، وإليه بعد الله يرجع الفضل فى إحراز استقلال هذه البلاد ، وقد حلاه الله بمكارم الأخلاق من سخاء وحلم وتواضع وديانة ، وذلك ماجعله محبوباً عنـد الشعب الأفغانى على اختلاف طبقاته ، ولم يزل ساهراً على الأفغانية عاملا لإسعادها بإخلاص تام ، ولم يكن يلتفت إلى الملك ، ولم يطالب به حتى صار من المستحيل

---

(1) بارك الله فى دسائس انجلترا هناك (المؤلف) .

رجوع أمان الله خان إلى العرش ، فلهذه المناقب وغيرها نال إعجاب شعبه ومحبته فأينما ذهبت فى طول البلاد وعرضها لاتجد أحداً لايحبه من أى طبقة كان ،ومنذ جلس على العرش والبلاد فى تقدم : فقد اهتم جلالتـه بالمواصلات لأنها أهم شىء فى هذه البلاد ، فعُبِّدت الطرق وارتبطت جميع البلدان بالعاصمة ، وصار السائح أو التاجر يستطيع أن يتجول فى جميع البلاد مدنهـا وقراها ، ولم يبق إلا طريق المزار والعمل جار فيه ، وفى هذه السنة يتم .

(قلت : المزار ويسمى مزار شريف قريب من حدود أفغانستان الغربية ، وهي مدينة عظيمة ، ومركز تجارى على حدود بخارى) .

قال سعادة الوزير : وفى الوقت نفسه العمل جار فى انتشاء طريق جديد من بشاور إلى كابل . وقد رأيت مافيه من جبال وأودية فلا يخفى عليك مايكلف من الجهود والنفقات ، فإذا تم الطريقان ينتظم أمر النقل والسفر من المزار غرباً إلى بشاور شرقا . أما عناية جلالته بإقامة الشعائر الإسلامية وتعليم العلوم الدينية وحفظ الآداب والعفاف ، فهو مما تراه وتسمعه فلا حاجة إلى أن أحدثك عنه . ومن الوجهة العسكرية ، فحكومة جلالته عازمة على إبلاغ الجند الأفغانى ٢٠٠ ألف

أما فى هذا الوقت فعدد الجنود الأفغانيـة ٨٠٠٠٠ والعناية مبذولة فى زيادة عدده وتدريبه وأسلحته . وفى كل سنـة تشترى الحكومة مقداراً كبيراً من الأسلحة الجديدة من آخر طراز . وأما من الوجهة التعليميـة فالمدارس قسمان : نظامى وغير نظامى . فعدد طلبة القسم النظامى ١٠٠٠٠ وجميع العلوم التى تدرس فى مدارس العالم تدرس فيها العناية التامة بتربية النشء على محاسن الأخلاق طبقاً للشرع الإسلامى الشريف . وأما القسم الثانى : فبعضه فى المساجد ، وبعضـه فى المدارس ، والعناية مبذولة فى جعله نظامياً لأنه تحت إدارة وزارة المعارف (أقول : وقد حدثنى سعادة وزير المعارف بمثل هذا تماماً حين زرته) قال سعادة الوزير : وبالجملة فحكومة جلالته تبذل أقصى الجهد فى محاربة الجهل ونشر الثقافة الإسلامية

وكل ما لا يخالف الدين مما تحتاج إليه الأمة من علوم الغرب . وهنا تحمس سعادته وقال : إن جميع طرق الرقى والمدنية والسعادة موجودة فى الإسلام على أحسن حال الطرق معبدة ، والمناهج واضحة أمامنا ، فما علينا إلا السير عليها . قد حججت فى السنة الماضية ١٣٥١ وزرت مصر فأعجبتنى نهضتها ، ولكنى حزنت أشد الحزن نغلبة التقاليد الأوربية على الناس وخصوصاً النساء . يقولون : إن الأم المتعلمة هي المدرسة الحقيقية ، ومادامت الأمهات جاهلات فتهذيب الأولاد وترقيهم مستحيل وذلك صحيح إذا تعلمت البنات على المنهاج الأخلاقى الصحيح ، وأما إذا تعلمت على هذه المناهج الفاسدة ، فانها لا تهذب النشء بل تهلكه وتبيده . ولأن تبق جاهلة خير لها من علم ينسيها جميع واجباتها و يفتنها فلا يبقى لها هم إلا التبرج وحضور الملاهى ، وجعل إدارة بيتها التى هى واجبها دبر أذنيها . إن الحالة الخلقية فى البلاد المتحضرة العربية محزنة مبكية ، أما فى بلاد الحجاز فانى لم أر شيئا من ذلك ، فالحالة الخلقية حسنة جداً . ثم قال : إننى أنا وجميع رجال الحكومة الأفغانية نحب التجدد ولا نعاديه ، ولكننا نعتقد أن التجدد شىء ، والدهرية والإباحة شىء آخر ، فخلطهما فى نظرنا سفسطة ومغالطة ، فالدهرية والإباحة هما عدو أفغانستان الأكبر الذى لا يمكن قبوله بوجه من الوجوه ، وأهل أفغانستان يعدّون الموت فى سبيل محاربة هذا العدو نعمة عظيمة .

كتبت هذا المقال فى ربيع الأول سنة ١٣٥٢ بمدينة كابل ولم تقع لى عناية بنشره إلى الآن . وقد رجحت نشره عسى أن تكون فيه عبرة للمعتبر ، وخبر للمستخبر ، وآية للمتوسمين .

البصرة ٧ ربيع الثانى ١٣٥٣ — محمد تقى الدين الهلالى

عيد الفطر فى كابل

أرسل إلينا أديب مصرى يقيم فى كابل هذه الصورة التى تمثل قصر السلام فى كابل يوم عيد الفطر ، وأرفق بها وصفاً شائقا للاحتفال بالعيد فى عاصمة الأفغان نلخصه فيما يلى :

« ذهبت لتأدية صلاة العيد إلى المسجد الملكى لكى أتمتع بمشاهدة حفلة العيد الرسمية ، وقد أخذت بعض الشخصيات البارزة تفد على المسجد حتى ازدحم ازدحاماً شديداً ، وكان رجال البوليس والحرس الملكى قد اصطفوا من المسجد إلى « سلامخانه » أو قصر السلام لحفظ النظام ، و بعد الانتهاء من صلاة العيد أخذ المصلون يتقدمون لتهنئة جلالة الملك فكان يعانقهم واحداً واحداً . وفى الساعة العاشرة والنصف تقريباً غادر جلالته ومعه حاشيته المسجد إلى قصر السلام وكان قد ازدحم بالمدعوين الذين صلوا فى مساجد أخرى فأخذوا أماكنهم فى الأماكن المخصصة لهم ، وكان فى كل منها منديل من الحرير ملىء بالحلوى جرياً على العادة المألوفة من قديم . ولما أقبل جلالته أخذ يمر على الحاضرين محيياً مهنئاً ثم خطب جلالته خطبة رد عليها رئيس مجلس الأعيان »

تصحيحات جغرافية

هرات وكابول (١)

بقلم الأستاذ المحقق محمد مسعود (رحمه الله)

اطلعت فى مقطم الأربعاء قبل الأخير على مقال للمؤرخ البارع الأستاذ أمين سعيد تحت عنوان « تركيا تحكم بين إيران وأفغانستان » ورد فيه اسما مدينتين كبيرتين من مدن الأفغان مرسومين كما فى عنوان هذه الكلمة أى بالتاء المفتوحة فى الأول و بواو بين الباء واللام فى الثانى .

---

(١) نشرت بجريدة الاهرام .

والرسمان خاطئتان تسرب الخطأ إليهما من طريق السهو أو سبق القلم كما يقع كثيراً للكتاب المبرزين والمشتغلين منهم بالتحقيقات الجغرافية واللغوية خاصة

والصواب هو « هراة » بتاء مربوطة مع فتح الهاء و « كابل » بضم الباء وحذف الواو التى يثبتها المعربون لتقوم مقام ou فى اسمها الأفرنجى وهو Caboul أو Kaboul وهو رسم خاطىء ظن الأفرنج معه أنه هو الذى يؤدى ضم الباء فى كابل على ما هو ظاهر .

أما هراة فرسمها وضبطها هما كما تقدم وهى مدينة من أمهات مدن خراسان كما قال ياقوت فى معجمه . كانت فى سنة ٦٠٧ هجرية (١٢١٠ ميلادية) عند ما زارها هذا العالم الجغرافى العظيم « مدينة لم ير أجل ولا أعظم ولا أفخر ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها . فيها بساتين كثيرة ومياه غريزة وخيرات وفيرة وفيها الكثيرون من العلماء وأهل الفضل والثراء » وقال الرهنى أن بناءها يعزى إلى الاسكندر الكبير فإنه « أمر أهلها أن يبنوا مدينة ويحكموا أساسها وأنه خط لهم طولها وعرضها وسمك حيطانها وعدد أبراجها وأبوابها واشترط لهم أن يوفيهم أجورهم وغراماتهم عند عودته من ناحية الصين فلما رجع منها ونظر إلى ما بنوه عابه وأظهر كراهيته وقال ما أمرتكم أن تبنوا هكذا فرد بناءهم عليهم بالعيب ولم يعطهم شيئا » .

وفى هراة يقول أحمد السامى الهروى :

هراة أرضى خصبها واسع ونبتها التفاح والنرجس
ماأحد فيها إلى غيرها يخرج إلا بعد مايفلس

وقال الزوزنى :

هراة أردت مقامى بها لشتى فضائلها الوافرة
نعيم الشمال وأعنابها وأعين غزلانها الساحرة

وفى الجغرافيا الحديثة ان هراة واقعة على شاطىء نهر . يسمى Heri—Roud

(هرى ـ رود) أو (روت) ولعل اسمها مشتق من اسمه وترتفع فوق سطح البحر ٤٥٤ متراً ويزيد سكانها على ١٠٠ ألف وامتدادها كيلو متر فى أقل منه بقليل عوضاً ، ويحيط بها جبل اصطناعى ارتفاعه ٥٠ متراً يقوم على هضابه سور بارتفاع ٣٠ قدماً ، ومن خلف السور خندق ممتلىء ماء وهى مركز حربى حصين وبداخلها الصهاريج الكثيرة والآبار وقلعتها فى وسطها وثكنات جنودها فى جناحيها على بعد كيلو مترين منها .

ووصفها الرحالة الانجليزى آرثر كونولى Conolly وصفا دقيقاً فقال إن الطبيعية تحيط بها كالنطاق وتبعد عنها شمالا بسبعة كيلو مترات وجنوباً بعشرين كيلو مترا . وكل الفضاء بين أطراف المدينة وسفوح تلك الجبال أراض خصبة انتثرت فيها القرى الحصينة ومغارس الكروم والحدائق الغناء وحقول القمح الواسعة ويشقها مالا يحصى عدده من القنوات والجداول المشتقة من نهرها الكبير ومن حاصلاتها الزبد الذى لا مثيل له وفيها يصنع الخبز الجيد . وقد سارت الأمثال بصفاء مائها الذى شبه بصفاء الدمع . وقال كونولى الرحالة الآنف الذكر إنه ما شرب فى حياته لا بانكلترا ولا باية جهة من جهات العالم ماء عذبا نميراً كالذي شربه فى هراة .

وتخترق هراة أربع طرقات تتلاقى فى نقطة وسطى عقدت فوقها قبة كبيرة ومنازلها كافة تتألف من طابقين ولكن أبوابها صغيرة بالنسبة لحجمها وارتفاعها وليس فيها أبنية ضخمة أو أثرية ومسجدها الأعظم شيد فى القرن الثالث عشر على اطلال المسجد الذى أنشأه جنكيز خان وعلى مسافة كيلو مترين شمالا من ظاهرها مقام للامام الرضى .

وهراة مدينة أزلية ذكرها ابن حوقل فى جغرافيته المؤلفة حوالى سنة ٦٥٨ هجرية (سنة ٩٧٦ ميلادية) فوصف قلعتها وحدائقها ومبانيها وصفا حافلا وكنيستها التى كانت للنسطوريين . وكتب الادريسى باستفاضة عن هراة فأطرى

فى مدحها وهو مع ذلك لم يرها رأى العين . أما ابن بطوطه فقد شهدها بنفسه فى حدود سنة ٧٤٢ هجرية (سنة ١٣٤٠) أى قبل ذهابه إلى جزائر ذيبة المهل (أرخبيل ملديف) . بقليل فقال إنها من مدن خراسان ونيسابور . وتكلم عن هراة أعيان الكتاب فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر فقالوا إنهـا أجمل مدن العالم ونقلوا عن أهلها قولهم « إذا كانت خراسان صدف العالم فإن هراة درته » غير أن الحروب الطويلة التى شب ضرامها فيما بعد بين الفرس والأفغان أخنت عليها وذهبت بمعالمها وخربت حدائقها التى كانت مصدر مجدها وشهرتهـا وفى سنة ١٧١٧ سقطت هراة فى يد الأفغان وما برحت فى حوزتهم حتى الآن .

والمدينة مركز مهم التجارة بين فارس والهند والروسيا وآسيا الوسطى وهى كثيرة الغلة من الحبوب والفاكهة ومنها تستنتج المقادير الوفيرة من الحرير وفيها مصانع مشهورة يصنع السجاد الثمين وتصنع بها القلانس من جلد الضأن وأهلها خليط من الأعاجم والأفغان والتتر والهنود واليهود وغيرهم .

***

أما كابل بضم الباء ومن غير واو كما قلنا آنفا باسم المدينة وأقليمهـا الذى يسمى أيضاً كابلستان . قال ياقوت الحموى فى معجمه نقلا عمن شهدها : « إنها ولاية ذات مروج كبيرة بين هند وغزنة » . وقال ابن الفقيه : « بكابل عود ونارجيل وزعفران و إهليلج . وكان خراجها ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ درهم ، غزاها المسلمون فى أيام بنى مروان وافتتحوها وأهلها مسلمون » . وقال الأعشى ، وقد سمى أهل كابل كابلا :

ولقـد شربت الخمر تر   كض حولنا ترك وكابل

كدم الذبيح غريبـة   ممـا يعتق أهل بابل

باكرتهـا حولى ذوو الـ   آكال من بكر بن وائل

وفى الجغرافيا الحديثة أن كابل مدينة شرقى إيران وهى عاصمة أفغانستان على نهر كابل وفى واد خصيب يزدهى بحدائقه الغناء ومروجه النضرة . وتعلو على

سطح البحر بنحو ١٩١٧ مترا ولذا كان الشتاء فيها قارس البرد . ومحيطها فرسخ ويكتنفها سور قديم وحصون وقلاع . وفى قلعة (بالاحصار) فى الجنوب الشرقى منها قصر صاحب البلاد ، وعلى مقربة منها آكام ومرتفعات تحكمها ، وفيها مقر الحكومة بمصالحها ودواوينها ، وفى ظاهرها خارج السور أرباض واسعة وقرى آهلة . وجل أهلها من ذرارى المستعمرين الأتراك والأعجام الذين كان الأمير نادر شاه وجه بهم إليها ، والأهالى يسمونهم (قزل باش) أى الرؤوس الحمراء لأنهم كانوا يلبسون قلانس بهذا اللون .

وتنقسم المدينة إلى أقسام تسمى « المحلات » وكل محلة منعزلة عن أختها ولها أبواب خاصة بها ، وشوارعها ضيقة مظلمة وليس فيها من الأبنية الأثرية ما يلفت النظر ، ولكن فيها حمامات كثيرة ، وسوقا تدور فيها حركة الأخذ والعطاء فى المعاملات التجارية وهى بموقعها ملتقى للطرقات الموصلة إلى الهند . والصناعة فيها قليلة الأهمية .

ويرجع وجود مدينة كابل إلى عهد اسكندر الكبير وقد سماها مؤرخو أرتسبانا Ortospana ووصفها استرابون بأنها منتهى الطرق وأسماها Trivium أى ذات الطرقات الثلاث وهى طريق اسكندرية القوقاز شمالى كابل وطريق الباميان وطريق اسكندرية الآريين وهى هراة .

والمظنون أن كابلا القديمة كانت إلى الشرق بقليل من المكان المعروف ببجرام وهذا اللفظ يطلق فى أفغانستان على كل مكان كانت تقوم فيه مدينة أزلية .

وفى أواخر القرن الثامن عشر اتخذها تيمور شاه مقراً له . فصارت عاصمة البلاد منذ هذا الوقت وحلت فى ذلك محل قندهار ، وفى سنة ١٨٣٠ احتلها الجيش الانكليزى بحجة إعادة العرش إلى أحد أبناء تيمور شاه وكان منفيا . ولكن حدث أن ثار الناس فجأة على المحتلين واستأصلوا جنودهم . غير أن الانكليز لم يلبثوا أن أعادوا كرة الهجوم عليها بجيوش ضخمة لم تلبث أن احتلتها .

محمد ظاهر خان

ملك أفغانستان

ونكتب هذا وملك هذه البلاد فى طريقه إلى مصر من أوربا فى عودته إلى أفغانستان بعد أن زار بلاداً عدة من أوربا وسيمر ببلاد أخرى من بلاد الشرق .

وكان الملك قد سافر إلى أوربا يستشفى كما قيل فى الأخبار . ونحن ندعو الله جاهدين أن يكون قد وفق فى سياحته ورأى ما فيه الخير لبلاده ، وأن يطبق فيها النظم والاصلاحات الجديرة بالتطبيق فى أفغانستان فلكل بيئة ظروفها وأحكامها والطفرة محال والعاقل من اتعظ بأخطاء سواه .

وإنا نسأل الله أن يوفقه وأن يوفق رجال حكومته ، وأن يوفق الشعب الأفغانى إلى ما فيه خير تلك البلاد وإسعادها إنه سميع مجيب .

ولقد اطلعنا علي ما نشر فى صحف اليوم فإذا بترتيب يعد لاستقبال الملك « محمد ظاهر خان » استقبالا ودياً حافلا يشترك فيه الشعب مع الحكومة لتلك الزيارة الأخوية الكريمة صباح الغد الثلاثاء ١٨ جمادى الأولى من عام ١٣٦٩ هـ الموافق ليوم ٧ مارس سنة ١٩٥٠

القاهرة　　　　　　　　　　دكتور علي مظهر

مراجع

تتمة البيان فى تاريخ الأفغان ، للسيد جمال الدين الأفغانى

حاضر العالم الإسلامى لستودارد تعريب عجاج نويهض وتعليقات المرحوم الأمير شكيب أرسلان طبع بالقاهرة

Afghanistan by Sirdar Ikbal Ali Shah.

London, Marston and Co. Ltd.

The Indian Empire. by Lieut Colonel Alexander Geovge. Stuart 40 Pathans Indïan. Army killed în Franca 1916 and Otbers by bis Majesty's Statianery Office London.

L' afgharistan géographie, Histoire, Ethnographie, voyages P. Raymond Furoa Paris 1926

Py.bitsohka Emil Imgottgegehenen Afghanistan als Gaeste des Emirs 1927
Bvockhaus Leibzig

Hanstien Imwildon Afghanistan Leibzig.

Baervnstien.

Reisen and Erlebnisse in Afghanistan.

Niedermeyer, Iranserlebnisse d. Deutsch. Exped. nach Persien und Afghanistan Leipzig.

Afghanistan und seine Nachbarlander von .

Dr. Hermann Roskoschny Leibyig bei Gersner and Schram

Peoples of all nations by Sir Hammerton Part One.

فهرس الكتاب

ما طبع من كتب المؤلف

---

1 — Der Partikularismus bei den Arabern Wien 1923

بالألمانية نادر جداً

٢ — العصبية عند العرب

القاهرة سنة ١٩٢٤

نادر وسيعاد طبعه مزيداً

٣ — محاكم التفتيش

باسبانيا والبرتغال وفرنسا وغيرها

القاهرة سنة ١٩٤٧

٤ — أفغانستان (وهو هذا الكتاب)

القاهرة سنة ١٩٥٠



